بسم الله الرحمن الرحيم

المنارة

للبحـــوث والدراســـات

مجلة علمية متخصصة محكمة

سلسلة الآداب والعلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة آل البيت

ISSN: 2958 – 227X (Print)

ISSN: 2958 – 2288 (Online)

المجلد الثاني، العدد (٣)، صفر ١٤٤٥هـ/ أيلول ٢٠٢٣م

عنوان المجلة: جامعة آل البيت – المفرق- المملكة الأردنية الهاشمية

ص.ب: ١٣٠٠٤٠ هاتف: ٦٢٩٧٠٠٠(٩٦٢٢)، ناسوخ: ٦٢٩٧٠٣١(٩٦٢٢)

البريد الالكتروني: *manara@aabu.edu.jo*

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور عاكف الفقراء
عميد البحث العلمي

رئيس تحرير سلسلة الآداب والعلوم الاجتماعية

الأستاذ الدكتور محمد الخطيب
كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة آل البيت

الأعضاء

الأستاذ الدكتور أحمد أبو بكر	كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة آل البيت
الأستاذ الدكتور منتهى طه الحراحشة	كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة آل البيت
الأستاذ الدكتور أمين عودة	كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة آل البيت
الأستاذ الدكتور عليان الجالودي	كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة آل البيت
الأستاذ الدكتور أنور الخالدي	كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة آل البيت

محرر اللغة العربية
د. رجب الخالدي

محرر اللغة الإنجليزية
دة. هناء أبو مويس

أمانة سر المجلة
وليد معابرة

تنضيد وإخراج
هبه الزعبي

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا
يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير

المنـارة للبحـوث والدراسـات

مجلة علمية متخصصة محكمة تصدر عن جامعة آل البيت

شروط النشر:

- تستوفي المجلة مبلغ ٢٠٠ دولار عن كل بحث يقبل للنشر في المجلة.
- تنشر مجلة المنارة البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في تخصصات العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، من داخل جامعة آل البيت وخارجها، مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية. ويشترط في البحث ألا يكون قد نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر، وعلى الباحث أن يتعهد بذلك خطياً عند تقديمه البحث للنشر.
- تخضع البحوث للتقويم حسب الأصول العلمية المتبعة، وتقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ) البحوث الأصيلة.

ب) المراجعات النقدية.

ج) الملحوظات العلمية والمقالات العلمية القصيرة.

تعليمات النشر:

١. أن يكون البحث مطبوعاً على جهاز حاسوب، بمسافات مزدوجة بين الأسطر شريطة أن لا تزيد عدد كلماته عن الـ ٧٠٠٠ كلمة بحده الأقصى، وترسل بوساطة البريد الإلكتروني للمجلة manara@aabu.edu.jo، وتكتب أسماء الباحثين من ثلاثة مقاطع، كما تذكر عناوين وظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، ويجب أن يتضمن المخطوط عنوان البحث واسم الباحث أو الباحثين والملخصين، والكلمات المفتاحية، والمقدمة، ومنهج البحث، المناقشة والنتائج وقائمة المراجع، كما يجب أن يستخدم نظام الوحدات الدولي، ويمكن استعمال مختصرات المصطلحات العلمية المعروفة، شريطة أن تكتب كاملة أول مرة ترد في النص.

٢. يكتب ملخص باللغة العربية وآخر بالإنجليزية على ألا يزيد عدد كلماته على (١٠٠) كلمة، ويتبعان بالكلمات المفتاحية.

٣. ترقم الجداول والأشكال على التوالي حسب ورودها في المخطوط، وتزود بعناوين، ويشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه من متن المخطوط، وتقدم بأوراق منفصلة، وترسم المخططات بالحبر الأسود على ورق رسم كالك (tracing paper).

٤. إثبات الهوامش إلكترونياً وتقتصر على الملحوظات الضرورية بالحد الأدنى، ولا تكون لأغراض ذكر معلومات النشر.

٥. التوثيق: يتم توثيق المصادر والمراجع داخل النص، حسب نظام الأقواس (مؤلف، سنة، صفحة) ويثبت فيه نهاية البحث قائمة بالمراجع مرتبة هجائياً وحسب ما يأتي:

(أ) المصادر:

عند ذكر المصدر لأول مرة على النحو التالي: ذكر اسم المؤلف كاملاً مع ذكر تاريخ وفاته –إن كان متوفى - بالهجري والميلادي موضوعاً بين قوسين. وذكر اسم المصدر كاملاً مكتوبا بالبنط الغامق إذا كان عربياً، وبحروف مائلة إذا كان بإحدى اللغات الأوروبية. ذكر عدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، ذكر اسم المحقق ودار النشر، واسم المطبعة، ورقم الطبعة ومكان النشر، ويلي ذلك المجلد ثم رقم الصفحة مثال:

الطبري، محمد بن جرير (ت٣٦٠هـ/٩٤٥م). تاريخ الرسل والملوك، ١٠م، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩م، م٣، ص ٢٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: الطبري، تاريخ.

(ب) المراجع:

يذكر اسم المؤلف كاملاً مع ذكر تاريخ وفاته، إن كان متوفى، وتاريخ ميلاده، إن كان لا يزال على قيد الحياة –إن أمكن- ثم يذكر اسم المرجع كاملاً مكتوباً بالبنط الغامق إن كان عربياً، أو بالحرف المائل إن كان باللغات الأجنبية، وذكر عدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها –إن وجدت– ثم اسم المطبعة، واسم الناشر، وتاريخ النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

(ج) محاضر المؤتمرات:

ذكر اسم المؤلف كاملاً، وذكر اسم الدراسة أو المقالة موضوعة بين علامتي اقتباس هكذا " "، ذكر اسم الكتاب كاملاً، ذكر اسم المحرر(ين) إن كانوا غير واحد، والإشارة للأول وإردافه بكلمة ورفقائه، ذكر اسم المطبعة والجهة الناشرة، ومكان النشر وتاريخ النشر ثم الصفحة.

(د) المجلات:

ذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ذكر اسم المقالة كاملة موضوعة بين علامتي اقتباس هكذا " "، ذكر اسم المجلة بالبنط الغامق للعربية، وبالحروف المائلة للأوروبية n رقم المجلد (السنة ما بين قوسين) ثم العدد ورقم الصفحة.

٦. ملحوظات أخرى:

(أ) عند الإشارة إلى الصفحة أو الصفحات المقتبس منها في الحواشي يراعى ما يأتي:

إذا كان الاقتباس من مصدر أو مرجع عربي، فإنه يوضع الرمز (ص) فقط وإن تعددت الصفحات، وإذا كان المصدر أو المرجع أجنبياً تكتب p واحدة، إذا كان موطن الاقتباس من صفحة واحدة في حين توضع pp إذا كان موطن الاقتباس أكثر من صفحة.

(ب) عند ورود آية قرآنية كريمة يذكر رقمها واسم سورتها وذلك بين قوسين.

(ج) عند ورود حديث نبوي شريف يجب ذكر مظان تخريجه ومصادره مع ذكر الجزء – إن وجد- ورقم الصفحة في حاشية سفلية أو ختامية.

(د) عند ورود بيت أو أبيات من الشعر، يذكر اسم الشاعر والبحث ومصادر تخريجه.

(هـ) عند الاستشهاد بمخطوط يذكر اسم المؤلف كاملاً وعنوان المخطوط كاملاً، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه هذا الاقتباس ويشار إلى تاريخ النسخة، وعدد أوراقها، ويذكر رقم الورقة مع بيان الوجه أو الظهر المأخوذ منه الاقتباس، ويشار لوجه الورقة بالرمز (أ) كما يشار لظهرها بالرمز (ب).

(و) عند ورود أسماء أعلام أجنبية في متن البحث فإنها تكتب بحروف عربية (ولاتينية بين قوسين) ويذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.

(ز) عند ورود أسماء أعلام في متن البحث فإنها تكتب كاملة مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي موضوعة بين قوسين —إن أمكن— إذا كان اسم العلم معاصراً، ويذكر تاريخ وفاته إن كان متوفى.

(ح) تقدم الأشكال مرسومة بالحبر الهندي على ورق رسم مصقول أو على ورق شفاف Tracing Paper على أن تشمل جميع الإيضاحات الضرورية، ويقدم على شكل أو رسم على ورقة منفصلة لا تتجاوز أبعادها حجم الصفحة.

(ط) يراعى أن تكون الصور الفوتوغرافية واضحة المعالم ومقدمة على ورق مصقول من حجم البطاقة البريدية.

(ي) الأشكال والرسوم والبيانات التوضيحية الأخرى توضع في أماكن مناسبة مع ما يشير إليها في محتوى البحث.

(ك) يراعى أن تكون صفحات البحث متسلسلة الترقيم، بحيث يشمل ذلك صفحات البحث جميعها بما في ذلك الصور الفوتوغرافية والأشكال والرسوم والبيانات التوضيحية الأخرى.

(ل) عند كتابة أسماء ومصطلحات عربية وإسلامية بالحرف اللاتيني؛ فإنه يراعى في ذلك النظام المتبع في دائرة المعارف الإسلامية.

٧. يعطى صاحب البحث المنشور نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه بالإضافة إلى (٢٠) مستلة من ذلك البحث، ويجوز أن يطلب أعداداً إضافية من المستلات مقابل مبلغ يقدره رئيس تحرير مجلة المنارة.

ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس هيئة تحرير مجلّة
المنارة للبحوث والدراسات
جامعة آل البيت
المفرق – المملكة الأردنية الهاشمية
E-mail:manara@aabu.edu.jo

محتويات العدد

(باللغة العربية)

الباحث/الباحثون	اسم البحث	الصفحة
- عبد الرحيم المراشدة عبد الباسط المراشدة	شعرية الكتابة في مدونة الكتاب – أمس المكان الآن –	١٦٩-١٩٦
- أمل محمد المشرف	السيميائية: إشكالية المصطلح وتعدد المفاهيم	١٩٧-٢١٥
- رجب محمد الخالدي بسام موسى قطوس	تمثّلاتُ التَّشيُّؤ في شعرِ الصّعاليكِ الجاهليين: نماذج مختارة	٢١٧-٢٤٥
- زيد خليل القرالة فاطمة عبد الله العازمي	جدلية المنطوق والمكتوب في العربية - دراسة في الوظيفة الصوتية وتعدد المرجعيات-	٢٤٧-٢٧٢
- نسرين نبيل عطية	**The Impact of Using Internet on the Behavior of the Students Enrolled at The University of Jordan**	٢٧٣-٣٠٣

المنـــارة للبحــوث والدراســات

مجلة علمية متخصصة محكمة

تصدر عن جامعة آل البيت

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي في مجلّة المنارة:

لمدّة (   ) سنة، ابتداءً

من: ....

الاسم: ....

العنوان: ....

....

....

❖ قيمة الاشتراك: ....

طريقة الدفع: ☐ شيك: ☐ حوالة بنكيّة: ☐ حوالة بريديّة:

(رقم: ....، تاريخ: ....)

التوقيع: ....التاريخ: ....

تملأ هذه القسيمة وترسل مع قيمة الاشتراك إلى العنوان التالي:

الأستاذ الدكتور رئيس تحـرير مجلّة المنارة للبحوث والدراسات – جامعة آل البيت المفـرق – المملكة الأردنية الهاشمية

قيمة الاشـــتراك السـنـوي:

- **للأفــــــراد:** (١٠) عشـــــرة دنانيـــــر أردنيّـــــة.
- **للمؤسســـات:** (١٥) خمســة عشــر دينـــاراً أردنيـــاً.

The Poetics of Writing in Adonis' "Ams al-Makan al-An"

Abed Elrahim A. Marashdeh[(1)*] **Abdelbaset A. Marashdeh**[(2)]

(1) Ajloun University, Jordan.

(2) Al-Bayt University, Mafraq - Jordan

Received: 19/01/2023

Accepted: 02/04/2023

Published: 30/09/2023

* ***Corresponding Author:***
Abed_meso_3000@aabu.edu.jo

DOI: https://doi.org/10.59759/art.v2i3.294

Abstract

This study seeks to examine the ongoing modernization movement in the Arabic contemporary poem, in terms of its form and content where Adonis, the poet and the critic, pursued the growing movement to personalize experimental visions that he sees possible in order to achieve his ambition in reaching to writing a temporal text for literary genres regarding time and place. This was achieved by introducing new elements into the structure of the Arabic poem. Here, Adonis utilized the theory about the literary genres and their relation with the creative text. Accordingly, he succeeded in bringing together verse and prose besides making advantage of the visual aspect of the text as well as the modern written demarcation, that's why he sought to follow the intentional demarcation of speech in the space of the paper. Adonis was not satisfied with that, he also tried to lean on intertextuality, given its importance in integrating historical readable, intellectual and philosophical texts…etc with the original text in order to deepen the internal structure of the achieved text and open new readable horizon that is different and precious to realize visions and indications that contribute in analyzing the text to make it open for multiple readings.

This new effort shows Adonis' ongoing modernization movement and maintains specially for the Arabic literary texts, since this approach emphasizes the his empirical ongoing approach as his first project in his thesis, titled "The Changing and the Unchanging-a Research in the Followers and Creativity among the Arabs" This aspect may contribute in new innovative additions to the writing of the Arabic poem as well as to the school of criticism which is concerned about such type of poetic writing.

Keywords: The Poetics of Writing, The Book, The Visual Demarcations, The Parallel Text.

شعرية الكتابة في مدونة الكتاب – أمس المكان الآن – للشاعر أدونيس

عبد الرحيم المراشدة [١]   عبد الباسط المراشدة [٢]

(١) جامعة عجلون، الأردن.

(٢) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، المفرق – الأردن.

ملخص

يسعى هذا البحث للوقوف على حركة تحديث النص الشعري العربي، شكلاً وموضوعاً، حيث تمكن الشاعر والناقد أدونيس من متابعة الحركة المتنامية لتجسيد رؤى تجريبية، يراها ممكنة، لتحقيق طموحه في الوصول إلى كتابة نص عابر للأنواع الأدبية، زمانا ومكانا، وذلك بإدخال مكونات وعناصر جديدة لبنية القصيدة العربية، فاستثمر نظرية الأنواع الأدبية وعلاقتها بالنص الإبداعي، حيث جعل من مكوناتها، بالإضافة إلى ما هو معروف، إمكانية الدمج بين (شعر ونثر) مع الإفادة من البعد البصري للنص والترسيمات الكتابية الحداثية، ولهذا سعى إلى اتباع التوزيع القصدي للكلام على فضاء الورقة.

لم يكتف أدونيس بذلك وإنما حاول الاتكاء على نظرية التناص (Intertextuality) بوصفها طريقة لتداخل نصوص تراثية وفكرية وفلسفية...إلخ مع النص الأصل، وذلك لتعميق البنيات العميقة للنص المنجز، وفتح أفق قرائي حداثي مختلف وثمين، وصولاً لإدراك ما أمكن من رؤى ودلالات تسهم في تحليل النص وإحداث مقاربة له.

هذا الفعل الحداثي يتبين منه مدى استمرارية أدونيس في حركية التجديد والتحديث المستمرين للنصوص الأدبية العربية بخاصة، وهذا المنحى يؤكد على منهجه التجريبي المتواصل منذ مشروعه الأول في أطروحته الموسومة: (الثابت والمتحول – بحث في الاتباع والإبداع عند العرب) ولعل هذا المنحى يسهم في إضافات جديدة ومبتكرة لكتابة القصيدة العربية، ويسهم في رفد الدرس النقدي الحديث في مواجهة هذا النوع من الكتابة.

الكلمات المفتاحية: شعرية الكتابة، الكتاب، الترسيمات البصرية، النص الموازي.

شعرية الأنواع الأدبية والكتابة الإبداعية في مدونة الكتاب:

اتخذت حركية الأنواع الأدبية المعاصرة، بخاصة، نوعاً من التحول والتغيير المستمرين وفقا للظروف الفكرية والاجتماعية وتداخل الحضارات، وزادت المسألة انتشاراً مع ثورة الاتصالات، التي شجعت على تبادل الآراء، فشاعت الإفادة من النصوص المتجاورة والمتقاربة، ومع حركية التجريب أصبحت النصوص عابرة لبعضها بعضاً ضمن مسارات معينة؛ حيث أصبحت بعض النصوص قابلة للامتصاص من نصوص أخرى، مثل الرواية والشعر... إلخ، ومع ظهور دروس علم النص والتناص أصبح الشعراء والأدباء يفيدون من مثل هذه المعطيات المهمة في الدرس النقدي والأدبي الحديث. نتكلم على هذا المحور لإيمان أدونيس وسعيه الحثيث باتجاه الإفادة من تداخل الأجناس، وسعيه إلى التجريب الذي ما يفتأ يلح عليه في مدوناته النقدية والأدبية.

ليس جديدا القول إن مسألة الأجناس الأدبية قديمة جديدة في آن، وجذورها تعود إلى بدايات تكون الألوان الأدبية في التراث الإنساني. وقد أحال كثير من النقاد المسألة إلى عهد الإغريق/ اليونان والرومان وما تلاهم من عصور حضارية قديمة وبخاصة ما جاء مع أفلاطون، وأرسطو، وهوراس، وفرجيل...، ولهذا يمكن القول: إن وجود نص لا يتعالق مع أنساق ثقافية معاصرة له أو سابقة عليه يعد ضربا من الخيال، مهما تضاءل أو تم اختزاله، ذلك أن بنية التفكير الإنساني تتعايش مع تربة خصبة تنمو فيها أفكار الآخرين، وهذا ما ألمح له غير ناقد، ومنهم: رولان بارت عند قوله في مفهوم الكتابة الإبداعية، في معرض تعريفه لها بقوله: "الكتابة هي التقاء بين اللحمة والعالم عبر اللغة، والأساليب المتاحة من خلالها، حيث كل هذه الأشياء عبارة عن صورة ودفق، وقاموس، تولد كلها من جسم الكاتب وماضيه، ثم تصير شيئا فشيئا الآليات نفسها فنه، هكذا تتكون تحت اسم أسلوب لغة مكتفية بذاتها، لا تغوص إلا في الميثيولوجيا الشخصية والسرية للكاتب... وتتيح المجال لاندماج المعطى الفيزيقي مع المعطى غير الفيزيقي في الوجود"[١] هذا ما يمكن الإشارة إليه من إفادات لأدونيس من هذه الرؤى بوصفها مثالا على تعلقه بالتجريب والتحول.

وقد يثير أدونيس بعض التساؤلات من هذا التوجه، من قبيل: هل الالتقاء بين الإنسان والكون والحياة عبر هذه التحولات، الزمانية والمكانية، يجعل النص المنتج مؤثرا ومتأثرا بهذه المعطيات وفي ظلالها؟ وقد تكون الإجابة، غالبا، بالإيجاب، وذلك "لتمازج القراءات، والمعارف، والمرجعيات المتداخلة في جوانية الإنسان وخارجه في آن؛ إذ يصبح هو المنتج على اللسان، والتعبير حصيلة ما

تم اختزاله في الذات، ومعالجته كذلك، وهذا ما يفهم من مسألة التقاطع بين النصوص البانية لها، حتى في مكونات النص الجزئية والفرعية فيه"(٢)، أقول ذلك لأن أدونيس متحول ومتجدد في فكره وأطروحاته ومنتجه الإبداعي الكبير، وهذا يتضح من الكم والنوع الذي تم إنتاجه وغير مسيرة حياته حتى وقت كتابة هذه الدراسة، وسيظهر هذا الأمر جليا في السياقات التطبيقية لاحقا في هذه الدراسة.

شعرية الكتاب/ المدونة والنصوص الموازية:

يلحظ المتابع لحركية الكتابة والإبداع عند أدونيس بشكل جلي حرصه على التجديد والتجاوز والتجريب ما أمكن إلى ذلك، وهو متحول متجدد في الفكر والإبداع، حيث انتقل، على سبيل المثال، من الكتابة الكلاسيكية التقليدية في الشعر، وفي اختياراته لما يستجد من تحولات في الحضارات الأخرى، وحاول التحديث والتجريب، فكتب القصيدة الجديدة وقصيدة التفعيلة، وقصيدة النثر...إلخ، وسجل أطروحات وآراء مهمة على هذا الصعيد، وتلقاها النقاد والكتاب والمبدعون بين موافق ومعارض، لكنه أثبت حضوره النوعي على هذا الصعيد، ومثل ذلك يقال في النقد وما أنجزه في هذا الحقل، ولعل اطلاعه الواسع على الثقافة الغربية، وإطلالته على الحضارات الأخرى، لا سيما الفرنسية، مكنته من هذا الحراك المهم على صعيد الدرس النقدي العربي وتحولات الشعر العربي عبر تاريخه.

لقد صرح أدونيس غير مرة في البدايات وما تلاها عن شغفه للتجاوز والتجريب وصولاً إلى أقصى ما يمكن من الأنواع الأدبية التي أتقنها، ويذكر في كتابه الموسوم: (مقدمة للشعر العربي) الصادر عام ١٩٧١ بقوله في الاستهلال: "هذه الدراسة التي تستعيد دراسات كتبت في أوقات متباعدة معيدة النظر فيها، مؤلفة فيما بينها، إنما هي مقدمة لدراسات تهدف إلى التوكيد على أن تغيّر الشعر العربي ليس تغيراً في الشكل أو طريقة التعبير... وتجاوز الأنواع الأدبية: النثر، الشعر، القصة، وصهرها كلها في نوع واحد هو الكتابة"(٣)، إذن كان لديه طموح واضح في إنجاز عمل نوعي عابر للأنواع الأدبية، وصولا لما أسماه (الكتابة) وها هو فعلا يحقق هذا الطموع في كتابه، موضوع هذه الدراسة، وارتأى أن يطلق عليه (الكتاب) وكان شغله الشاغل في هذا الحقل المعرفي، في الأدب، كما يبدو من بوحه السابق، وحلمه الذي تمناه، وهذا بالطبع يجيب على السؤال المركزي الذي نطرحه الآن: لماذا الكتاب؟ وما إستراتيجيات هذا العمل وأثره في الساحة الأدبية والنقدية؟

أ- **العنوان بوصفه نصاً موازياً**

لمْ تأت تسمية المدونة بـ (الكتاب – أمس، المكان، الآن)(٤) دون شحنها بالرؤية والدلالة ولهذا

سيكون الغلاف، ابتداءً والصفحة الداخلية كذلك، وأية عنوانات مصاحبة، لها من المرجعيات القصدية والدلالات التي تتفتح على أفق معرفي متنوع يثيره النص، حيث العبارات المدونة على هذا المصنف، تحمل المتلقي على تجاوز البعد الظاهري للنص. لقد جاء الغلاف في جزئه الأول باللون الرمادي الذي يشي بالحيرة، يقع بين لونين الأبيض والأسود هذا بالنسبة للجزء الأول، أما الأجزاء الثانية فجاء باللون البني الفاتح بين البني والرمادي، وجاء المجلد الثالث باللون الأسود الذي يعدّ من الأساسيات في توليد الألوان إشارة غير ممكنة التأويل... وأما الشكل فكان بقياس غير تقليدي أيضا (٢١/ ٢٥) فيبدو كما المربع تقريبا بفروق بسيطة، كما لو اختير هذا الحجم لأمرين: على غير العادة في الشكل ليلفت الانتباه وجاذب للمتلقي، ولتتسع الورقة على نصوص أربع وأشكال تتداخل مع بعضها بعضاً، وعابرة فنيا ودلاليا لبعضها بعضاً ومشتبكة مع دلالات وأنساقها سنشير إليها أثناء التحليل. بالنسبة للألوان تشير غالبا إلى منطقة منفتحة رحبة على الألوان جميعها، وفضاؤها كما لو غير نهائي، بمعنى إن الدلالة متجددة ومنفتحة على أفق معرفي بحسب مرجعيات كل قارئ وثقافته.

إنَ شغف أدونيس هو الذي حمله على هذا التنوع الشكلي على الأقل في محاولة لاستدراج القارئ إلى النص، إضافة لشغفه بالتجريب والتحديث، شكلا ومضموناً، ويعد هذا الأمر من قناعاته وأفكاره، التي يحاول دائما أن تكون مختلفة، من هنا جاء ولعه حتى باختيار لقب عوضا عن اسمه الأصل (علي أحمد سعيد أسبر) فاشتهر باللقب الذي اختاره وهو (أدونيس) "صيغة يونانية للّفظة السورية – الفينيقية والكنعانية – القديمة (أدوني) التي تعني السيد أو الإله. وأدونيس تموز إله الخصب. وارتبط أدونيس بالحضارة الدينية والفكرية لمجتمعات شرقي المتوسط قبل أن ينتقل بنفس الدلالة للحضارة الأوروبية"(٥) وكل ذلك له علاقة بإيمانه الإيديولوجي بعد انتمائه للحزب القومي الاجتماعي السورية الذي ينادي بسوريا الكبرى.

لعلَ الغرابة التي تستدعي السؤال المهم هي كتابة اسم المصنف بألـ التعريف (الكتاب) وهي تسمية ملغزة وتحيل إلى مرجعيات وسياقات عديدة، في الأنساق الثقافية والمعرفية في الديانات والتراث والحضارات، فالكتب السماوي تسمت بالكتاب، التوراة والإنجيل والقرآن، وهناك كتب أخرى حاولت هذه التسمية، ويفوح منه رائحة القصدية واللغز، ولنضرب مثالا على ذلك من الأمثلة التي تثير السؤال (لم التسمية بالكتاب؟) ومن ذلك كتاب لسيبويه الذي حققه عبد السلام هارون (عام ١٩٨٨) حيث تحيل هذه التسمية في تاريخ لغتنا العربية والتقنين لها، وهي رمز الهوية ولها بعد قيمي خاص، تحيل إلى

تسمية الكتب السماوية، حتى أن من عاصر سيبويه، ومنهم الأخفش، العالم اللغوي، قال عنه: من أراد أن يؤلف كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه فليستح"(٦).

ب- <u>نسبة الكتاب، منشئ النص:</u>

جعل أدونيس القارئ يرتبك، ثم يتأمل ويعيد النظر في صاحب الكتب ومن أنتجه، للوهلة الأولى، عبر الرجوع لمساحة متخيلة بين عصرين – زمنين – فوضعه بين مؤلفين اثنين، الذات المعلنة على الغلاف الخارجي، والآخر المعلن بعد صفحة الغلاف، فالمؤلف هو وليس هو، هكذا يتبادر للذهن، ثم يذهب لاكتشاف الحقيقة التي أخفاها أدونيس قصداً، كما لو لعبة فنية أراد منها إثارة دلالات معينة، فالاسم المعلن لصاحب الكتاب، بعد الغلاف الخارجي، هو للمتنبي، وقدم لنا توضيحا بجملة مصاحبة لكلمة المتنبي، لتصبح الدلالة أكثر إرباكاً، فجاء صاحب الكتاب بهذه العبارة: **(مخطوطة تنسب إلى المتنبي يحققها وينشرها أدونيس)** وفق هذا المعطى، جاء الغلاف تشكيليا من الخارج والصفحة الداخلية مكتوباً بكيفية قصدية لافتة في محاولة لوضع القارئ أمام نص إشكالي منذ البداية، وهذا ما يحمل القارئ إلى التعامل مع الكتاب بآليات تفكير متنوعة، لتفكيك مضامينه ودلالاته والبناء عليها، فكانت هذه الفنية في التسمية بمثابة التنبيه للقارئ، حيث يلتفت إلى أن أمامه مشروعا كتابيا يحتاج إلى آليات جديدة للتناول والفهم والتأويل، ومن هنا جاءت الصفحة الخارجية والداخلية كما لو غلاف على الغلاف، أو نص على النص، ووفق التشكيلات التالية على مستوى كتابة الحروف والكلمات وشكلها وتوزيعها، ففي الصفحة الأولى الخارجية نجد:

أدونيس

الكتاب

أمس المكان الآن

هذا التشكيل والإشارات المصاحبة للعنوان تكشف، أو تريد أن تكشف عن دلالات يتطلب الأمر فحصها واستبطانها فك شفراتها، من حيث المرجعيات والأنساق الثقافية المضمرة فيها والمرجعيات، وصولا إلى التحليل المرضي للطموح، نقول ذلك لأن بعض النصوص تكون حافلة بنصوص موازية ومساندة وعتباتية، وهذا يجلب شهية القارئ للكشف والبحث عن أفق ودلالات خارج المتن وداخله في الوقت نفسه، ويعد هذا الاتجاه من قبيل اتجاهات النص الحديث وإستراتيجياته، الذي يسعى لرفع سوية القارئ ليصل إلى مستوى منشئ النص ويزيد؛ إذ النص بهذه الكيفية القصدية يلفت انتباه الدراسات النقدية الحديثة ويمكن أن يشكل عبر بعض المفاصل فيه مفاتيح مهمة لعبور النص.

النصوص – بهذه الكيفية – تشكل أفقا قرائيا مهما للكشف عن أعماق المضمرات فيها، وهذا يذكرنا بقول رومان يكبسون: "تقودنا مسألة الثنائية ومكونات النسق الموسومة – المضافة – إلى موضوع التوازي الذي هو عنصر مهم، وعنصر قد يحتل المرتبة الأولى بالنسبة للفن الأدبي"(٧) ويرى ناقد حديث آخر "أن العتبة العنوانية هي: "مرسلة موجهة إلى المتلقي، لا يمكن بحال من الأحوال أن تنحصر في العمل، بل هي العمل والعنوان، وهما متكافئان تكافؤاً سيميوطيقياً، إلى الحد الذي يجعل الاهتمام بواحد منهما دون الآخر إهداراً، ليس لما أهمل فحسب، وإنما لما تم الاهتمام به كذلك"(٨).

وفق هذا المسار القرائي السابق يتعين على المتلقي أن يبدأ بالمؤلف، بوصفه منشئاً للنص، وهو (أدونيس) الذي حاول إخفاء اسمه تحت اسم آخر هو (المتنبي)، وكان بمنزلة القناع له، وهذا يشي بأن المؤلف الحقيقي قام بالتعمية والإخفاء قصداً، بمعنى إخفاء المسؤول عن حركية التأليف ومضموناته، وسجل بذلك انحرافاً عن الاعتيادي والحقيقي تنويرا لهدف في نفسه. وكما سلف مثل هذا السلوك الفني يحمل المتلقي على التأمل والبحث عن الأسباب لهذا التوجه، سيما وأن أدونيس أثار شهية القارئ قبل عبور النص، بخاصة عندما وضع الشك في جعل الكتاب المؤلف مخطوطا يتم تحقيقه، كما لو استجلبه من زمن آخر، لكنه الزمن الذي تم اختياره بعناية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما جعل المؤلف الآخر – المتنبي هنا – الذي هو مبدع وشاعر إشكالي في عصره وما بعد عصره، وكان حضوره على مدار الزمن طاغيا ومثيرا لشهية النقد بعد إعمال الفكر، ودراسة المدونة – الكتاب – نصل إلى يقين بأن المؤلف الحقيقي هو أدونيس (علي أحمد سعيد أسبر) الذي بات منذ أن امتهن الكتابة الإبداعية والنقدية مولعا بالتعمية والتمويه بشفافية الغموض، سعياً إلى التحديث والتجريب الذي يؤمن به. لقد سجل بهذا الفعل تحولا مهما في مسار القراءة، ولم يعيد مفهوم موت المؤلف الذي اجترحه البنيويون، وإيلاء الأهمية للنص فقط، وإنما جعل المؤلف معلقاً، بين الموت والحياة، كي يستحضره المتلقي حيث الحاجة، أثناء فاعلية القراءة النقدية الفاحصة وإبداء الرأي.

لقد ترك أدونيس مساحة واسعة لعبور عوالم النص، فأرجأ نفسه معنوياً، ولا أقول أمات، لكنه عدّل على ذلك فجعل نفسه مؤلفا وناقدا، وحتى قارئا في المتن، فهو مجمل شخوص، ومجمل رؤى، وأعطى مفتاحا للقارئ وتبنى العمل الأدبي في الخفاء، وتنبيها معينا بحيث يكون قارئا مجردا، أو محايداً ومحايثا للعمل في الوقت نفسه، على الأقل، وبذلك تكون العملية القرائية/ النقدية ضمن مسارات غير اعتيادية، تكشف عن مزيد من الدلالات وطبقات النص الكامنة، وتحتاج تلقيا مختلفاً يتناغم مع حركية النص ومحتواه شكلاً ومضموناً.

قد يفكر متلقي النص بأسباب أخرى، وهذا من شأنه، ولعل سببا آخر حمل أدونيس على ذلك هو إشكالية العنونة الحاضنة لكلمة **(الكتاب)** الواردة في العنوان بخط بارز ولافت، بحيث تبدو كما لو أنها العنوان المركزي للمصنف/ الذي جرى تأليفه على هذه الشاكلة، وهذه التسمية تثير إشكالية لمرجعيتها في الأنساق الثقافية المعروفة، فهي تحيل إلى الكتب المقدسة، بخاصة، (التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.. إلخ) ولم يقف الأمر عند هذا الحد ذك أن بعضا من الكتاب والمبدعين حاولوا التسمية بهذا الاتجاه، من العرب وغيرهم، تمثيلاً لما في أذهانهم من رؤى، كما فعل سيبويه الذي تسمت مدونته بـ (الكتاب) والذي أحدث ثورة معرفية في حينه على سبيل التقنين للغة العربية، وكان بكتابه فاتحة مهمة في الدرس اللغوي العربي لم يسبق إليها، حيث مزج بين الفكر والفلسفة واللغة ... إلخ. حتى بلغ الأمر بالأخفش أن يصف الكتاب بقرآن العربية، كما سلف وعندما قال: "من أراد أن يؤلف كتابا في النحو بعد سيبويه فليستح .."[٩]. وفعل مثل ذلك أيضا غير واحد عبر التاريخ، وأدونيس صدر أكثر من مجموعة في هذا الاتجاه، مثل كتاب الحصار، وكتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل.. إلخ. لكأني بأدونيس في هذا الكتاب المصنف يريد إعادة صياغة مفهومات كانت قارة في بعض الأذهان من خلال لفت الانتباه لتركيبة جديدة للكون والحياة الناس، عبر تناوله للماضي والحاضر وترك المستقبل للمتلقي، ليستخلص الفكر الجديد الحداثي المختلف، وبحيث لا تكون رؤيته تقليدية في تناول الأشياء، وهذه الفكرة موجودة نصه الشهير (الوقت).

يتطلع أدونيس دائما إلى تحقيق ذاته ووجوده، علميا ومعرفياً، في أفق مغاير، وتوسله بالمتنبي إذا لم يكن عبثياً، بقدر ما كان قناعاً ووسيلة لاختراق السائد الاعتيادي، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه يحاول التجاوز، أو البناء التراكمي على الفكرة العميقة للمتنبي التي شاعت في مدونته الشعرية وحياته، وهو – المتنبي الذي كان حديث الناس وشاغلهم في عصره، وكأني بأدونيس يلح على مقولات المتنبي الفكرية والفلسفية الشهيرة، من حيث بروز الذات، والاعتداد بالنفس، وإيمانه بقوته، مكانة وشعراً (ومنزل ليس لنا بمنزل) يريد منزل كوني على هذا الكوكب مختلف، بحيث يسمو على ما عداه. ومن هنا يكون قناع المتنبي تعميقا للنص ودلالاته ورمزيته؛ فالشاعر العربي، حسب جعفر العلاق، عليه أن يتجاوز الرموز الجاهزة، أو على الأقل، أن يعيد شحنها بما يجعلها أكثر صلة به، بتوترات عصره وضغوطه وطيشه ذلك لأن الرمز الشخصي لا العام، هو ما يثري حداثة الشعر وحداثة الرؤيا"[١٠]، ويضيف هذا الناقد: "لقد كان أدونيس والبياتي وخليل حاوي، في أفضل إنجازاتهم، يستثمرون رموزهم الشخصية من عمل إلى آخر، ويقيمون بينها من الوشائج النامية، ويجرون على

سياقها الموروث من التغييرات ما يجعلها فنية، درامية تعبق برائحة أسطورية آسرة"(١١). وقد نجد مثل هذا التوجه في النثر، في القصص والروايات وغيرها.

لا يمكن إذا تجاوز هذه المسارات الفنية في توظيف تقنية القناع، بوصفها أنساقا ثقافية عابرة للنصوص، وتشكل متناصات مهمة تسهم في تعميق دلالات النصوص، وتعطي بعض المفاتيح لمقاربتها، ذلك أن النص "يمثل وحدة دلالية ليست في الشكل بل في المعنى، لأنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص"(١٢) وهذه مسألة تستحق المتابعة والقراءة وصولاً إلى إستراتيجيات النص وما يفضي له من رؤى ويبدو أن اختياره للشاعر المتنبي ينطوي على إشارة خاصة، حيث إنه زعم النبوة، وهذا يجيز تسمية الكتاب، في تسمية مضمرة تحيل إلى الكتاب السماوي، بشكل لافت فيما لو تم تحويل القراءة باتجاه كتاب سيبويه، ويبدو أنَ التسمية بالدلالة السابقة تتناسب وفكر أدونيس وتميزها من غيرها.

شعرية التشكيل والدلالة:

لسنا بحاجة للتوكيد على مسألة تضافر الشكل والمعنى في إنجاز النص، ولا يمكن الفصل بينهما، لكن هذه المسألة تحملنا على الأخذ بعين الاعتبار قضايا قديمة حديثة في آن، وقد راح المبدعون يوظفونها بشكل لافت في نصوصهم، ولعل نظرية تداخل الأجناس أعطت الإمكانية الواسعة لهذا الاتجاه، حتى بلغ الأمر أن كثيرا من المبدعين لم يضعوا تجنيساً محددا على مصنفاتهم، وفعل أدونيس في (الكتاب) مثل ذلك، فهو لم يسِّمه بالشعر أو أي نوع أدبي آخر، واكتفى بالقول: مخطوط، وهذا ليس تجنيساً وإنما إحالة علمية لمؤلف وإلى تراث وتاريخ...إلخ. وبهذا التوجه يترك للمتلقي التصنيف، بحث يرى المتلقي بعد قراءة العمل الجنس الذي يحيل إليه، ذلك أن كل نص يحمل سمته ومكوناته من داخله. وقد تناولنا هذه المسألة في بحث سابق منشور في مجلة مخبر الصوتيات في الجزائر(١٣) ونسجل هنا أن أدونيس كان من أوائل الذين أسهموا في تحريك النصوص عن إطارها الذي حشرت فيه، كما سلف، في معرض الحديث عن مسألة الكتابة.

لقد كان أدونيس باستمرار يطمح للتجاوز والتخطي والتجريب، للوصول إلى نص (الكتابة) ومن هنا بدت الإستراتيجية لهذا المصنف **(الكتاب)** تنطوي على حركية هندسية قصدية لافتة من حيث توزيع الكلام على فضاء الورقة بصرياً، وتأطيراً، وإفراد مساحات جانبية وفي الهامش، وهذا ما يخرج

النص من إطاره التقليدين فكراً ورؤية، وكان الأمر كما لو عبور كتاب في كتاب أو كتاب مع كتب أخرى في مصنف واحد، ولاهتمام أدونيس بالماضي والحاضر والإفادة منهما، يمكن القول إنَ هذا العمل اتكأ على مرجعيات من التراث والتاريخ، عند العرب بخاصة، حيث نجد في تراثنا بعض التداخلات في النصوص في كتب التفسير، وفي كتب المتصوفة، مثل كتاب الطواسين للحلاج، وكتب أخرى مثل كتاب (الجفر) المنسوب لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه. كل ذلك وربما غيره أفاد منه أدونيس في إنجاز مشروعه الكبير (**الكتاب**).

إن مسألة تداخل الأنواع شهدت ما يشبه الثورة في العصر الحديث، وكانت تقدم رحابة قل نظيرها للتجريب والانفلات من ربقة الجنس الصارم المحدد، بحيث تتيح للكاتب أفقاً أكثر سعة لأفكار قد تكون مهمة وضرورية، فهذا عز الدين المناصرة يذكر "إن مبدأ التجانس بين الأنواع لا مفر منه، وهو مرغوب فيه من أجل تقوية الجنس العام"[١٤] لا سيما وأن هذا المسلك يغري في الانفتاح على مجمل أشياء من روافد متعددة أنى كان مصدرها، مكانا وزمانا، حيث "الأدب المعاصر – بخاصة- يؤمن بقيمة الحركة والتحويل، ولا يؤمن بالثبات والسكون"[١٥]، ما حملنا على هذا المسار هو النقد الفكري الأدونيسي في مصنفه، موضوع هذه الدراسة، ومدوناته حافلة بالنصوص المتحولة باستمرار، بل تقوم على إستراتيجية خاصة به، لا سيما في مسألة تداخل الأجناس. وهنا يظهر سؤال مهم: إلى أي حد يمكن تبرير هذا التداخل وحجمه في المصنف؟ وإلى أي مدى يذهب المبدع في توليدات أجناس أخرى ضمن مصنف واحد، وما الهدف من ذلك؟

إن التسويغ الأساسي لكتابة هذا النمط من القصائد، يكمن في شغف أدونيس وإيمانه بحركية التحول المستمر وصولاً إلى أقصى درجات الإنجاز المختلف عما هو موجود في الساحة الثقافية، وبخاصة الشعرية، لتعزيز حضوره الإبداعي المتجدد عبر تاريخه وحياته، وهذا يحسب له، لا سيما وأنه قدم كثيرا للدرس النقدي العربي، بحجم لا يقل عن مشروعه الشعري الحداثي. من هذه المنطلقات يكون من الممكن العبور للمجال التطبيقي لتنوير بعض القضايا المهمة في منجز أدونيس الشعري في (الكتاب) موضوع هذه الدراسة، مع الإشارة هنا إلى عدم الالتزام الصارم بمنهج محدد للدراسة، ذلك أن مضمونات الكتاب وشكله يحمل المتلقي على الإفادة من غير منهج، لا سيما التحليلي وبعض المناهج الحداثية، التي لها علاقة بالتلقي ونظرية التجاوب.

يرى الناقد الغربي (بيير دينو) في كلامه عن أدونيس[١٦]، وبخاصة ما يتعلق بالشعرية، أنه يطمح لكتابة قصيدة كاملة تستطيع أن تستحضر كل الأنواع الأدبية وحتى أشكال أخرى من الفنون،

وتحقق تلاقي العلم والحلم، والإجابة الوحيدة الممكنة على القمع المزدوج للتقنية والدين، نحن هنا نبدو بعيدين عن هذه القصيدة طالما ما زلنا متمسكين بمفاهيم الخصوصية والنقاء، تلك اليوتوبيا التي تصورها قصائد زمن المدن، هذه القصائدة الواسعة متعددة الأصوات، حيت يتعايش الإيحاء والسرد وتتكاثر الطرق، وتتداخل الأماكن، والأزمنة وتضفي على التاريخ النبوة" قد نتفق هنا مع هذا الرأي، ولكن في قسم منه، ذلك أن الطموح المطلق قد يكون متماشياً مع إستراتيجيات النصين الأدونيسي ونصوص مالارميه، وليس الانفلات المطلق من كل ما كان ممكن، فهناك مفاهيم سواء في الخصوصية أم الدين يمكن استمرارها، وتشكل ضرورة للوعي بالكون والحياة والعالم، وهناك أشياء يمكن الحوار فيها والابتعاد عنها، في محاولة لتطور المفاهيم، ومن هنا يمكن القول: إن أدونيس كان واعياً لهذه المسألة، في رؤيته للتجاوز والتخطي والاتباع والإبداع، التي تعد أساساً لرسالته وكتابه الموسوم: (الثابت والمتحول)، ولهذا حاول أدونيس في (الكتاب) بأجزائه الثلاثة حيث استثمر حركية الأجناس الأدبية في النص – المدونة – والنصوص التي استثمرها وجعلها عابرة للكتاب، في غالبيتها تتوزع بين أنساق ثقافية من التاريخ وأنساق معاصرة وأخرى حداثية من نصوص أخرى، على سبيل التناص بأشكاله المتنوعة، بما يتناسب مع موضوعة النص وفكرته.

تولع أدونيس بما يتسق وطموحه في هذه المسائل من التحول والتجريب والنهوض بالدرس النقدي وحركية الإبداع، فالكتاب بالنسبة لديه، ومن وجهة نظر الباحث الحالي، مشروع ضخم، ليس وليد اللحظة وإنما منذ مشروعه في الثابت والمتحول، ولهذا سبق وأن اتجه لتسمية الكتاب في غير مصنف له، وفي غير قصيدة، حيث سبق له أن نشر كتاب التحولات والهجرة في أقاليم الليل والنهار، وكتاب التشبيهات والبدايات وكتاب الحصار ... إلخ، وكما ذكرنا أفاد من التاريخ من تسميات لكتب مهمة اتخذت حضورها التاريخي والعالمي، مثل كتاب سيبويه وكتاب مالارميه....

شعرية التنوع والترسيمات البصرية في مدونة (الكتاب):

١) جاء ترتيب الكلام وفق إيقاع معين، لا يتجاوز النص المفرد –الواحد– على الورقة، والنص الثنائي والنص الثلاثي، والنص الرباعي على الورقة، من حيث الفضاء البصري الطباعي، وهذا يشير إلى وجود قصدية في التوزيع، ويكون المتلقي وفق هذا المسار أمام نص مركب ونص غير مركب، فإذا كان في النصوص النثرية يحدث هذا فعمل أدونيس على أن يكون هذا المنحى في الشعر، ففي

النثر نجد تداخلات للأنواع عابرة للقصة والرواية مثلا، ويكون ما يسمى على سبيل المثال القصة الإطار في الرواية، وفي بعض النصوص التراثية والحداثية، ولم نعهد هذا في الشعر بشكل لافت، إلى في مثل هذا النص، على حد علمنا، فهنا يبدو بجلاء النص المؤطر داخل نص، على فضاء ورقة واحدة.

إن توزيع الكلام على الفضاء البصري مهم، وله توظيفات ودلالية التفتت إليها الدراسات النقدية الحديثة، وراحت تأخذ مساحة مهمة في تحليل النصوص، حيث الشكل مع المضمون يقدمان وحدة عضوية دالة تتواءم لإنجاز ما يوجد خلف السياق، فصف الكلمات على الصفحة يمكن أن يقف عليها المتلقي؛ إذا كانت موظفة بطريقة واعدة، وأدونيس خبير وله تجربة في هذه المسألة عبر دواوينه المتنوعة، لكنه هنا يستثمر إضافة للتوزيع الأنواع الأدبية وجعلها عابرة لنص الكتاب، فنجد الشعر والتاريخ والقص والخبر والمثل...إلخ، ومن هنا يكون على المتلقي حب البحث في مساحة الميتا نص والرجوع لبعض الأنساق الثقافية المتنوعة، التي يمتح منها أدونيس، ويشير هذا الحدث الكتابي، إضافة لفعل التجريب والتحديث والتحول للنص الشعري، إلى موسوعيته، وقدرته على اختيار مختاراته العابرة لنصه وتفعيلها، بشكل يصب في إستراتيجية النص وينتج خطاباً متفرداً، ولهذا لا يمكن تجوز أي إشارة أو ملمح يضعه ويضيفه أدونيس إلى نصوصه، ومن هذه الزاوية أتكلم على علاقة التشكيل الذي يبدو قصدياً على حد بعيد. يقول مالارميه: "لتنظيم الكلمات في الصفحة مفعول بها، إن اللقطة الواحدة تحتاج إلى صفحة كاملة بيضاء – أحيانا – وهكذا تغدو الألفاظ مجموعة أنجم مشرقة. إن تصوير الألفاظ وحده يؤدي لأشياء كاملة وعليه فالفراغ متمم"(١٧) بمعنى أي حركة على فضاء الورقة بصرياً يلعب دورا في تثوير دلالات معينة في السياق. وهذا الاستثمار لفضاء الورقة بصرياً يجعل من البياض مادة قابلة للقراءة كما لو نص من نصوص التوازي أو نصوص الموازاة، ويصبح للفضاء – الفراغ معنى يمكن للمتلقي الكلام عليه نقدياً.

ومثال ذلك النص التالي:

أ- تشكيل مفرد: تحت عنوان: الأوراق – (أوراق عثر عليها في أوقات متباعدة، ألحقت بالمخطوط) نجد في النص التالي تمهيدا لبدايات التشكيل، ثم يتحرك أدونيس باتجاه أشكال نصية تتوزع بصريا على الورقة: على اعتبار ما نجد في الشكل (١) من تشكيلات ترسيم النص على الفضاء البصري وتوزيعه.

(ورقة بلا رقم)

لِمَ لا أرى غير الفرات؟

ألأنه لغة التراب – حروفها

زهر وعشب؟

ألأنه رحم الصداقة – يلتقي

فيه النقيض نقيضه؟

ألأنه كبد الطبيعة – تنحني

فيه البلاد على البلاد، وينحني

فيه النبات على النبات؟

الأرض نائمة على أنقاضها والوقت يوغل في السبات،-

لِمَ لا أرى غير الفرات؟[١٨]

جاء هذا النص دون تأطير، وبلا رقم توثيقي، ليحمل المتلقي على أن النص أتى به المتنبي في المخطوط على أنه لمجهول أو له، والتعمية هنا ليبقى التجرد في تناول الدلالة والمعنى في النص من قبل المتلقي تتكشف باستمرار، ويناقشه بوصفه نصاً بمعزل عن المؤلف، مع أن النص من نمط قصيدة التفعيلة الذي تم اجتراحه مع الإرهاصات الأولى للتجديد، ولم يكن هذا النمط من الشعر معروفاً أيام المتنبي، لكنه في مضموناته يشير إلى العراق موضوعاً، وما يتلقاه منذ فجر تاريخنا العربي من مآسٍ وحروب، وصراعات بينية، مع أنه أرض الخصوبة والبعث والتجدد، وعلى أرضه درجت حضارات، وديانات وثقافات، ومع ذلك هو الوجهة المعنية بسيرة فكرية علمية دموية...إلخ؟ والتساؤل الذي يطلقه أدونيس (لِمَ) مشيراً إلى مركزية السؤال (العراق) ويتبطن في النص دلالات عميقة، تشير إلى جملة من الأسباب التي تجعل المآسي تحل بالعراق... والتركيز عليه لتهديمه فكراً، وأرضاً، وشعباً، وحضارة... إضافة لما يعنيه من أبعاد تشي بمركزيته لحضارتنا العربية الخالدة. والرسالة الهادفة تصل للمتلقين بهذه القسوة السوداوية الفجائعية (لم العراق ؟).

أما الشكل الثاني [١٩] التالي، فقد استثمر أدونيس فيه تشكيل إطار يحتضن بداخله نصا شعرياً، وقد أضاف إليه نصا موازيا، كما لو كان هامشا جانبيا، وأما موضوعا، فقد اختار شاعراً إشكاليا هو لقيط بن يعمر الإيادي، وها هو الشكل:

ا **لقيط بن يعمر الإيادي** أفزعت إيادا، لكن لم يتردد كسرى في قطع لسانك هل كنتَ أسيرَ وفاءٍ أم كنت أسير بيانك؟ قل لإياد: شِعري صار الآن، لساني، قل لِلشعر: احضُني، - سَوّيتك أهلاً.	كان كاتباً في ديوان كسرى، سابور ذي الأكتاف. رآه ينوي غزوة إياد، فكتب إليهم رسالة – قصيدة يحذرهم. وقعت الرسالة بيد كسرى، فقطع لسان لقيط، وغزا إياد، يقول في القصيدة – الرسالة:"يا لهف نفسي، إن كانت أموركم شتى، وأحكِم أمر الناس، فاجتمعا"

الشكل (٢)

جاء البعد البصري والتوزيع للكلام بترقيم لاتيني في مواقع معينة في الكتاب، وبعض الترقيم بحروف الأبجدية العربية، وهذا يستدعي السؤال لماذا هذا الترقيم الذي يتداخل فيه النسق الثقافي والمعرفي العربي وغير العربي؟ لعل أدونيس يحاول الإفادة من الحضارات الإنسانية، وصهر منتج اللغة وتحولاتها عبر الزمن، من خلال فضاء التراث والتاريخ في الحضارة العربية والإنسانية معاً، ولهذا فهي في بعض نصوصه قد تستدعي القراءة في دراسة أخرى، تتناول الخطوط والترقيم وتحولات الرقم العربي عبر زمانه ومكانه، ويمكن الإشارة هنا إلى أن أدونيس يقدم ما يتسق ونصوصه في هذه المدونة ضمن رؤية معرفية وقصديه، مثلما أفاد، مثلا، من توظيف الأسطورة الفينيقية وأساطير البلاد السورية، غالبا، لإيمانه في مرحلة من مراحل حياته بالحزب القومي الاجتماعي السوري وأيدلوجيته، حيث أعاد إنتاج الأسطورة بطرق مباشرة وغير مباشرة، لتمكين القصيدة العربية من احتضان ثقافات وأنساق ثقافية أخرى جرياً على عادته في التجريب والتحديث، ليس في الشكر فقط وإنما في

المضامين والموضوعات والأساليب وحتى في الإيقاع، ثم جعل النص الشعري، هنا، ضمن إطار مغلق، كما لو نص عبر النص، وجعل الكلام عن حدث تاريخي يحدث للشاعر العربي لقيط بن يعمر الإيادي، الشاعر الجاهلي، وعده البعض من فحول الشعراء، وكأني به يريد استحضار قصة هذا الشاعر، وهنا يتداخل السرد التاريخي القصصي مع الشعري، وأراحنا أدونيس بوصفنا متلقين من عناء البحث في المصادر التاريخية، مع إتاحة الفرصة للتأكد لمن أراد، رغم أننا توثقنا من ذلك للأمانة العلمية، إذا نحن أمام نص على النص. وهذا الحدث كان بمثابة الوثيقة الشعرية المهمة، من بعض الجوانب، التي تعمل على ترهين اللحظة وتحيل إلى نفسية العربي وشهامته، والتزامه بنظام قبيلته وعرقه، ويذكرنا هذا الكلام بقصة زرقاء اليمامة مع قبيلتها التي أيضا حاولت إنقاذها. ويبدو أن توظيف تقنية النصوص الموازية أساسيه في مدونة الكتاب ومنها الشكل السابق المتكئ على نظرية التناص.

يرسم أدونيس حالة الشاعر النفسية والوفاء الذي يختمر في قلبه ووجدانه، وفي الوقت نفسه بشاعة التعذيب للشاعر بقطع لسانه، وكأني به يحاول تقديم فكرة وحالة مهمة تجعل المتلقي يعيش بين زمنين، فيقارن حالة العربي في العصور اللاحقة، وحتى اللحظة، ويرى مدى الوفاء والانتماء للمكان والمجتمع الذي ينتمي إليه، والتضحية التي في نفس العربي، أما الآن فالوضع مختلف مشبع بالخيانات والانحرافات، ثم تمكن أدونيس أن يجعل سحر البيان وأثره في ذات الشاعر وفيمن يتوجه له الكلام، ويتأثر نفسيا ومعنوياً، فكان البيان الشعري لدى لقيط هو سبب قطع لسانه، مصدر الكلام، ومن هنا كانت العبارة (شعري صار لساني) فقد قطع التعبير، حيث الكلام يجري على اللسان، فهذا النص لقط مشهدية مسرحية درامية في آن، على قصرها.

يبدو النص هنا مشهدياً، إذا ما أردنا الفحص الفني، من خلال إجراء حوارية مع لقيط وذلك عند قوله موجها الكلام إلى لقيط: (أفزعت إياداً) وهي قبيلة الشاعر التي حاول الشاعر أن ينقذها، ولكنه فشل لاكتشاف أمره، وكانت النتيجة أن غزا كسرى قبيلة إياد وأعمل فيها الدمار والخراب. وفي هذا المقام يمكن الاستدلال من القصيدة من ناحية تاريخية اجتماعية، في الوقت نفسه، حيث بدا النص يقدم تصورا معينا من سلوكيات المجتمعات الجاهلية والحضارات القديمة، ويعطي مؤشراً على حالات الحرب والغزو وحالات معينة من التعذيب البشع الذي كان يمارس في المجتمعات القديمة، وقد يقارن هذا بما يمارس في العصر الحالي رغم الحضارات التي تبدو ظاهريا متقدمة، ومن هذا الجانب يمكن أن تثير النصوص في هذه المدونة مسائل يمكن دراساتها عبر مناهج أخرى خلاف المنهج التحليلي والوصفي،

فقد تدرس من جوانب نفسية وتاريخية وغير ذلك، فهي نصوص رحبة ومكتنزة بدلالات عميقة. وقد تثير تساؤلا مهما لدى النقاد مثل: هل يصلح النص بهذه المضامين وطرائق التفكير والأساليب ... إلخ لتكون وثيقة على العصر الذي كتبت فيه، وهل يمكن استنباط عادات وقيم وأخلاقيات معينة وممارسات يتصف بها شعب دون آخر؟

هذه النصوص في مدونة أدونيس (الكتاب) ومن خلال هذه الإستراتيجية، تصبح حقيقة منجما للمعرفة وطرائق التفكير التي تثير حركية النص الإبداعي ومدى التجريب والتحديث في بنية القصيدة العربية شكلاً ومضموناً وهذا يحسب للشاعر، لا سيما أنه شاعر وناقد في الوقت نفسه، وأسهم في عمليات التحديث على المستويين الشعري والنقدي، مع مجموعة من النقاد المهمين الذين لهم اشتغالات في هذا المسار ولا يمكن تجاوزهم بسهولة، من أمثال يوسف الخال وأنسي الحاج ونذير العظمة...إلخ.

أما الشكل الثالث الآتي (٢٠) فهو:

همس الراوية –
للرواة، لأقلامه:
هو ذا المتنبي –
وطن آخر يتحول
يخرج من أرضه،
ومن نفسه
وكأني أرى حوله،
حيثما سار، نخلاً
يتقوس، يصنع
من جِذعِهِ
غارَ وحيٍ وشعرٍ.

-١-
للسماوة وجهتُ وجهي، في
البادية
بين أحضان سر بعيد،
سأصمتُ صمتَ الجذورِ: يكون
في الضوء بيتا
وتكون البداوة أبعاده الحانية.

. * تبكي النجمة، –
دمعُ النجمة ليلٌ

الشكل (الثالث)

يتشكل النص بصرياً من حيث توزيع الكلام من ثلاثة نصوص، نص يقدم تسريداً كلاميا للراوية الذي ينقل الخبر أو الحدث، وعلى لسانه، وهذه التقنية موجودة في القصة والرواية، وتسمى: تقنية (الراوي – على لسان الشخصية)، ومدار حديث الراوية يتحول إلى راوٍ يتكلم عن الرواة، على وجه العموم، وهذا أيضا له مرجعية في العربية القديمة، لا سيما في العصور العربية الأولى، من العصر الجاهلي، التي احتضنت مصطلحات معينة، وكان مصطلح (الراوية) يطلق على راوي الحديث بالإسناد، ويجمع على رواة وراوون، وقد وظَف في الحديث النبوي الشريف ثم أفاد منه النقاد القدماء فأطلقوه على من يحفظ النصوص من الشعر بخاصة، وينقلها بين الأمصار والناس، من أمثال حماد الراوية وغيره، وأصبح هذا المصطلح عابر للزمان والمكان، فهو إذا خلاف الراوي الذي يدير السرد القصصي والروائي وما إلى ذلك، وهذا النص كما هو متبع بتشكيله يستثمره أدونيس على مدار مدونته (الكتاب) يفرده خارج الإطار الحاضن لشعره، كما لو محاولة لتشكيل يشي بصفحة منفصلة متصلة في آن، تتعالق مع التاريخ والخبر والجنس الأدبي المحايث للنص. ويأتي داخل الإطار نص آخر يفصل عنه بخط أفقي، يبدو كما لو هامش على النص المؤطر، ولم يكتف بذلك، فالقارئ لهذا النص يجد التماهي بين شخصية المتنبي وشخصية أدونيس كما لو قناع، والنص الأكثر انحيازا لأدونيس يبدو في الهامش، فالنص ما فوق الهامش يقدم سيرة المتنبي والمتعالق مع أدونيس، ولا سيما في الحياة والمعاناة من واقع معين، ويشقان طريقهما في كون مختلف غير متصالح معهما، ولفظة السماوة تنقل لنا بشكل خفي سيرة المتنبي وهي مدينة على ضفاف نهر الفرات في العراقي، وقد ضمنها المتنبي أشعاره في غير مكان، وتحتضن أحداث مرّ بها المتنبي.

يذكر الراوي– السارد سيرة المتنبي وعلاقته مع الرواة وأقلامهم، وكيف يخرج من العراق ومن وطنه، لقوله: (هو ذا المتنبي، وطن آخر يتحول، يخرج من أرضه ومن نفسه) فقد جعل أدونيس من المتنبي أمة قائمة بذاته ووطناً كاملاً، رغم أنه انسلخ عن وطنه – جغرافيا – وحتى من نفسه دلالة على حجم المعاناة، التي لقيها في عصره، لهذا يرى أدونيس في المتنبي وفي خروجه بعثاً آخر وخصوبة متجددة وكوناً آخرَ في الكون، لهذا جاء بصورة فنية فيها من البعث والخصوبة، فلم ينته المتنبي وإنما في خروجه من وطنه سجل عبورا لعالم مختلف منتج وخصب، شعراً ومكانة، ووجوداً، وهذا المنحى يتماهى مع ما واجهه أدونيس في مساراته الحياتية والشعرية بخاصة، مع جماعته والمؤمنين بخطاه، من حيث إنجاز مشروع متقدم يتسق مع العصر، ومنهج التحديث في النص الإبداعي العربي

بخاصة، وفي مسألة التفكير النقدي المحايث للقصيدة، وكلنا يعلم ما واجهه أدونيس وعبر عنه في تجديد اللغة الشعرية والأساليب الفنية في اللغة والأدب، فدربه كانت محفوفة بالمخاطر، ولعل تأسيس مجلة شعر، ونصوصه ونصوص جماعة شعر تسند ما ذهبنا إليه من قول، وكلنا يعي الصراع بين الاتجاهين: القديم والتقليدي من جهة والحداثة بوصفها مشروعاً من جهة أخرى، ويظهر ذلك حتى منذ المحاولات الكتابية التنويرية المهمة في مجلتي الآداب وشعر، حيث بدا الفرق واضحا بينهما، كما لو بين فرقاء؛ منهم من ينتصر للقديم وأساليبه ومنهم من ينتصر للحديث ويمجده، ومنهم من كان توفيقيا إلى حد ما، وهذه الحركة نتج عنها رؤى وطروحات فكرية ونقدية وإبداعية مهمة تمكنت من تحريك الساحة الإبداعية، بحيث تجاوز المشتغلون بها ما جاء به عصر النهضة، والمدارس النقدية التي سادت لفترة طويلة، مثل مدرسة الديوان وأبولو وما جاء به شعراء المهجر قبل الستينيات من القرن الماضي.

أما الشكل الرابع فهو الآتي: ويأتي بتحويرات تابعة ومتنوعة عما سبق، من حيث التوزيع البصري والدلالي على الورقة، حيث لم يكتف أدونيس بنصين بنصين فقط على فضاء الورقة، وإنما حاول تقليص مساحة البياض، وكثف من مساحة الكلام المكتوب على يمين الإطار وعلى شماله بدلا من اليسار فقط أو اليمين فقط، وبذلك فتح المجال لقراءات أخرى أكثر توسعا، وأكثر شمولاً لاستيعاب وجهات نظر وأساليب فكرية وبيانية في النص. ومثال ذلك الشكل الآتي:

بيتي؟
البحر
يهي كل
كم يملأها

طبريا
والإشارة
بن
إبراهيم
اللاذقية

– أ –
عشِقتني البحيرةُ، لكن من أمرْوا عليها
كرهوا أن نكون عشيقين، أن نتغنى
بصفاءاتنا –
يَسكرُ الأفق منا،
ويَسكرُ فينا،
ويلابسُ أطرافنا،
هو ذا، أترحلُ نحو التنوخي، أمضي
مودعاً بعض ما فيَّ فيها –
أَتراهُ الترحلُ

——
مفردَاً وحده،*
والضياءُ الذي ينبجس من وجهه،
شاهدٌ.

اليوم،
شواطئه،
صمتاً
— بحيرة

إلى علي

التنوخي في

(الشـــــكل ٣)

ص(١٨٥) من الكتاب

يستثمر أدونيس التنوع في فضاء الورقة والذي لم يأت عبثا، ذلك أن مثل هذا الفضاء يقدم للمتلقين وجبات متنوعة أيضا، بالإضافة للشعر وشعرية النص ببنياته المتنوعة، ذلك أن أدونيس يضيف إشارات لافتة وذكية تستجلب ذائقة نامية ومتحولة عما اعتاد عليه، وبخاصة عندما يشحن محتوى النص ويضيف إليه اختيارات شتى من الأحداث التاريخية في تاريخنا العربي وحضارتنا وتراثنا، وبعضها يكون إشكاليا وبحاجة للتأمل، حيث أن مثل هذه المسائل أشغلت بنية التفكير العربي عبر قرون وكانت مثار سجال، ومنها كان الخلاف وليس الاختلاف، حتى وصل الأمر في بعض المفاصل التاريخية إلى إراقة دم العربي لأخيه العربي، ومن هنا تأتي فلسفة استحضار هذه النصوص بهذه التشكيلة القصدية على فضاء الورقة بحيث تدمج الحدث نثرا مع النص الشعري، وفي ذلك دعوة المتلقي لمعالجات قرائية متنوعة، والدعوة إلى نقد غير مباشر لما كان يسود: اجتماعيا وفكريا وسياسيا، وفي الوقت نفسه، لفت الانتباه لمثل هذه القضايا الساخنة التي تفرق ولا تجمع، وهذا يتجلى من الأمثلة التي ذهبنا إليها سابقا في النصوص الشعرية التي تأتي على فضاء ورقة تتوزع بين حدث مفصلي، وخبر أو رواية، وزمن وسياق تاريخي معين، ومن ثم هامش على كل هذا وذاك، ويتم ترك الأمر للمتلقي للمعاينة والوصول إلى محاولة لتصحيح مسارات أدمت القلب والروح والوجدان، ومن هنا تكون أشعار أدونيس بهذه الكيفية كما لو (قرآن الشعر) لو جاز التعبير، عن هذا الكتاب تيمنا بتسمية قرآن العربية عند سيبويه.

إن التشكيل الفضائي والترسيمات الفضائية، والأبعاد البصرية للنصوص على فضاء الورقة، إضافة إلى حركية العتبات النصية والنصوص الموازية، سيحتاج إلى بحث آخر مستفيض، لتبيان علاقة التوزيع بالنص وبالتاريخ وبالحداثة، وإجراء دراسة مقارنة بين النصوص في تاريخها مقابلة مع ما يعيشه الإنسان العربي الآن، نقول ذلك لأن الاختيار لأساليب كتابية فيها هندسة فكرية، بطريقة أو بأخرى، كثيرا ما تحيل إلى ضرورة تبين الهدف من ورائها، وكما نعلم أن الاختيار هو ضرب من النقد وبخاصة عندما يكون مستندا إلى فكر إيديولوجي معين.

نلفت الانتباه هنا إلى مسألة فنية يمكن أن تعطي مفتاحا وإجابات لطرائق التعبير، وتمثل وعي أدونيس بأساليب كتابية تفتح آفاقا للقراءة، لتداخل النصوص مع فنيات تم استجلابها من أنواع أدبية أخرى، وأعني هنا مسألة التأطير والحوارية وما تضيفه هذه الأشياء للنصوص مدار البحث في هذه المدونة، نقول ذلك لأن مستويات التشكيل والتوزيع للكلام على الفضاء البصري يضمر ما يعرف اصطلاحياً بـ (السرد الإطار) وهذا النمط مستجلب من أحداث وأخبار وحكايات

متداخلة، وهنا تبدو نصوص مدونة الكتاب في هذا الاتجاه، لتداخل الخبر والحدث والحكاية في متن الشعر، يقول جيرالد برنس في معجمه حول هذا النوع الكتابي ويعرفه بالآتي: "إما سرد يَطمر سردا أو يُطمر فيه سردٌ، سرد يؤدي وظيفة إطار لسرد آخر، وذلك بقيامه بوظيفة القاعدة الخلفية التي ينطلق منها"(٢١) ويضيف برنس " لعل أعظم مثل للسرد الإطار في تراثنا هو كتاب ألف ليلة وليلة"(٢٢) يحاول أدونيس في هذا النص التراكمي المتداخل والذي يدمج بين الحدث والخبر والحكاية أن يصل لطموحه كما سلف من إنجاز نص متجاوز للأنواع الأدبية وحاضن لها في الوقت نفسه، فنصه هنا يمكن التمثيل عليه بالآتي:

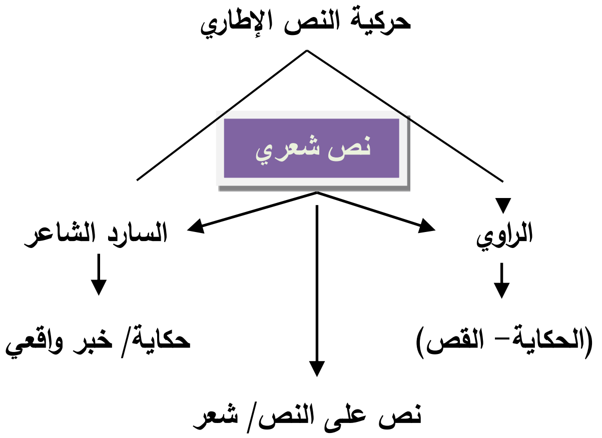

(شكل توضيحي لحركية النص المتعالق مع نصوص أخرى حاضن لنصوص حكائية إطارية)

هذا التشكيل والترسيم على فضاء الورقة، والحاضن لأنواع أدبية متداخلة، يحمل المتلقي على الوعي بمرجعيات مثل هذه النصوص، المتشكلة على ما يسميه جيرار جنيت (جامع النص) حيث أصدر جنيت كتابا بهذا الاسم، وبالتالي يتوجه مسار القراءة إلى أنساق ثقافية مستجلبة من أجناس أدبية أخرى، تاريخية وتراثية ومعاصرة، وتسمح بها نظرية التلقي من جهة وحركية التجريب المنسجمة مع مسار الحداثة الشعرية المعاصر، حيث تؤسس هذه الكتابات لشعرية حداثية متجاوزة ومتخطية لكثير من النصوص الاعتيادية والتقليدية، ويمكن أن نطلق على هذا اللون من الكتابة (الكتابة العابرة للأنواع)، وبالتالي يصبح الكلام عليها نقدا يحتاج إلى ثقافة موسوعية ولاسيما وأن شخصية الشاعر

هنا تتماهى مع القناع الذي يعادل شخصية علي بن إبراهيم التنوخي، وعابرة في الوقت نفسه للقناع الأساسي الذي يستند إليه أدونيس وهو المتنبي، ومن الرجوع للمصادر التاريخية نجد أن التاريخ من وجهة نظر بعض الكتاب والمؤرخين والنقاد وفي مقدمتهم أدونيس قد ظلموا الإمارة التنوخية في بلاد الشام، ولم يتوسعوا في الحديث عنها، وبخاصة تلك المرحلة التي وفد بها أبو الطيب المتنبي إلى اللاذقية وإمارة حلب، ويحاول أدونيس أن يعيد الاعتبار لما تجاوز عنه بعض المؤرخين والكتاب، ولمزيد من أخبار التنوخيين يمكن العودة لما ورد بشكل عابر لدى المؤرخ اليعقوبي(٢٣).

يحاول أدونس كذلك في هذا الاتجاه الإشارة إلى علي بن يوسف التنوخي القاضي والشاعر والأديب المهم في ذلك الزمان، والصراعات التي حدثت زمن التنوخيين، وحتى بين التنوخيين أنفسهم، فقد جاء في ديوان المتنبي ثلاث قصائد مهداة إلى الحسين، أخي محمد بن إسحاق، الذي تولى إمارة التنوخيين بعده، وكان شاباً جميل الطلعة ومحارباً مقداماً عمت مآثره وأخبار كرمه آفاق البلاد، كما يقول بلاشير في دراسته عن المتنبي، الذي جعل وفاته سنة ٣٦٨هـ نقلاً عن لويس شيخو في شرح مجاني الأدب، والذي أعلمه أنه في سنة ٣٥٦هـ كانت اللاذقية بيد الأمير علي بن إبراهيم بن يوسف التنوخي ابن عم الحسين، إذ أورد هذه الإشارة ابن النديم في كتاب (زبدة الأدب في تاريخ حلب)، وبهذا إما أن يكون تاريخ وفاته خطأ إذ إن بلاشير لم يطمئن لهذا التاريخ، فقد عقّب عليه بقوله: "ولا نعلم مصدر هذا الخبر الذي اعتمد عليه لويس شيخو" أو أن علي بن إبراهيم خلع الحسين الذي توفي بعد ذلك في التاريخ الذي أشير إليه، فقد كان ثمة صراع بين التنوخيين أنفسهم؛ إذ كان ليوسف بن إبراهيم ابنان: اسحاق وإبراهيم ولأسباب نجهلها استأثر أبناء إسحاق بالإمارة دون أبناء إبراهيم الذي أرجح كونه الابن الأكبر ليوسف وذلك من اتفاق اسمه مع اسم جده والعادة أن يسمى الابن الأكبر باسم الجد، فلذلك نظر أبناء إبراهيم إلى أبناء عمومتهم نظرة المغتصبين، والذي يؤكد ما ذهبت إليه أن المتنبي لم يرث الحسين بن سحاق وكان قد رثى قبله أخاه محمداً. وقال المتنبي يخاطب الأمير عليا:

وقد مزقت ثوبَ الغيّ عنهم
وقد ألبستهم ثوب الرشاد
فما تركوا الإمارة لاختيار
ولا انتحلوا ودادك من وداد"(٢٤)

يصل المتلقي من خلال هذه النصوص إلى مسائل ساخنة ومهمة في تاريخ الأمتين العربية

والإسلامية وتراثها، يأتي بها أدونيس لإعادة التفكير في تاريخنا وما حدث في حضارتنا، وكأني به يدعو إلى المقارنة مع العصر الحالي وما يحدث من صراعات في الحكم والسياسة والمجتمعات، وما يحدث من تهميش لبعض الشخصيات المهمة على صعيد الفكر والثقافة والأدب. وهذا ينطوي على إحساس داخلي لدى أدونيس وما جابهه من صراع مع الأوساط الثقافية السائدة والسجال الوارد حول منتجه الإبداعي بعامة، والشعري بخاصة منذ راح يكتب وينتج بأساليب مغايرة للواقع التقليدي والاعتيادي، لتحريك الساحة الراكدة نحو أفق معاصر لمواكبة الحضارات الأخرى في مسيرتها الإبداعية.

تشير ناقدة حديثة إلى حكاية أدونيس مع كتابه – الجزء الأول – فتقول متسائلة: هل يستطيع أدونيس أن ينفذ إلى الوعي الجماعي، وهل يأمل تحقيق حلمه البعيد (الكتاب) الذي يُتوقع فيه وله أن يوقظ تيارات الوعي الجماعي ويوجهها نحو الخروج من النفق المسدود؟ وهل تكون امتدادية القول السردي لفواجع التاريخ العربي في (الكتاب) مطيته الجديدة، لتحقيق ذلك"[٢٠]. وتحاول الناقدة هنا أن تجيب فيما يتعلق بالأحداث التاريخية المهمة التي تناولها (الكتاب) قائلة: "إن حكاية القهر الإنساني هي حكاية أزلية بدءاً من هبوط آدم إلى الأرض، ومرورا بقهر الإنسان العربي عبر تاريخه"[٢٥]، ولم تتابع مناقشة هذه المسألة كما يجب، والتبرير أن الناقدة تناولت فقط الجزء الأول من الكتاب، ووعدت باستكمال الكتابة على الموضوع، ولعل في ذهنها أن تتابع الكتابة على الأجزاء المتبقية. لقد أجاب أدونيس عبر إصداراته المتتابعة على ما أثارته من مسائل، ثم إن هذا الكلام، وربما غيره، يذكرنا بكتاب الثابت والمتحول ذائع الصيت بمجلداته الثلاثة، الذي ناقش حركية النقد والعربي والشعر العربي، وعلاقات الحداثة في الفكر العربي، لا سيما في الجزء الثالث من هذه المجلدات الموسوم (صدمة الحداثة)[٢٦].

لا يمكن تجاوز هذا الكتاب وما يماثله، لأنه يؤكد على ضرورة الوعي بالفكر العربي وبالشعر العربي وتحولاته، وبيّن (الكتاب) بأجزائه الثلاثة أن الشعر، عبر تقنياته وأساليبه الحداثية التي استوعبت زمنا طويلا وتراكمات فكرية عبر السياقين الزماني والمكاني، وتمكن أدونيس باستناده للغة العربية الرافدة باقتدار لكل ماهو حديث ومعاصر، واستناداً لتجربته الواعية من تناول حركية الفكر والأدب والشعر والنقد، في هذا المصنف الموسوعي، حيث عمد إلى عدم تجنيسه، فلم يقل عن (الكتاب) بأنه شعر، أو نثر، أو نقد...إلخ، وهذا يحسب له، لأن أدونيس يدرك تمام الإدراك خطورة التجنيس باتجاه واحد في هكذا مشروع، وقد جانبت أسيمة درويش الصواب، ومن ذهب إلى تسمية

الكتاب بديوان شعري، فمثل هذه المدونات تمكنت من استيعاب إشكالات تاريخنا العربي، بما فيه من أحداث وصراعات، منذ مطلع العصر العباسي وحتى تباشير الحداثة وهباتها على عالمنا العربي، لما فيه من تموجات التنوع والاختلاف، وصولاً للحداثة المعاصرة، وكذلك ما نجده في كتاب فاتحة لنهايات القرن[٢٧].

يحاول أدونيس بشكل أساسي، نقد الفكر العربي، والحضارة العربية المعاصرة التي تراجعت مؤخرا، أمام الهزات العنيفة التي تعرضت لها الحضارة العربية، من الغرب بخاصة، فمشروع أدونيس في مدونته (الكتاب) وفقا لما ذهبنا إليه يبدو مع كتب ومصنفات أخرى، كما لو امتداد لمشروع أدونيسي ضخم لأن ذلك بمثابة مساءلة الفكر العربي وما آل إليه، ويتبطن فيه دعوة صارخة لإعادة الاعتبار لتاريخنا وثقافتنا الفكرية والأدبية، وهنا يمكن القول أن أدونيس في مشروعه هذا لا يقل أهمية عن مشاريع عربية نوعية أخرى، بل أراه متمما ومكملا لمشاريع جاء بها في عصرنا الحديث بعض المفكرين والنقاد العرب من أمثال: إدوارد سعيد، ومحمد عابد الجابري وهشام شرابي وكمال أبو ديب ومحمد أركون وحليم بركات... والقائمة تطول. من هذه الرؤية علينا أن نلتفت لمشاريع نوعية أتى بها هذا المفكر والشاعر والناقد المشبع بثقافات فكرية تتنوع وتقدما (ما هذا؟) مائدة مهمة وغذاء فكريا لا غنى عنه في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية محليا وعربيا ودوليا.

حركية الإيديولوجيات في الكتاب:

ما تقدم من آراء، قد يظهر، وهو يظهر غالباً، الحس الإيديولوجي في نصوص أدونيس، وهذا ما يمكن الوقوف عليه عبر اختياراته القصدية لمفاصل تاريخية بعينها عبر تاريخنا وتراثنا، والقصدية في تقديمها شعراً ونثرا، في هذا المصنف/ المدونة، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن أدونيس كان واعياً لهذه الحركة عبر نصوصه، فكان متوازنا في تقديم جرعات سياسية فكرية بين الحين والآخر، وكان احترازه سلفا في أن العمل مخطوط، وفكرة احتملت القناع والتخييل، عندما يتلبس الموضوع أو يلبس ثوب الشعر والفن بشكل عام، حيث عناصر الخيال والتصوير الفني ركن أساسي، وعلى المتلقي أن لا يقف فقط على حيثيات الوثيقة التاريخية في الشعر والإبداع، لأن الإبداع الشعري بخاصة ليس وثيقة، وإن كان يمكن أن يشار فيه إلى إمكانية تمثيل العصر بما فيه، ولهذا استعان أدونيس، أسلوبياً، بحركة الرواية والقص وتسريد الأحداث، فننجد الحوار، والراوي، والشخصيات، والأحداث ... إلخ، وهذا يضفي على العمل بهجة التلقي ودهشة التواصل مع النص، فكريا وتخييليا، ويجنب المتلقي

الانزلاق لاعتبار بعض المسائل حقيقة واقعة، بقدر ما هي إشارات وتوظيفات قصدية للوعي بالآن، ومقارنته مع الماضي، والبناء عليه لاستشراف المستقبل، كل من زاوية الرؤية التي يراها مناسبة، وفقا لثقافته ومرجعياته.

الخلاصة:

لقد تمكن أدونيس، وفق ما اجترحه من كتابات عابرة للأنوع، دمجت بين الشعر والنثر، من جهة، وبين التحديث المستمر عبر التجريب المتواصل، للنهوض بحركة الشعر العربي، من جهة أخرى، من فتح أفق جديد للتعامل مع النصوص الشعرية، بآليات تفكير حديثة، ويلفت الانتباه قدرة أدونيس على مواكبة آخر ما يستجد من مناهج نقدية أفاد منها الشعر الحديث، متكئاً على منابع تراثية وتاريخية وفلسفية متنوعة، حديثة وقديمة، ويبدو أنه كان واعيا للربط بين الماضي والحاضر، ولم ينقطع تماما عن حركية الشعر العربي عبر الزمن، حيث أدونيس كان متوازنا في جرعات الفكر السياسي والإيديولوجي، للفكر الإبداعي، العابرة للنص الشعري، وقد تمكن من توظيف الأحداث الإشكالية المنتقاة بعناية، ونحن نعلم أن هناك فرقاً شاسعاً بين ما يعرف بإيديولوجيا النص ونص الإيديولوجيات، ولسنا بحاجة للتوكيد على دربة أدونيس ومدى قدرته على تقديم شعريات مهمة متوازنة، تتوافر فيها عناصر النوع الذي يكتب فيه، شعراً أو نثراً، ولهذا جاءت حركية الجنس والنوع الأدبي في (الكتاب) مستوعبة لحركية الإيديولوجيات النظيفة، ومتماشية مع العصر، ومنسجمة معه، ولها قدرة على فتح شهية المتلقي.

الهوامش:

(١) بارت (رولان) الدرجة الصفر للكتابة، بيروت دار الطليعة، ١٩٨٢. ص٣٣.
(٢) مراشدة (عبد الرحيم) الأجناس الأدبية، الأجناس الأدبية وتجليات التحول والتغيير. مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد ١٨،٢٠١٢. ص٣٥.
(٣) أدونيس (علي أحمد سعيد) مقدمة للشعر العربي ط٣. بيروت. دار العودة. ١٩٧١، ص١١.
(٤) أدونيس (علي أحمد سعيد أسبر). الكتاب– أمس المكان الآن،ج١، بيروت /لندن. ١٩٩٥.

(٥) الشرع (علي) بنية القصيدة القصيرة في شعر أدونيس، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٧ ص(٨).

(٦) ابن ساسي (خيرة) و وئام مناوي، رسالة ماجستير بعنوان الإنشاء في كتاب سيبويه،الجزائر. جامعة حمه الخضر، ١٩٢١.

(٧) ياكبسون (رومان)، قضايا الشعرية، ترجمة محمد للي ومبارك حنون. الدار البيضاء، دار توبقال. ١٩٩٨، ص١٣.

(٨) الجزار (محمد فكري). العنوان وسميوطيقيا الاتصال الأدبي. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ص(٨).

(٩) الحموي (ياقوت) معجم الأدباء ج٢. حرف الباء، ص٦٣.

(١٠) العلاق (علي جعفر) في حداثة النص الشعري. دراسات نقدية. بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة. ١٩٩٠، ص(٥٨).

(١١) المصدر السابق، ص(٨٣).

(١٢) الخطابي (محمد) لسانيات النص. بيروت المركز العربي، ص(١١/١٢).

(١٣) لمزيد من المعلومات راجع: مراشدة (عبد الرحيم) مجلة مخبر اللغة العربية وآدابها – الصوتيات– جامعة البليدة، ع:١٣.٢٠١٣ ص٣٤٣ وما بعدها.

(١٤) المناصرة (عز الدين) علم التناص المقارن. عمان. دار مجدلاوي،٢٠٠٦، ص(٧٢).

(١٥) عواودة (قيس) تداخل الأدب مع الفنون الاخرى. مؤتمر النقد الأدبي الثاني عشر، منشورات جامعة اليرموك، ص(١٦).

(١٦) دينو (ببير) الصوت المتحول لأدونيس، ترجمة منى سعفان، مجلة فصول. الأفق الأدونيسي، المجلد السادس عشر، ع: ٢.١٩٧٠، ص٥٩.

(١٧) نقلاً عن: مالكولم (برادبري) الحداثة، ج١، بغداد، دار المأمون ١٩٩٠، ص٢٣٠.

(١٨) الشكل (١) مستل من: أدونيس (علي أحمد سعيد أسبر. الكتاب،ج١. ص(٣٠١).

(١٩) المصدر السابق – الشكل الثاني– ص(١٧٢).

(٢٠) المصدر السابق – الشكل الثالث. ص(٥١).

(٢١) برنس (جيرالد) معجم المصطلح السردي. ترجمة الخزندار. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة – ضمن المشروع القومي للترجمة،(ع:٣٦٨) ص (٩١).

(٢٢) المصدر السابق، ص٩١.

(٢٣) اليعقوبي (أحمد بن اسحق) تاريخ اليعقوبي ج٢، بيروت. دار صادر، ١٩٦٠. ص٤٩٧ وما بعدها.

(٢٤) ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب تحقيق سامي الدهان (دمشق: المعهد الفرنسي، ١٩٥١م.)، ١: ٩٧. ويمكن مراجعة ما رواه بلاشير في مقدمة ديوان المتنبي المحقق دراسة في التاريخ الأدبي تحقيق إبراهيم الكيلاني. حول مزيد من المعلومات.

(٢٥) المصدر السابق – الشكل الرابع. ص(١٨٥)

(٢٦) درويش (أسيمة) تحرير المعنى. دراسة نقدية في ديوان أدونيس (الكتاب) – في جزئه الأول – بيروت. دار الآداب.١٩٩٧، ص(١٠).

(٢٧) أدونيس (فاتحة لنهايات القرن) بيروت. دار العودة، ١٩٨٠.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- أدونيس (علي أحمد سعيد أسير)، الكتاب – أمس المكان الآن–، بيروت/ لندن، ١٩٩٥م.
- ـــ، مقدمة للشعر العربي، ط٣، بيروت، دار العودة، ١٩٧١م.
- ـــ، فاتحة لنهايات القرن، بيروت، دار العودة، ١٩٨٠م.

المراجع:

- بارت (رولان)، الدرجة الصفر للكتابة، بيروت، دار الطليعة ١٩٨٢م.
- برنس (جيرالد)، معجم المصطلح السردي، ترجمة: الخازندار، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة– ضمن المشروع القومي للترجمة، ٢٠١٨م.
- الجزار (محمد فكري)، العنوان وسميوطيقيا الاتصال الأدبي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
- الحموي، (ياقوت)، معجم الأدباء، ج٢، حرف الباء.
- الخطابي (محمد)، لسانيات النص، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.
- درويش (أميمة)، تحرير المعنى: دراسة نقدية في ديوان أدونيس (الكتاب) – في جزئه الأول–

بيروت، دار الآداب، ١٩٩٧م.

- ابن ساسي (خيرة) ووئام مناوي، رسالة ماجستير بعنوان: الإنشاء في كتاب سيبويه، الجزائر، جامعة حمه الخضر، ١٩٢١م.
- الشرع (علي)، بنية القصيدة القصيرة في شعر أدونيس، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٧م.
- ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، منشورات المعهد الفرنسي، ١٩٥١م.
- العلاق (علي جعفر)، في حداثة النص الشعري، دراسات نقدية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.
- عواودة (قيس) وآخرون، تداخل الأدب مع الفنون الأخرى، كتاب مؤتمر النقد الأدبي الثاني عشر، منشورات جامعة اليرموك، ٢٠٠٨م.
- مالكوم (براديري)، الحداثة، بغداد، دار المأمون، ١٩٩٠م.
- المناصرة (عز الدين)، علم التناص المقارن، عمان، دار مجدلاوي، ٢٠٠٦م.
- ياكبسون (رمان)، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد للي ومبارك حنون، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٩٨م.
- اليعقوبي (أحمد بن إسحق)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠م.

<u>الدوريات:</u>

- دينرو (بيير)، الصوت المتحول لأدونيس، ترجمة: منى سعفان، مجلة فصول، الأفق الأدونيسي، المجلد السادس عشر، ع٢، ١٩٧٠م.
- مراشدة (عبد الرحيم)، مجلة مخبر اللغة العربية وآدابها – الصوتيات– جامعة البليدة، ع١٣، ٢٠١٣م.

Semiotics: The Problematic of Terminology and the Multiplicity of Semiotic Concepts

Amal M. AlMushref(1)*

(1) Ministry of Education, Jordan.

Received: 26/12/2022

Accepted: 28/08/2023

Published: 30/09/2023

* ***Corresponding Author:***
amalalmshrif@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.59759/art.v2i3.295

Abstract

The term faces a problem that is difficult to solve in the critical and literary discourses, especially in the field of modern literary curricula observed in the western literary work when acquired in the Arab East. What may have increased that difficulty was the large number of Western critics and philosophers who added to the terminological hierarchy of curricula, specifically, semiotics, besides dealing with the term semiotic in many languages, as well as its details, ramifications and concepts that spread in most sciences. The verification of the term semiotics for the critical process is only an important compass in determining the direction for this term to play its effective role in reading the literary text and enriching the entire critical process in the modern reception for literature.

Keywords: Semiotics, The Problematic of Terminology, The Multiplicity of Semiotic Concepts.

السيميائية: إشكالية المصطلح وتعدد المفاهيم

أمل محمد المشرف (١)

(١) وزارة التربية والتعليم، الأردن.

ملخص

يواجه المصطلح إشكالية يصعب حلها في الخطابين النقدي والأدبي، ولاسيّما في حقل المناهج الأدبية الحديثة المتأطرة في المنتوج الأدبي الغربي عندما يتم تلقيها في المشرق العربي ولعلّ ما زاد تلك الصعوبة كثرة النقّاد والفلاسفة الذين أضافوا للهرم الاصطلاحي للمناهج، ولاسيّما السيميائية علاوة على تناول المصطلح السيميائي بعدة لغات وما يحمله المنهج السيميائي من تفاصيل وتشعبات ومفاهيم انتشرت في معظم العلوم، وما ضبط المصطلح السيميائي لأجل العملية النقدية إلاّ بوصلةً مهمةً في تحديد الاتجاه لهذا المصطلح ليقوم بدوره الفعّال في قراءة النّص الأدبي وإثراء العملية النقديّة برمتها في التلقي الحديث للأدب.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، إشكالية المصطلح، تعدد المفاهيم السيميائية.

تمهيد:

تتبنى هذه الدراسة إلى استجلاء مصطلح السيميائية وتشعباته والمنعطفات التي غاص فيها المصطلح، ولا سيّما عند ترجمته من لغة للغة حتى تشابه على القارئ هذا المفهوم، ولعل هذا التشابه مردة تداخل السيميائية مع كافة العلوم المنطقية والفلسفية، فمشاربه تعدّ كثيرةً ومتنوعةً، وهذا ما سمح بوجود سيميائيات متناسلة تتماشى مع منظور الحقل الذي ولدت فيه ليتسع مجال الغلاف السيميائي.

لعلّ ولوج باب المصطلح السيميائي يمثل عتبة الدخول لحقل المنهج السيميائي، والتفاعل مع مفاهيمة المتوالدة بتواتر زمني متسارع أفضى إلى قدرة المنهج على الاشتباك مع عناصر النص الأدبي، لتعمل على إضاءة المعتم والمقصد المختبئ خلف ناشئة الفكرة عند المبدع.

إشكالية المصطلح السيميائي:

تعددت المنابع التي استمدت منها السيميائية مادتها وتنوعت مشاربها بين الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات والرياضيات والطب، ورافق تعدد العلوم المعرفية التي اتكأ عليها صعوبة تحديد مصطلح دقيق له ولهذا " عرف هذا العلم فوضى مصطلحية كبيرةً جدًا وأخذ زوايا نظر متعددة وتتفق معظم الدراسات اللغوية أنّ الأصل اللغوي لمصطلح السيميائية (sémiotique) يعود إلى أصول يونانية فهو آت كما يؤكد برنار توسان من الأصل اليوناني (séméion) الذي يعني (علامة) و(Logos)، الذي يعني خطاب أو علم فالسيميولوجيا هي علم العلامات"[(١)] وقد نلحظ أنّ الأوروبيين يفضلون تسمية (السيميولوجيا) التزاما منهم بالتسمية السوسيرية، في حين يفضل الأمريكيون (السيميوطيقا) التي أطلقها بيرس وهو عائد لأسباب إيديولوجية.

وترجع إشكالية المصطلح لتعدد الترجمات واختلاف المفاهيم وتعدد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد، واختلاف مدلول المصطلح من مدرسة إلى أخرى، وتداخل القطاعات المعرفية، فنتج عن كل ذلك تعدد كبير للترجمات وقد أحصى يوسف وغليسي "ستة وثلاثين مصطلحا عربيا في مواجهة مصطلحين أجنبيين اثنين يعبران عن مفهومين متداخلين لكنهما واضحا نسبيا وهي: السيميائيات، السيمائيات السيميائية السيمائية السيميوتية السيميات السيامة السماتية السيمياء علم السيمياء السيميولوجيا الساميولوجيا، علم السيمانتيك علم السيميولوجيا السيميوطيقا السيميوتيكا السميوتيكية علم الرموز الرموزية، علم الدلالة علم الدلالات الدلائلية الدلائليات علم الدلائل علم الأدلة علم الدلالة

اللفظية الدلائلي الدلالية العلامية، العلاماتية علم العلامات علم العلاقات علم الإشارات نظرية الإشارة الأعراضية دراسة المعنى في حالة سينكرونية"(٢).

لقد صنفت المصطلحية على كثرتها إلى مجموعتين: المصطلحات المفهومية (المضمونية) والمصطلحات النقلية (الشكلية) والملاحظ أنّ المجموعة الأولى المفهومية "مرت بعملية الترجمة أو وضع مصطلح عربي مقابل المصطلح الأجنبي، وقد تمحورت هذه الترجمة حول عدة ترجمات تبدأ من المصطلح (علم العلامات) حيث كانت هذه المجموعة هي اتجاه أغلب المترجمين في ترجمة مصطلح (سيميولوجيا وسيموطيقيا)، أمّا المجموعة الثانية فقد مرت بمرحلة النقل؛ أي وضع مصطلح عربي مقابل المصطلح الأجنبي بواسطة نقله صوتيا (فونيما) ومورفيما، وتطويعه لموافقة العرف اللغوي العربي"(٣) فيما يعرف بعملية التعريب، وتتسم المجموعة الثانية (الشكلية) أنّها أقل تشعبًا من المجموعة الأولى (المضمونية)؛ لأنّها انحصرت بين مصطلحين اثنين (سيميولوجيا وسيموطيقيا)، وما يقابلهما في الفرنسية " وعلى الرغم من كثرة التعاريف التي ذكرناها فإن ثمة اختلافًا بين الدارسين حول اسم المصطلح فقد أدى نقل المصطلح أو ترجمته إلى ظهور بعض الاختلافات حول المصطلح وتسميته"(٤) ولا يخفى اختلاف الترجمة بين المصطلحين إلى اختلاف ثقافة المترجم من ناحية، والمدرسة التي ينطلق منها من جهة أخرى، فالسيميوطيقا تعريب للأصل (semiotics)، أي مصطلح نقلي وهي " عند لوك معرفة العلامات، وعند بيرس نظرية العلامات وعند موريس النظرية العامة للعلامات وعند إيكو العلم الذي يدرس سائر ظواهر الثقافة بوصفها أنظمة للعلامات وعند سيبيوك وظيفة للتواصل وللتعبير، أمّا السيميولوجيا فقد وضعت بوصفها مصطلحا نقليًا عن (semiology) وهي مرتبطة بالتيار الإنجلو – سكسوني"(٥) ولا يعدّ الاختلاف للترجمة بل هنالك فرق واضح بينها فالسيميولوجيا ذات نزعة لسانية سوسيرية تكون العلامة فيها ثنائية (دال ومدلول)، بينما السيميوطيقا ذات مرجعية منطقية بيرسية تكون العلامة فيها ثلاثية (المؤول والممثل والموضوع) فهو تعارض بين نوعي العلامة.

ولعلني استعملت مصطلح (**السيميائية**) في دراستي لا لأنّه مصطلح نقلي عن مقابلته الأجنبية، بل لأنّه مصطلح عربي له جذور لغوية عربية فنجد المصنفات المعجمية تتفق على أنّ السيمياء هي العلامة؛ فأورد صاحب اللسان تحت مادة (سوم) فيقول: " والسُّومَةُ والسِّيمةُ والسِّيماء والسِّيمِياءُ: العلامة. وسَوَّمَ الفرسَ: جعل عليه السِّيمة..."(٦) وهو بهذا يقترب كثيرا من التعريف الاصطلاحي، ويلتقي معه في (العلامة) كما وردت لفظة سيمياء في كتاب الله تعالى دون ياء (سيماهم) بمعنى

العلامة، في قوله: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[الفتح: ٢٩] وفي قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ**﴾[الأعراف: ٤٦] وبهذا يكون "مصطلح السيميائية أقرب المصطلحات إلى روح البحث وجمعه السيميائيات، ونعني به علم العلامات وسبب تبنينا لهذا المصطلح قربه من المصطلح الأصل (semiotics) أولاً وتناسقه وانسجامه مع النبر والإيقاع العربيين ثانيًا، فضلا عن أنّ هذا التوجه يوافق توجه الجمعية الدولية للسيميوطيقا"(٧) ويرى أبو ديب أنّ (**السيميائية**) دُون ياء هي أفضل ما يوجد في العربية لتأدية هذا الغرض(٨).

المفاهيم السيميائية:

لقد قدمت السيميائية مجموعةً من المفاهيم الإجرائيّة الّتي تَتَأَطَّر ضمنها نظريّة العلامة مِمَّا أوجب على الباحث السِّيميائيّ رصد هذه المفاهيم، والكشف عن ماهيتها ودورها في دراسة الأنساق والدلالة داخل البنية النصية، ولكون السيميائية تتعالق مع مباحث عديد ومجالات معرفية متنوعة كان من الضروري على باحث حقل السيميائية محاولة تقريب مفاهيم هذا العلم للأذهان، كما نحاول من خلال ذلك المساهمة في استقرار هذا العلم وتحديد المفاهيم.

١) <u>السميوز:</u>

تجلى ظهور مفهوم (السميوز) مع الدراسات السيميوطيقية البيرسية حيث يعد الفيلسوف الأمريكي بيرس "أول من أدخل مفهوم السميوز إلى الدراسات السيميائية الحديثة وهو الذي جعل منه الحجر الأساس الذي تتبني عليه التصنيفات السيميائية للعلامة كما هو مثبت في كتاباته العديدة"(٩)، فإذا كانت العلامة عند سوسير تتكون من العلاقة بين الصورة أو المتوالية الصوتية والمفهوم أو الصورة الذهنية، باستبعاد المرجع الخارجي؛ أي ثنائية الدال والمدلول وقد حاول بالمسليف تطوير نظام سوسير للعلامة وإثرائه ويقرّ أنّه "لا يمكن أنّ يوجد محتوى من دون تعبير أو محتوى لا تعبير له ولا تعبير من دون محتوى أو تعبير لا محتوى له ويقترح إطارًا يسهّل إدخال تمييزات في التحليل هما صعيد التعبير والمحتوى"(١٠) لهذا عمد بالمسليف إلى تغيير ركني العلامة فأطلق على الدال مفهوم (صعيد التعبير) وسمّى المدلول (صعيد المحتوى) وجعل كل صعيد يتكون من (مادة وشكّل) ومن الشكلين في الصعيدين تتكون ما سماه (الوظيفة السيميائية) أما بيرس فقد اهتمّ في منهجه السيميائي بمفهوم السميوز باعتباره ذلك الفعل الذي يؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها، وقد عرّفها بأنّها: "السيرورة التي يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة"(١١) فالسيرورة عند (بيرس) هي السميوز وعند (بالمسليف) هي الوظيفة

السيميائية فباتت العلامة عند بيرس هي " سيميوز أي علاقة حقيقية بالمعنى الفعال للعلامة والسميوز يعني الفعل أو الأثر الذي هو تشارك أو الذي يفترض تشارك ثلاثة فواعل وهي على التوالي: العلامة وموضوعها ومؤولها، وهذا الأثر ثلاثي العلاقة لا يمكن بأي شكل أن يختزل إلى مجرد علاقات بين أزواج"(١٢) وبذلك يكون السميوز أساس السيميائيات كلها.

وتقوم العلامة بوظيفتها السيميائية من خلال الترابط الموجود بين عناصرها الثلاثة وهذه العلاقة هي ما تسمى بالسميوز، وبذلك تتجسد ماهيّة السميوز في السيرورة التي تشتغل داخل إنتاج الدلالات " فالعالم لا يشكل أي شيء قبل أن يتسرب إلى رحم السميوز على شكل علامات من جميع الأحجام والمواد... فكل ما في هذا الكون خاضع، أو يجب أن يخضع (لسمطقة) تنقله من بعده المادي إلى ما يشكل جوهره العلامي؛ أي بؤرة للدلالات المتنوعة"(١٣) وبذلك يكون السميوز مجموع تضافر العناصر الثلاثة، والتي تعمل ضمن متوالية تسلسلية يحيل كل عنصر فيها إلى عنصر آخر؛ فالعلامة الممثل التي تنتمي إلى مقولة الأحاسيس تحيل على العلامة الموضوع التي تنتمي إلى المقولة الفردية من خلال العلامة المؤول التي توصف بأنّها مقولة الفكر، ونلحظ أنّ العلامة المؤول تتحول إلى علامة ممثل تحيل على علامة موضوع عن طريق علامة مؤول أخرى " فالانتقال من الموضوع الأول إلى الموضوع الثاني يتخذ في تصور بورس شكل أحكام دلالية (أحيانا منطقية) ضابطها الأساس هو المؤول والناظم لها هو السيموز "(١٤)؛ فالعنصر الأول يحيل إلى الثاني عبر الثالث ضمن سلسلة لا متناهية، وبهذه السلسلة يشكل السميوزُ سيرورةً منتجةً للدلالة " فالسلسلة اللامتناهية من التمثيلات تحتوي على شكل مطلق الوجود هو ما يشكّل نهاية السلسلة فكل تمثيل يحتوي على تمثيل سابق عنه"(١٥) مما يوجب البحث في أشكال الاشتغال السيميوزي في أنظمة العلامات.

ولم يقف هذا التصور عند بيرس وأتباعه؛ فقد تطورت الرؤية السيميائية حيث "تبنت مدرسة باريس هذا التصور حول الوظيفة السيميائية، أو السيميوز وبنت على أساسه نظريتها في رصد تشكّل الأنساق الدلالية ونمط إنتاجها، وطرق اشتغالها، وبقيت تقيم عليه طروحاتها ردحاً طويلًا من الزمن، وقد اختزلت فكرة السيميوز في (العمل) ليصبح مجرد (عامل) مبرمج لأداء دور نحوي وتركيبي من خلال الشكلنة والصورنة والتجريد المنطقي، وعاملت اللغة أو خطاب كملفوظ تام لكنها تحولت خلال الثمانينات بالبحث في المقام التلفظي الذي يعامل اللغة كإنتاج وهو ما جعل المفهوم البنيوي للسيميوز الذي وضعه (هلمسيف) يضيق عن الحاجات السيميائية المتزايدة"(١٦) مما استوجب إحداث نقلة نوعية

في بنية السيميوز، ونستطيع القول أنّ السيميوز ما هو إلا محاولة جادة لمطاردة المعنى من خلال علاقة غير مباشرة بين العلامة والموضوع فهي تحتاج إلى المؤول لتكتسب شرعيتها خاصة في عملية تأويل النصوص.

٢) **الدلالة:**

يرتبط مفهوم الدلالة بالبحث عن (المعنى) ونظرياته وتشير المصنفات المعجمية العربية التراثية لمفهوم قريب من رؤية من الدرس السيميائي المعاصر، فالدّلالة: " هي كَون الشّيء بحالة يلزم مِن العلم به العلم بشيء آخر، والأول هو الدال والثّاني هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى، باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النّص وإشارة النّص ودلالة النّص واقتضاء النّص"[١٧] واستنادًا على ذلك يكون علم الدلالة هو العلم الذي يدرس المعنى من خلال دراسة اللغة في دلالتها، ويتسع البحث الدلالي جميع العلامات التي تكشف المعنى، فهو" دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى...ويستلزم موضوع علم الدلالة أيّ شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز "[١٨] واهتمت السيميائية بدراسة الدلالة واعتبرت العلامة النموذج البنيوي لأصغر وحدة دالة دلالة تامة فبات علم الدلالة جزءاً مهماً من علم العلامات.

ونصل من خلال هذا المهاد إلى أنّ الدلالة ما هي إلا شكل من أشكال الصيرورة التي تنتج المعنى؛ أي أنّها ارتباط علائقي بين الدال والمدلول يصعب الفصل بينهما؛ لأنّها علاقة تلازمية، فالدلالة في بعدها السيميائي تشكل نواة مركزية تنتظم حولها النظرية ولأهميتها في الدرس السيميائي فقد تعددت تسمياتها وتنوعت التسميات شبه المرادفة لها في الاستعمالات؛ فيمكن " أن تشير الدلالة تارةً إلى فعل (الدلالة كعملية)، وتارةً إلى حالة (ما هو مدلول)؛ من هنا فإنّها تكشف عن تصور دينامي أو ثابت للنظرية المضمرة وتعتبر الدلالة من هذا المنظور (كإنتاج للمعنى) أو (كمعنى منتج)"[١٩]، فالدلالة تحيل إلى السيرورة كما أنّها " ليست مفصولة عن شروط إنتاجها فكل نسق له إرغاماته الخاصة وله أنماطه في إنتاج دلالاته (النّصوص والصور والوقائع الاجتماعية والموضوعات...) وليست مفصولة عن التدليل ذاته فالدلالة ليست معطىً جاهزاً، بل هي حصيلة روابط تجمع بين أداوت للتمثيل وبين شيء يوضع للتمثيل ضمن رابط ضروري يجمع بين التمثيل وما يوضع للتمثيل"[٢٠]؛ فالدرس السيميائي لا يبحث عن الدلالات المجانية، بل تولي عنايتها بالبحث في شروط الإنتاج، فالنشاط السيميائي لا يركض خلف المعنى المجرد لذلك يرتبط " مفهوم الدلالة عند بورس بمفهوم السميوزو هو مفهوم يشير

من جهة إلى القدرة على إنتاج دلالة ما استنادا على روابط صريحة هي ما يشكل جوهر العلامة وشرط وجودها، ويشير من جهة ثانية إلى سيرورة التأويل التي تعدّ أوليّة ضمنية داخل أي سيرورة لإنتاج الدلالة"(٢١)، لذلك ارتبطت فكرة التأويل بفكرة إنتاج الدلالة في سيميوطيقا بيرس؛ لأنّ التحليل السيميائي يركز على ركنين الرمز والدلالات فاستعملت الدلالة لتعيين جوهر المضمون، وهنالك من جعلها مرادفة للسميوز، الذي يكشف ماهيّة العلاقة بين الدال والمدلول، كما " يخصص غريماس مصطلح الدلالة للفارق (إنتاج والتقاط الانزياحات) الذي يحدد على حد تعبير سوسير طبيعة الكلام تتموضع الدلالة كمعنى مفصل داخل ثنائية (معنى / دلالة) و – يرى – بيرييتو وموني أن الدلالة تعادل مدلول الدليل الألسني وتقابل المعنى وهو القيمة التي يأخذها المدلول في السياق"(٢٢) وهنالك من يجعل الدلالة تساوق الوظيفة السيميائية عند هلمسيف.

٣) <u>التأويل:</u>

يستند استكناه مفهوم التأويل إلى الصنافة المعجمية، فتتفق المعاجم على معنى التأويل وربطه بالرجوع والتدبر والتفسير، ويعرّف لسان العرب التأْويل بأنه "نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي إِلى ما يَحتاج إِلى دليل لولاه ما تُرِكه ظاهرُ اللفظ"(٢٣)، ويعرّفه الزبيدي في تاج عروسه: بأنّه "تَبيِينُ مَعْنَى المُتَشابِه وقال الرَّاغِبُ: التَّأْوِيلُ: رَدّ الشيء إلى الغايةِ المُرادَةِ منه، وفي جَمْع الجَوامِع: هو حَمْلُ الظّاهِرِ على المُحْتَمَلِ المَرجُوح قال ابنُ الكَمال: التأويلُ: صَرفُ الآيةِ عن معناها الظاهِرِ إلى معنًى تَحْتَمِلُه إذا كان المُحْتَمَلُ الذي تُصْرَفُ إليه مُوافِقاً للكِتابِ والسُّنَّة"(٢٤) فتحول القرآن من نص تنزيل إلى نص تأويل وارتبط مفهوم التأويل في الدراسات المعاصرة بالفلسفة، حيث أُطْلِق عليه (الهرمنيوطيقا) بوصفه علماً يستكشف تأويل الدلالة والإفصاح عنها، مما يسمح لتعدد الدلالات فإذا كان " الدليل طريق لإثبات الدلالة، فالدلالة هي منطلق الدليل وبمعنى آخر ما من استدلال إلا وينطوي على تأويل، وخاصة في مجال قراءة النّصوص وتحليلها؛ لأنّ كل استدلال ينبني على فهم معين للألفاظ والمصطلحات وكل برهان إنّما هو اقتناص معنى من بين معانٍ كثيرة وكل دليل هو التقاط لوجه من أوجه الدلالة وليس التأويل غير ذلك"(٢٥)، فيحيل التأويل إلى سياقات ضمنية باحثة عن معنى المعنى.

اهتم التراث النقدي العربي بالتأويل والعناية به بوصفه آلية لقراءة النّصوص، وأداة لفهمها، وكشف خبايا معانيه فطمحت الممارسة التأويلية التراثية الأصولية إلى الظفر بالمعنى الثاوي في تجاويف القول

المتشح بروعة المجاز وغموض الرمز.. هي كشف وانكشاف لذلك المعنى المندس في أعطاف الكلام والمحتجب وراء سحر العبارة وفتنة الاستعارة مما شكّل غموضًا للرؤية في تحديد تعريفٍ منتجٍ وفاعلٍ وثابتٍ للهرمنيوطيقا أو نظرية التأويل أو التأويلية، كما تعددت الآراء والنظريات التي حاولت تأطير مفهوم التأويل في المتصور الغربي، فظهرت (الهرمنيوطيقا) بوصفها فن تأويل النّصوص المقدسة فتماهت دلالتها مع (التفسير) ويعود ظهورها إلى الثقافة اليونانية على شكل إجراء لغوي ينقل كل خطاب من حالة الغموض والإبهام إلى الوضوح وتحول إلى إجراء مشروط بالكشف عن المعنى الباطن / الخفي المحتجب وراء المعنى الظاهر / الجليّ في ظهور علامة وفي كل تعبير إنساني عبر الحركة أو الكلمة، فهي فن تأويل النصوص وبات التأويل عند (ولهلم ديلتاي) يدخل في (إشكالية فهم الإنسان بالإنسان)، فالنص عند (بول ريكور) عبارة عن رموز تحمل معنى أولياً وآخر ثانوياً، فالدلالة الرمزية مشكّلة بحيث لا نرى منها إلاّ الدلالة الثانوية عن طريق الدلالة الأوليّة، حيث تكون هذه الدلالة الثانوية الوسيلة الوحيدة للدنو من فائض المعنى والدلالة الأولية هي التي تعطي الدلالة الثانوية بصفتها معنى المعنى[٢٦].

ويعدُّ مفهوم التأويل في الدراسات السيميائية شديد الارتباط بالتصور الذي نملكه عن الدلالة وشروط وجودها وأشكال تحققها ومن أبسط التعابير الدالة على التأويل وضروراته هي الإجماع على القول بالتعددية الدلاليّة وظهرت إرهاصات التأويل المعاصر بفضل المرجعية اللاهوتية التقليدية الغربية، حيث انبنى التأويل داخل هذا التقليد على "وجود استقطاب ثنائي يجمع بين معنى خفي وآخر مباشر؛ فالحدود اللغوية للنّصوص تحتوي على معنى ظاهر هو المعنى الحرفي ومعنى خفي هو سر الكلمات وجوهرها، ويكمن دور المؤول في الكشف عن المعنى الثاني؛ لأنّه هو الذي يحتوى على القصدية الحقيقية للنّصوص إلاّ أنّ التأويل باعتباره نشاطًا معرفيًا لم يعد محصورا ضمن حدود هذا الاستقطاب الثنائي فإنّ التأويل لن يكون مجرد تحديد لمعنى يُرى بشكل مباشر إنّه حالة وعي فلسفي لا ترى في المحدد بشكل مباشر سوى حالات رمزية تحتوي هذه المرة على (أسرار الانسان) الثقافية والاجتماعية، وهي أسرار يجب الكشف عنها من خلال امتلاك المفاتيح الضرورية للتأويل، ويرى امبيرتو إيكو فعلًا حراً لا يخضع لأيّة ضوابط أو حدود فالسيرورة التأويلية تتطور خارج قوانين انسجام الخطاب فمن حق العلامة أن تحدد قراءتها"[٢٧].

٤) **المعنى:**

شكّل مفهوم (المعنى) قضيَّة معرفيَّة شائكَة في الدراسات اللسانية وارتبطت بفكرة (اكتساب المعنى)

التي ترتبط بدورها بقضية (اكتساب شكل العلامة) ضمن محور البحث عن الدلالة والقبض على المعنى، أو الوصول إلى حالة (اللامعنى) " فالمعنى من المفاهيم التي تستعصي على التحديد والضبط، ورغم أنّ الاستعمال العادي لا يميّز إلاّ نادراً بين المعنى والدلالة، فإن الفرق بينهما واسع وكبير، ولا عجب أن نجد (يالمسليف) وهو صاحب مدرسة قائمة الذات في التحليل الدلالي، يجعل من المعنى المادة التي تشتق منها الدلالات وباعتباره كذلك، فإنه قريب من مفهوم (الشيء في ذاته) كما يتصوره (كانت)، فبالإمكان أن نتعرف على الطاولة من حيث الامتداد والمقاومة واللون والذوق (وهي ما يحدد الشيء) ولكننا لا نستطيع قطعا التعرف على جوهر الطاولة باعتباره الشيء في ذاته"(٢٨)، مما أدى إلى تنوع المترادفات التي تنضوي تحت هذا المفهوم، ففي الدرس العربي يتنازع الفحوى، والمغزى، والعمود والغرض دلالة مفهوم المعنى، وأشار الجاحظ إلى ذلك بقوله " فإنّه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت"(٢٩)، فعبارة (فيه خير) تشير إلى أنّ كلام العرب قائم على المعنى الذي ينجز الدلالة بينما تشير عبارة (لا خير فيه) إلى حالة اللامعنى، في المقابل نجد الجرجاني أكثر وضوحاً في قضية (المعنى) و (معنى المعنى) إذ جعل الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وضرب آخر يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض... تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، و(بمعنى المعنى) أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"(٣٠)، فالمعاني تدرك مباشرة من داخل العلامة دون حاجة إلى التأويل، أمّا معنى المعنى فيدرك من خلال السياقات التي توشوش بها العلامة.

اهتمت الدراسات الغربية بنظرية المعنى، فقد أولى اللساني دي سوسير هذه النظرية جلّ اهتمامه، وربط نظرية المعنى بعملية الكلام، فالمعنى " على صعيد عملية الكلام موصول بما سماه دي سوسير (الحركات الشعورية) وموقعها الدماغ فهي إذن حركات باطنية نفسية لا يمكن مشاهدتها مما يؤكد طابعها المجرد ولن يكون المعنى قابلًا للإدراك ما لم يعلق بصورة سمعية متواضع عليها إن المعنى يقع في الدائرة النفسية ومربط الفرس فيه التوحد الحاصل بين المعنى والصورة السمعية حيث يكون قسما العلامة عبارة عن مقولتين نفسيتين"(٣١)، وقد توسّع اتباع دي سوسير في مفهوم نظرية المعنى وبات المعنى لا يشير إلى الدال بل يبحث فيما يحيل عليه الدال واعتبروا أنّ " كل كلمة لها

معنى ولكن هذا المعنى هو حقيقة نفسية ينبغي تمييزها عن الحقيقة التي تقع خارج الدماغ أو الذهن ... واقترح (أولمان) اقتداءً ببعض اللسانيين تبسيطًا مصطلحيّا سمًّى بمقتضاه الدال اسمًا والمدلول معنىً محتفظًا بتسمية دي سوسير للمرجع شيئًا"(٣٢)، ويمكن توضيح ذلك من خلال كلمة (حصان) فذلك الحيوان الذي نشاهده في مضمار السباق ليس هو (معنى) كلمة حصان وإنّما هو ما تحيل عليه كلمة حصان، ولا بد من توخي الحظر في أن الاسم يستدعي المعنى لوجود رابط بينهما كما أنّ المعنى متعلق بالشيء واعتنى غريماس بنظرية المعنى من " زاويتين: أولاً باعتباره ما يسمح بالقيام بعمليات الشرح والتسنينات التي تنقلنا من سنن إلى آخر، وثانيا باعتباره ما يؤسس النشاط الإنساني منظورًا إليه كقصدية.

فلا شيء يمكن أن يقال عن المعنى قبل أن تتم مفصلته على شكل دلالات، ويضعنا هذا الأمر أمام تقابل جديد يصف العلاقة بين المعنى باعتباره مادة، وبين الدلالة باعتبارها شكلًا لهذا المعنى ومشتقة منه. ولهذا فإن ما تدرسه السميائيات، في تصور غريماس على الأقل، ليس جواهر مضمونية مكتفية بذاتها؛ إنَّها تدرس على النقيض من ذلك، أشكالًا مضمونيةً، وهي ما يشير إلى التحققات الممكنة للمادة الأصلية"(٣٣) فنظرية المعنى تهتم بالمعنى الإيحائي، والذي يتحمل دلالات متعارف عليها في ثقافة لسانية معينة وما تشير إليه السياقات الممكنة التي توجد داخلها العلامة.

قد نجد تحديد ماهية المعنى لا تقل غموضًا عن المفهوم ذاته، فباتت إشكالية الكشف عن المعنى من أهم اهتمامات الدارسين أو " كما يقول الناقد المعاصر ريتشارد (إن نقطة الانطلاق الأساسية في أي عمل نقدي هي مشكلة الكشف عن المعنى) وقد تجاذب قضية المعنى العديد من الأطراف فتناولها علماء المنطق والكلام وعلماء الأصول وعلماء البلاغة القدامى والمحدثون وعلماء الكلام... ولعل علما المنطق تنبهوا إلى التفريق بين المعاني، وذلك من خلال ما يعرف عندهم بدلالة المنطوق (الدلالة الحرفية أو الدلالة الظاهرة للغة) ودلالة المفهوم (الدلالة الفرعية أو الدلالة الخاصة والخفية) والمفهوم هو المعنى الذي يستدعي كلمة ما في ذهن الإنسان غير معناها الأصلي، وذلك لتجربة فردية أو جماعية"(٣٤) وهو يدخل ضمن مفهوم الدلالة المركزية والدلالة الهامشية او ظلال المعاني وتوسعت المعاني إلى الانفعالية والإدراكية.

٥) **المحايثة:**

ظهر مفهوم (المحايثة) في بداية الستينيات مع الدراسات البنيوية التي استندت عليه في قراءة النّصوص وأصبحنا نتحدث عن (التحليل المحايث) بوصفه منهجية تجيب عن كل الأسئلة، وندرك من خلال معاني النصوص ويقصد بالتحليل المحايث "أن النص لا يُنظر إليه إلا في ذاته مفصولا عن أي

شيء يوجد خارجه. والمحايثة بهذا المعنى هي عزل النص والتخلص من كل السياقات المحيطة به. فالمعنى ينتجه نص مستقل بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أي شيء آخر "[٣٥] فهي تقوم على فكرة عزل النص عن محيطه الخارجي لا تهتم بالبيئة المكانية أو التاريخية أو الزمانية أو الاجتماعية أو النفسية التي رافقت إنتاج النص، بل تقرأ النص من الداخل، وتحث النص على أن يقول ما يريد كما استفادة من فكرة (موت المؤلف) فلم يعد الكاتب يلقن المتلقي عن مقصديته أو معانيه، بل بنية النص الداخلية تقول كل شيء حتى باتت صفة نقدية تمتاز بها المناهج النصية التي عابت على المناهج السياقية اهتمامها بالبيئة الخارجية التي رافقت مولد النّص فهي تبحث بما هو معطى داخل النّص المدروس.

يبالغ بعض النقاد في فهم (المحايثة) عندما دعوا إلى فصل النّص عن محيطه فصلًا تامًا وعدم الاهتمام بأيّ علامات نفسية أو تأويلية تساعد على إدراك الدلالة والمعنى في النّص، فالمحايثة لا يقصد بها فصل النّص عن تفاعله الطبيعي للعلاقات القائمة بين المكونات والظواهر الأدبية فقراءة النّص قراءة محايثة تحتاج إلى كميّة من " وعي معرفي ثاقب مُؤسَّس على خلفية لسانية وسوسيولوجية ونفسية في إطار واحد متفاعل هو السيمياء التأويلية... ففي أعمال فرديناند دو سوسير كانت لديه نظرة كلية للظواهر الثقافية الإنسانية، ولم يكن يفصل اللغة عن مُتكلِّمها وسيكولوجيته ولا عن وسطها وسياقها... وكان هذا هو السبيل الوحيد لإيجاد وحدة منهجية نقدية أساسية لا يُقصى فيها أيّ بعد من أبعاد الظاهرة الأدبيّة من مجال البحث والتقصي دون الوقوع في التلفيق والأهواء الذاتية، فالسيميائية ما هي إلاّ علم دراسة الدلائل من منظور نصي واجتماعي ونفسي "[٣٦]، لهذا انتقلت السيميائية في تحليلها للنّصوص إلى التأويل الخارجي الذي يقود إلى القراءة الجوهرية؛ أي القراءة التي تهتم بمسارات الوحدات الدلالية القراءة الخارجية التي تهتم بالتأويلية فتكون المحايثة معطى سابق على الفعل الإنساني وتمفصلاته، وهو نشاط تأويلي يرصد العناصر التي تعجز السيرورة الطبيعية للفعل الإنساني عن كشفها فلا نهتم في دراستنا للنصوص بحياة المؤلف أو الظروف النفسية والاجتماعية التي يعيش فيها المؤلف ولا نسقطها على تحليلنا بل نجعل من التحليل المحايث نسقاً داخلياً للوصول إلى المعنى والدلالة.

٦) <u>المربع السيميائي:</u>

يُرجع محمد مفتاح إرهاصات المربع السيميائي إلى فكر أرسطو فيرى أنَّ "جوهره موجود لدى

أرسطو فيما يُدْعَى بالتقابلات الّتي تَنْتُجُ عنها علائق مُتعددة؛ وهي علاقة التَّضاد، وعلاقة التّناقض وعلاقة التّداخل في الإثبات أو في النّفي"[٣٧] واقترح غريماس المربع السيميائي في الدراسات السردية بوصفه آلية للتحليل الدلالي، جاعلا منه مربعا للدلالة مهتما بالوحدات الدّاخليّة للدّلالات ويعتمد على إظهار التقابلات بين الثنائيات الضِّديّة وكشف نقاط التقاطع في النصوص ليكون ذلك "المنوال المنطقيّ الّذي تُصوّر من خلاله شبكة العلاقات وتُمَفصَل الاختلافات فالمُربع السّيميائيّ هو الّذي يمثّل العلاقات الرّئيسيّة الّتي تخضع لها وحدات الدّلالة حتَّى يتولّد من ذلك كون دلاليّ"[٣٨] وتتجسد ماهيّة المربع السّيميائيّ في تفسير "شبكة العلاقات الدّلاليّة الأساسيّة الّتي تقوم بين الوحدات بهدف إدراك كيفية إنتاج النَّصّ للدّلالة"[٣٩] ومن الناحية الهندسية تتكون معمارية المربع السيميائي من أربع زوايا تمثل الزوايتان العلويتان الشيء ونقيضه أمّا الزاويتان في الأسفل فتمثلان نفي الشيء ونفي نقيضه ويمثل بالشكل الآتي:

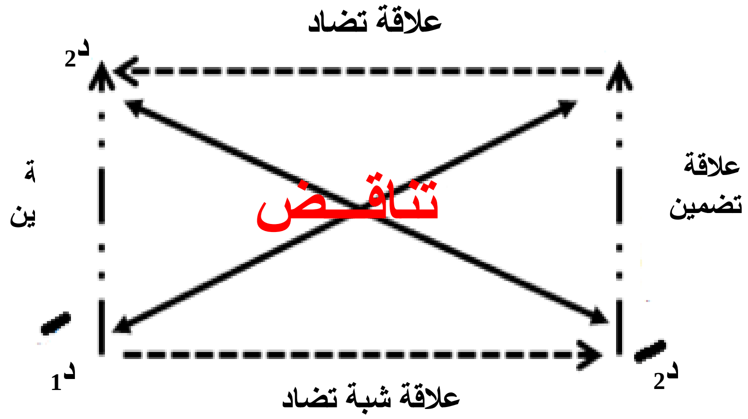

تكمُن أهميّة المُربع السّيميائيّ من رؤية غريماس في أنّ الدراسة التحليلية الدقيقة للنصوص تتم من خلال مستويين: المستوى السطحي والمستوى العميق، والأخير يشكل شبكة متداخلة من العلاقات ويصعب رموزها دون الرجوع إلى المربع السيميائي؛ فهو يربط ظاهر النص بباطنه، لهذا " يرى غريماس أن المعنى يقوم على أساس اختلافي، وبالتالي فتحديده لا يتم إلا بمقابلته بضده وفق علاقة ثنائية متقابلة"[٤٠] وهي ما صاغها في زوايا مربعه فقد عمد إلى " تمثل العلاقات بين العناصر وإخضاعها لنظام منطقيّ (علاقات التَّضاد، والتّناقض والتّكامل أو التّضمين)، والعمليات المُمارسة على العناصر الّتي تربطها علاقة عملية النّفي وعملية الإثبات، وترمي هاتان العمليتان

لنفي عنصر لإبراز آخر "[٤١] وهكذا يصبح المربع السيميائي هو من يولد البنية العميقة من خلال علاقات الصراع بين علاقات التضاد والتناقض، فهو " صياغة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولية للدلالة القاعدية التي تتلخص في مقولات التناقض والتقابل والتلازم؛ فهو نموذج توليدي ينظم الدلالة ويكشف عن آلية إنتاجها عبر ما يسمى بالتركيب الأساسي للمعنى فهو أداة منهجية تسمح بانبثاق المعنى منذ حالاته الأوليّة وحتى حالاته التركيبية المختلفة"[٤٢]، وأقام غريماس مربعه السيميائي على ست علاقات تُبنى أساساً على عمليات النّفي والتثبيت، وترسم بالعلاقات الآتية:

- **التّضاد:** حيث تكون د$_{1}$ عكس د$_{2}$، دَ$_{1}$ عكس دَ$_{2}$.
- **التّناقض:** حيث نجد أن د$_{1}$ عكس دَ$_{1}$، د$_{2}$ عكس دَ$_{2}$.
- **التّضمين:** حيث نجد دَ$_{1}$ عكس د$_{2}$، د$_{2}$ عكس د$_{1}$.

نلحظ في هذا النّموذج أنَّ غريماس ارتكز في تحليله على عناصر ثلاثة من المربع السيميائي، خاصة (د$_{1}$، دَ$_{1}$، د$_{2}$) ارتكازاً يُوحي لنا بأنَّه التّقط النّصّ التقاطاً ينسجم وطبيعة النّموذج السَّرديّ في أبعاده الثلاثة (**وضع ← أولي ← تحويل ← وضع نهائي**)[٤٣]

٧) **النموذج العاملي:**

تطورت حركة النموذج العاملي في الدراسات السيميائية مع تطور السيميائية السردية التي أحدثتها مدرسة باريس ويقوم " أساس النَّموذج العامليّ على فكرة التَّحول والضَّبط العامليّ، فهو بنية العلاقات القائمة بين العوامل، ويوضِّح القوى الفاعلة الّتي تُحرِّك الأحداث وتطوّرها وتغيِّر مجراها وتكون مُؤثِّرة في النَّصِّ، وهذه القوى قد تكون إنساناً أو حيواناً أو فكرةً أو مكاناً أو أداةً أو عاطفةً ومن خلال هذا النَّموذج نستوعب تلك العلاقات الّتي تجمع بين العوامل في النُّصوص الحكائيّة، فالنَّموذج العامليّ خُطاطة واصفة لبنية العوامل بناءً على الأدوار السَّرديّة"[٤٤] ويعتبر النموذج العاملي خطاطة رسمها غريماس بهدف دراسة النّصوص السردية الحكائيّة لكنّها تطورت مع تطور مفهوم الأجناس الأدبية لتصبح آلية تطبق على النصوص الشعرية وتحدد البنية السردية فيها ضمن ما يسمى بمفهوم سردية الشعر فهو " قوة إجرائيّة كبيرة تتمثل في قُدرته على استيعاب جميع أنواع الخطابات"[٤٥] من خلال كشف صراع الشَّخصيات.

استفاد (غريماس) في رسم حدود نموذجه العامليّ من جهود (بروب) في كتابه (مورفولوجيا

الحكاية) عندما درس الوظائف وبنى نموذجه من شبكة سُداسيّة تتكون من ثلاثة أزواج ترتبط كُلّ زوجين فيها علاقة خاصَّة فنموذجه يتكون من (الذات والموضوع) و (المُرسِل والمُرسَل إليه) و(المُساعِد والمُعارِض) تربطها ثلاث علاقات هي: (الرغبة، والتواصل، والصراع) ويمكن تمثلها على النحو الآتي: "علاقة (**الرَّغبة**) الّتي تجمع بين مَنْ يرغب (الذّات) وما هو مرغُوب فيه (الموضوع)، وهذا المحور هو الرئيس، ويوجد في أساس الملفوظات السَّرديّة البسيطة وقد تكون (ذات الحالة) في حالة اتصال أو انفصال عن الموضوع؛ فإذا كانت في حالة اتصال فإنَّها ترغب في الانفصال – والعَكس صحيح – ويترتب عن ذات الحالة ملفوظات الإنجاز"[٤٦]، في المقابل نجد علاقة (**التَّواصل**) تربط (المُرسِل والمُرسَل إليه) من خلال اتصالهما بالذَّات والموضوع؛ حيثُ يشكّل المُرسِل حافزاً أو دافعاً للذَّات للرَّغبة في الموضوع بينما يَتلقى المُرسَل إليه الموضوع فهو المُستفيد منه، ويقومان بفعل الإقناع ووظيفة كُلّ منهما تأطير مسار الفاعل، أما علاقة (**الصِّراع**) فتظهر عند (المُساعِد والمُعارِض)، وتتّخذ وظيفة المُساعِد في تقديم المساعدة للفاعل بهدف تحقيق غايته بينما يقوم المُعارِض بدور الحائل الذي يمنع تحقيق الفاعل لهدفه ويكون عائقاً في طريقه.

الخلاصة:

تأتي أهمية الإحاطة بالمصطلح السيميائي لتمكين المتلقي من إدراك العلم المعني بهذا المجال الذي يزخر بالمعرفة المتوفرة في علم المصطلح وامتداداته المفضية إلى أهم مفاهيم السيميائية التي تعد زاد المتلقي أثناء معاينته للنّص الأدبي وقراءته لإنتاج مقاربة جديدة تشمل أركان المنهج السيميائي، فمحاولة تأطير المصطلح تقرب المتلقي من هذا المفهوم المتناثرة أطرافه بين كافة العلوم ليمسك خيوط المنهج متفاعلا مع العلم المقصود الذي يتم الاشتغال به.

فعندما يتم التمكن من المصطلح ومواكبة توالده مع تداخلاته في المناهج الأخرى ينتقل الاهتمام بالمفاهيم المؤسسة للمنهج تساعد المتلقي في فحصها على النّصوص الأدبية بمنهجية واضحة.

ستبقى قضية إشكالية المصطلح وتعدد المفاهيم قائمة، وهذا مردة تطور العلوم وربط المناهج العلمية بالواقع الأدبي والاجتماعي.

وقد يلزم تعدد المفهوم كل لغة وعلم التمسك برأيه ولاسيّما أنّ هناك تقارب في نتائج تطبيق المفهوم على النص الأدبي.

الهوامش:

(١) الأحمر، فيصل، **معجم السيميائيات**، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ص١١.

(٢) وغليسي، يوسف، **مناهج النقد الأدبي**، ، ط١، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٠١ – ١٠٨.

(٣) سعد الله، محمد سالم، **النقد البلاغي عند عبد القادر الجرجاني (دراسة سيميائية)**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ص٢٤–٢٥.

(٤) كامل، عصام خلف، **الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر**، دار فرحة للنشر والتوزيع، ط١، ص٢١.

(٥) سعد الله، محمد سالم، **النقد البلاغي عند عبد القادر الجرجاني (دراسة سيميائية)**، ص ٢٥

(٦) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ج٧، ط٣، ٢٠٠٤، مادة (سوم) ص٣٠٨.

(٧) سعد الله، محمد سالم، **النقد البلاغي عند عبد القادر الجرجاني (دراسة سيميائية)**، ص٢٥.

(٨) أبو ديب، كمال، **السيمائية أحدث العلوم الإنسانية**، مجلة العربي، العدد٣٣٤، سبتمبر ١٩٨٦، الكويت، ص٥٨.

(٩) بنكراد، سعيد، **السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ط٣، دار الحوار للنشر، اللاذقية، ٢٠١٢، ص٢٥٨.

(١٠) تشاندر، دانيال، **أسس السيميائيّة**، تر: طلال وهبة، ط١، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ٢٠٠٨. ص ١١٢

(١١) بنكراد، سعيد، **السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ص٢٥٨.

(١٢) دو لودال، جيرار، **السيميائيات أو نظرية العلامات**، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ٢٠٠٤. ص٦٠ – ٦١.

(١٣) بنكراد، سعيد، **السميائيّات، والتأويل مدخل لسميائيات ش. س. بورس**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥، ص١٦٩–١٧٠.

(١٤) بنكراد، سعيد، **السميائيّات، والتأويل مدخل لسميائيات ش. س. بورس**، ص١٧٢.

(١٥) إيكو، امبيرتو، **التأويل بين السميائيات والتفكيكية**، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٣٣.
(١٦) زغودي، دليلة، **العلامة السيميائية وجسدية السيميوز**، مجلة الأثير، العدد ٢٣، ديسمبر ٢٠١٥، ص١٢٩ – ١٣٠.
(١٧) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف (ت ٨١٦ هـ)، **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٩١
(١٨) عمر، أحمد مختار، **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٨، ص ١١
(١٩) بن مالك، رشيد، **قاموس مصطلحات تحليل السيميائي للنصوص**، دار الحكمة، الجزائر، ص١٩٣.
(٢٠) بنكراد، سعيد، **السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ص٢٦٤.
(٢١) المرجع السابق، ص٢٦٥.
(٢٢) بن مالك، رشيد، **قاموس مصطلحات تحليل السيميائي للنصوص**، ص١٩٤.
(٢٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ول) .
(٢٤) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، طبعة الكويت، مادة (أول).
(٢٥) حرب، علي، **التأويل والحقيقة**، قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير للنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧، ص١٨.
(٢٦) بو عبد الله، الحبيب، **مفهوم الهرمنيوطيقا، الأصول الغربية والثقافة العربية**، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٥، ٢٠٠٥، ص١٦٣–١٦٨.
(٢٧) بنكراد، سعيد، **السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ص٢٦٥–٢٦٩.
(٢٨) بنكراد، سعيد، **السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ص٢٦١.
(٢٩) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، الجزء الأول، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص١١٦.
(٣٠) الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ص٢٦٤–٢٦٥.
(٣١) الودرني، أحمد، **نظرية المعنى**، مركز النشر الجامعي، تونس، ط١، ٢٠٠٧، ص٢٧.
(٣٢) المرجع السابق، ص٢٩.

(٣٣) بنكراد، سعيد، **السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ص٢٦٢.

(٣٤) الغويل، المهدي إبراهيم، **السياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية**، أكاديمية الفكر الجماهيري، ليبيا، ٢٠١١، ص٢٦.

(٣٥) بنكراد، سعيد، **السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ص٢٥٥.

(٣٦) لحمداني، حميد، **القراءة وتوليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي**، قراءة النص الأدبي، ط١، المركز الثقافي العربي، الرباط، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٣ ص٢٣.

(٣٧) مفتاح، محمد، **حول مبادئ سيميائيّة**، مجلة علامات، المغرب، ع ١٦، ٢٠٠١، ص٥٥.

(٣٨) القاضي، محمد، وآخرون: **مُعجم السّرديات**، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط١، ٢٠١٠، ص٣٨٢.

(٣٩) أبو غليون، هاني يوسف، **سِيميَائيّة الأَهْوَاءِ فِي السَّرْدِيَّاتِ الشِّعْرِيّةِ عِنْدَ أَمَل دُنْقُل**، ص١٨.

(٤٠) الأحمر، فيصل، **معجم السيميائيات**، ص٢٢٩.

(٤١) آريفيه، ميشال، وآخرون، **السّيميائيّة أصولها وقواعدها**، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٢، ص١٢١.

(٤٢) بن الطاهر، عبد الحميد بورايو، **المسار السردي وتنظيم المحتوى: دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة**، دار السبيل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص٢٣٢.

(٤٣) بن مالك، رشيد: **مقدمة في السّيميائيّة السّرديّة**، ص١٦.

(٤٤) أبو غليون، هاني يوسف، **سِيميَائيّة الأَهْوَاءِ فِي السَّرْدِيَّاتِ الشِّعْرِيّةِ عِنْدَ أَمَل دُنْقُل**، ص١٥.

(٤٥) بوطيب، عبد العالي، **مستويات تحليل النَّصِّ الرّوائيّ**، ط١، مطبعة الأمنية، ١٩٩٩، ص٦٨.

(٤٦) لحمداني، حميد، **بنية النّصِّ السّرديّ من منظور النّقد الأدبيّ**، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١، ص٣٣- ٣٤.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- آريفية، ميشال، وآخرون: **السيميائية أصولها وقواعدها**، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠، .

٢- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**، طبعة الكويت.
٣- إيكو، امبيرتو، **التأويل بين السيميائيات والتفكيكية**: تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠.
٤- بنكراد، سعيد: **السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ط٣، دار الحوار للنشر، ، اللاذقية، ٢٠١٢.
٥- بنكراد، سعيد: **السيميائيّات والتأويل مدخل لسميائيات ش. س. بورس**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط، ٢٠٠٥.
٦- بوطيب، عبد العالي، : **مستويات تحليل النَّصِّ الرّوائيّ**، ، ط١، مطبعة الأمنية، ١٩٩٩.
٧- بو عبد الله، الحبيب: **مفهوم الهرمنيوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية**، فصول مجلة النقد الادبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٥، ٢٠٠٥.
٨- تشاندر، دانيال: **أسس السيميائيّة**، تر: طلال وهبة، ط١، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ٢٠٠٨.
٩- دو لودال، جيرار: **السيميائيات أو نظرية العلامات**، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، ط، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ٢٠٠٤.
١٠- الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمد شاكر، ، شركة القدس للنشر والتوزيع.
١١- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف (ت ٨١٦ هـ): **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، لقاهرة، ٢٠٠٤.
١٢- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ): **البيان والتبيين**، الجزء الأول، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ، د. ت.
١٣- حرب، علي: **التأويل والحقيقة، قراءات تأويلية في الثقافة العربية**، دار التنوير للنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.
١٤- الأحمر، فيصل: **معجم السيميائيات**، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٠.
١٥- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**، طبعة الكويت، مادة (أول)
١٦- سعد الله، محمد سالم: **النقد البلاغي عند عبد القادر الجرجاني (دراسة سيميائية)**، الم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٣..
١٧- عمر، أحمد مختار: **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٨.

١٨- كامل، عصام خلف: **الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر**، دار فرحة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣.

١٩- لحمداني، حميد: **بنية النّصّ السّرديّ من منظور النّقد الأدبيّ**، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩، .

٢٠- لحمداني، حميد: **القراءة وتوليد الدلالة – تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٣.

٢١- . بن الطاهر، عبد الحميد بورايو: **المسار السردي وتنظيم المحتوى دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة**، دار السبيل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

٢٢- بن مالك، رشيد: **قاموس مصطلحات تحليل السيميائي للنصوص**، دار الحكمة، الجزائر.

٢٣- بن مالك، رشيد: **مقدمة في السّيميائيّة السّرديّة**، دار الحكمة، الجزائر.

٢٤- ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ج١، ط٣، ٢٠٠٤.

٢٥- الغويل، المهدي إبراهيم: **السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية**، أكاديمية الفكر الجماهيري، ليبيا، ٢٠١١.

٢٦- القاضي، محمد وأخرون: **مُعجم السّرديات**، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط١، ٢٠١٠.

٢٧- وغليسي، يوسف: **مناهج النقد الأدبي**، ط١، جسور للنشر والتوزيع الجزائر، ٢٠٠٧.

٢٨- مفتاح، محمد: **حول مبادئ سيميائيّة**، مجلة علامات، المغرب، ع ١٦، ٢٠٠١.

٢٩- الودرني، أحمد: **نظرية المعنى**، مركز النشر الجامعي، تونس، ط١، ٢٠٠٧.

الرسائل الجامعية:

١- أبو غليون، هاني يوسف: **سِيمِيَائيّة الأَهْوَاءِ فِي السَّرْدِيَّاتِ الشِّعْرِيّةِ عِنْدَ أَمَل دُنْقُل**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة آل البيت، ٢٠٢١م..

المجلات والدوريات:

١- أبو ديب، كمال: **السيمائية أحدث العلوم الإنسانية**، مجلة العربي، العدد٣٣٤، سبتمبر، ١٩٨٦. الكويت.

٢- زغودي، دليلة: العلامة السيميائية وجسدية السيميوز، مجلة الأثير، العدد ٢٣، ديسمبر ٢٠١٥.

٣- مفتاح، محمد: **حول مبادئ سيميائيّة**، مجلة علامات، المغرب، ع ١٦، ٢٠٠١.

Representations of Reification in Pre-Islamic Poetry: Selected Samples

Rajab M. Alkhaldy[(1)*] **Bassam M. Qattous**[(2)]

(1) Yarmouk University, Irbid – Jordan.
(2) Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid – Jordan.

Received: 30/12/2022
Accepted: 08/03/2023
Published: 30/09/2023

* *Corresponding Author:*
rajabalkhaldy@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.59759/art.v2i3.296

Abstract

This study deals with the concept of reification, its motifs, aspects and the mechanisms for resisting it, to reveal the pre-Islamic poetry in confrontation with the state of reification that was imposed on these poets, and how they expressed it artistically and aesthetically, taking into account that psychological, social or economic perspective, as well as the angle of view that surrounded their poetic expression.

Keywords: Reification, Representations of Reification, Pre-Islamic Poetry, Pre-Islamic Poets.

تمثلات التّشيؤ في شعر الصعاليكِ الجاهليين: نماذج مختارة

رجب محمد الخالدي(١) **بسام موسى قطوس**(٢)

(١) جامعة اليرموك، إربد – الأردن.
(٢) قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد – الأردن.

ملخص

تتناولُ هذهِ الدراسةُ مفهومَ التّشيُؤ، ودوافعَه، ومظاهره، وآلياتِ مناهضتِهِ، وتسعى إلى الكشفِ عن الأشعارِ الجاهليَّة الواقعةِ في مواجهةٍ مع حالةِ التشييء التي فُرضَتْ على هؤلاءِ الشعراءِ، وكيفَ عبّرُوا عنها فنيّاً وجماليّاً، آخذاً بعينِ الاعتبارِ ذلكَ المنظور النفسيّ أو الاجتماعيّ أو الاقتصاديّ، فضلاً عن زاويةِ الرؤيةِ التي أحاطَتْ بتعبيرهم الشعريّ.

الكلمات المفتاحيّة: التّشيُؤ، تمثّلات التّشيُّؤ، الشعر الجاهليّ، الشعراء الجاهليّون الصّعاليك.

مقدمة:

برزَتْ ظاهرةُ الصّعلكةِ في الشعرِ الجاهليّ لعدّةِ أسبابٍ يُذكرُ منها: أسباب اقتصاديّة واجتماعيّة وطبقيّة، فضلاً عن العاملِ النفسيّ الذي تجسّدَ في شعورهم بالتّهميشِ والاستلابِ وفقدانِ الكرامةِ، وخاصّة مَنْ دُفعوا إلى طريقِ الصّعلكةِ دفعاً من الشعراءِ الذين حملتهم قبائلهم أو مجتمعهم لذلك؛ بسببِ الاختلالِ الاقتصاديّ، أو الاختلالِ الاجتماعيّ، أو التفاوتِ الطبقي، أو غيابِ التوزيعِ العادلِ للثروةِ، وبسببِ هذا الاختلالِ لم تنشأ طبقةٌ واحدةٌ من الصّعاليك بَلْ نشأَتْ طبقاتٌ، كطبقةِ الشُذّاذِ والخُلعاءِ الذين تخلّتْ قبائلُهم عنهم، ونبذَتْهم وتبرأَتْ منهم، أو بسببِ عنصريّةِ قبائِلِهم، وعدم مساواتِها بين أبناءِ الإماتِ وأبنائِها الأصلاءِ ممن ورثوا عروبة الأصلِ، ونقاءِ الدمِ في الآباءِ والأمهاتِ: كالسُّليك بن السُّلكة، وتأبط شراً، والشنفرى، ومنهم الفقراء الذين كانوا يحيون حياةً شاقةً قاسيةً لم يجدوا معها ما يقيم أودهم. ومنهم من استشعرَ منزلتهم الاجتماعيّة ومقامهم خلفَ أدبارِ البيوتِ، وسوءِ منظرهم في هذا المقامِ الذليلِ، وتواريهم عن الناسِ، بسببِ ضيقِ أقاربِهم بهم وتخليهم عنهم، وقد جسّدَ ذلك عروةُ بن الورد في أشعاره. (انظر: خليف، ١٩٦٦م، ص: ٢٦-٣١)

بَلْ إنَّ بعضَ هؤلاء الشعراء قد نسيَ أهلَه، وانتسبَ إلى مَنْ استجارَ بهم بعدَ خلعِهِ، وبات يعدُّ نفسَه واحداً منهم، وهذا عين ما جسّدته لامية الشنفرى في قوله: (ديوان الشنفرى، ١٩٩٦م، ص: ٥٩)

ولي دُوْنَكُمْ أهْلُونَ: سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَل

هُمُ الأهْلُ، لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذائعٌ ... لَدَيْهِمْ، ولا الجَاني بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

فهذان البيتان يعبّران عن ذلك الإحساسِ بالتهميشِ والاستلابِ، وهي قمّة إحساسِهِ بالتّشيُّؤ؛ إذْ تصيرُ الحيواناتُ أكثرَ إحساساً بإنسانيتِهِ من قبيلتِهِ وأهلِهِ الذين تخلّوا عنه. ولعلَّ حديثهم عن تقبّلِ الموتِ وقلّةِ التشكّي ومصاحبتِهم الوحوش، وإلف الصحراء لهم، بحيواناتِها: طيرها ووحشِها، ونعامِها، وحشراتِها، وحيّاتِها، وذئابِها...إلخ، إنّما هو نوعٌ من الدفاعِ النفسيّ عن ذلك الإحساس بالتّشيُّؤ؛ حتى إنَّهم قرنوا حياتهم بحيوات هذه الحيوانات، فتوحّدوا معها في جهلِهم بمصائرِهم خوفاً من الصيّادين الذين يتربصون بتلك الحيوانات، وكذلك هم الصّعاليك الذين لا يعرفون مصائرهم، فاكتسبَ تعبيرُهم الشعريُّ خصوصيّة تنزاحُ عمّا سبقها من الشعرِ، فقد جعلُوا شعرَهم يعبّرُ عن إحساسِهم بالتّشيُّؤ؛ لأنّه وليد تركيبةٍ نفسيّةٍ حفلَتْ بها وجداناتُهم.

لعلَّ ما يجمعُ بين هذهِ الطبقاتِ من الصّعاليكِ هو الشعورُ بالاستلابِ والتهميشِ وهوانِ منزلتِهم

الاجتماعيّة، ليدمجوا بين ذواتِهم الهشَّةِ والصحراءِ وحيواناتِها، وما يحيطُ بها من مظاهرِ التصحُّرِ معبّرين عن تصحّرِ ذواتِهم التي قوبلَتْ بتصحّر قبائلِهم.

ولعلَّ محاولةَ تهميشِهم وطمسِ شخصيّاتِهم، أكسبَتْهم شعوراً بالاغترابِ عن أنفسِهم وهو ما يمكنُ تسميته "الشعور بالتّشيُّؤ"، فما كان منهم إلّا أن حاولوا رفضَ هذا كلّه بالتمردِ والخروجِ على حياةِ القبيلةِ دفعاً ومقاومةً لهذا الشعورِ بالاغترابِ النفسيّ والاستلابِ المعنويّ.

من هنا ليس عجيباً أن يقاربَ الشعراءُ الصّعاليكُ الإنسانَ المُسْتَلَبَ في دواخلِهم، فيرونه يتسمُ بالتمزقِ والاستسلامِ، حتى وهو يحققُ بعضَ المتعةِ الفرديّةِ الآنيّةِ، على حسابِ السعادةِ الجمعيّةِ طويلةِ الأمدِ.

وفي محاولتهم دفع هذا الظلم الاقتصاديّ والاجتماعيّ والطبقيّ وإحساسهم بتشييئهم من قِبَلِ أهلِهم وأقاربهم والمحيطين بهم كتبوا أشعاراً تُجسّد إحساسَهم بالتشيُّؤ، حتى وإن لم يذكروه صراحة؛ فالتشيُّؤ كان معلوماً عند القدماء الجاهليين بالمعنى، ولكن اللفظ غير موجود، فمعنى قولهم: "إنَّ الشيء يطلقُ للموجودِ والمعدوم، دالٌّ على التشيُّؤ"، وهو ما اصطلحَ عليه في زمنِ العولمةِ هذا بأن يُصبحَ الإنسانُ شيئاً. (قطُّوس، ٢٠٢٢، ص: ٤١)

وعلى الرغم من أنَّ الإنسانَ العربيّ الجاهليّ كان يحيا في كنفِ قبيلتِه، يُعرفُ من خلالِها، وينتمي إليها، إلّا أنَّ ذلك لم يقفْ حائلاً دونَ ظهورِ ألوانٍ من التمرّدِ الفرديِّ أو الجماعيِّ على حدٍ سواء، على اختلافِ الغاياتِ الموجبةِ لهذا التمرّد، الذي يستدعي النزوحَ عن الوطنِ (أرض القبيلة)، أو البعد والنوى، وربما الهرب أو الانفصال عن أفراد المجموعة، وما يصاحبُ هذه التحركاتِ القسريّةِ أو الطوعيّةِ من مشاعرَ نفسيّةٍ كالخوفِ أو القلقِ، أو الحنينِ، تصاحبُه، تسببه، أو تنتجُ عنه.

مشكلة الدّراسة:

لمّا كانت ظاهرةُ التّشيُّؤ قد أثّرَتْ على الجانبِ المعنويّ والإنسانيّ لدى الشعراءِ الصّعاليكِ، فقد ألهمتهم نوعاً من القولِ الشعريّ، وخلقَتْ أحاسيسَ متضاربةً على مستوى الإحساسِ بعدمِ الجدوى والعبثيةِ وانعدامِ الهدفِ، والانصراف إلى مصاحبةِ الصحراءِ وحيواناتِها، وخلقَتْ نوعاً من التعبيرِ الصادمِ عن تلك الحالةِ النفسيّةِ والاجتماعيّةِ، بما يستحقُ معه الدرسَ النقديّ الجادّ.

أهميّة الدّراسة:

تكمنُ أهميّة هذه الدراسةِ في الكشفِ عن الأشعارِ التي وقعَتْ في مواجهةٍ مع حالة التشييء التي فُرضت على هؤلاءِ الشعراءِ، وكيف عبّروا عنها فنياً وجمالياً، آخذين بعينِ الاعتبارِ ذلك المنظور النفسيّ أو الاجتماعيّ أو الاقتصاديّ، فضلاً عن زاويةِ الرؤيةِ التي أحاطَتْ بتعبيرهم الشعريّ.

أسباب اختيار الدّراسة:

لا شك أنَّ حجمَ التهميشِ الاجتماعيّ والاقتصاديّ الذي عاشه الشعراءُ الصّعاليكُ بفعلِ الظلم المجتمعيّ الذي مُورِسَ ضدّهم، قد ولَّد الألمَ والحرمانَ في نفوسِهم، ولمّا كان الظلمُ والحرمانُ، أو الإحساسُ بهما، يشكّلُ دافعاً لنوعٍ خاصٍ من الشعريّةِ، فقد رأيتُ أن أدرسَ هذا النوعَ من الشعرِ، سواء في خضوعهِ للتشييء، أو في محاولةِ مناهضةِ ذلك التشييء، وتصوير آثاره النفسيّةِ التي خلقَتْ شعراً متحدياً ثائراً رافضاً، يُظهرُ بعضَ الجوانبِ الإيجابيّةِ، حتى للأفعالِ والتصرفاتِ السيئةِ.

منهج الدراسة:

لتحقيق الأهداف المبتغاة من هذه الدراسة، فإنَّ الباحثَ سيسلك فيها **المنهج الوصفي التحليلي**.

مفهوم التشيُّؤ:

١) <u>**التَّشيُّؤ لغةً:**</u>

وَرَدَ في اللسان، "والشَّيءُ: معلومٌ. قالَ سيبويه (...): ألا ترى أنَّ الشيء مذكَّر، وهو يقعُ على كل ما أُخبر عنه".

والجمع أشياء. والمُشيَّأُ: المختلفُ الخَلْقِ المُخَبَّلَه القبيحُ. (...) وقد شيَّأَ اللهُ خَلْقَهُ أي قبَّحَه...

وشيَّأتُ الرَّجلَ على الأَمْرِ: حَمَلْتُه عليه. (ابن منظور، ٢٠٠٤م، ص ١٠٤ – ١٠٦)

يتضحُ بأنَّ المعنى اللغويَّ الّذي استعملَهُ العربُ يفيدُ معنييْنِ، هما التّقبيحُ، وحَمْلُ الرّجلِ على الأمر، وأمّا التَّشيُّؤ، فلم نجدْ هذه الصّيغة، فيما انتهى إليه بحثنا في المعاجم اللغوية. ولو قابلنا بين معنى مصطلحِ "التَّشيُّؤ" في زماننا، وهذيْن المعنييْنِ المذكوريْنِ، لوجدنا أنّ للمعنيين: التّقبيحِ، وحملِ الرّجلِ على الأمرِ، رسيساً يمكن أن نقيمَه بين هذا المعنى والمعنى المحدَث، فأنتَ حينَ تشيّئ الإنسانَ، إنّما تكون حملته على أمرٍ وأجبرتَه عليه، وهذا هو الجانبُ القهريُّ في التَّشيُّؤ. وأمّا الاشتقاقُ الصّرفيُّ

لكلمة التَّشيَّؤ، فهي مصدرٌ، وتفيدُ صيغة (تفعُّل) عدّة معانٍ، ومنها: الاتخاذُ، والمطاوعةُ، والتدريجُ، والصَّيرورة، وللسّياق دورٌ واضحٌ في توجيه المعنى. (انظر: قطُّوس، ٢٠٢٢، ص٤١)

٢) **التَّشيُّؤ مصطلحاً:**

التَّشيُّؤ (Reification)، ويُقصَد به: (تحوّلُ الصّفاتِ الإنسانيةِ إلى أشياءَ جامدةٍ، واتخاذُها لوجودٍ مستقلٍ، واكتسابُها لصفاتٍ غامضةٍ غير إنسانيّةٍ، وهو نوعٌ من اغترابِ الإنسانِ عن نفسِهِ). (كارل ماركس، د. ت، ص: ١٠٨)

وهو مصطلحٌ غنيٌّ في دلالاتِهِ، تتنازعُه عدّةُ حقولٍ معرفيّةٍ؛ فهو يضربُ بجذورِهِ في المقدِّماتِ الأولى للفكر البشريِّ، مثلما يضربُ بجذوره في شتّى المعارفِ: في علمِ النفسِ، وعلمِ الاجتماعِ، والاقتصادِ، والفلسفةِ، والدِّينِ.

٣) **التَّشيُّؤ مفهوماً:**

يرى بسّام قطُّوس أنَّ فهمَ التَّشيُّؤ ومَفْهَمَته، يستوجبُ الحفرَ الجينيالوجيَّ على أصولِ التَّشيُّؤ ومنابعِهِ، بالعودةِ إلى بعضِ خلفيّاتِهِ المعرفيّةِ أو مركّباتِهِ المعرفيّةِ التي منحتْهُ وجودَه، أو البنى التحتيّة لمسطَّحِهِ المفهوميّ، التي نشأَ وتشكّلَ فيها، وهي كثيرةُ المنابعِ، ومنها: علم النفس، والفلسفة، والاقتصاد، والاجتماع، والديانات السَّماوية؛ آية ذلك أنَّ المصطلحَ مرَّ بكلِّ هذه المحطاتِ المعرفيّةِ، واكتسبَ مع كلِّ محطّةٍ معرفيّةٍ ما يزيدُ على رصيدِهِ، فكان جزءاً من تصوّراتها المعرفيّة، قبل أن يجسِّدَه الأدبُ شعرُه ونثرُه.

وفي محاولتنا الحفر على المسكوتِ عنه في شعرِ بعضِ الشعراءِ الصّعاليكِ وجدناهم يعاينون الفقرَ والتشرّدَ والطردَ من مجتمعاتِهم وبيئاتِهم الحاضنةِ، ويواجهون الموتَ في سعيهم لتحقيقِ إنسانيتِهم المهدورة؛ آية ذلك أنَّ الأدبَ بالعمومِ والشعرَ منه بالخصوصِ ما هو إلّا صورةٌ لغويّةٌ ونفسيّةٌ للمشاعرِ والانفعالاتِ، تعبيراً عن تجربةٍ إنسانيّةٍ مريرةٍ.

من هنا يصحُّ الاستنتاج بأنَّ بعضَ الشعراءِ الصّعاليكِ قد دُفعوا دفعاً وفُرضَ عليهم التّشيُّؤ، وبعضُهم اختاروا عُزلةً خاصّة بسببِ إحساسِهم بالدونيةِ كأبناءِ الإماءِ أو بسببِ التمييز أو عقدةِ اللونِ، أو ما شابه ذلك.

التّشيُّؤ: مقدمة عامّة تمهيديّة.

أصبحَ الإنسانُ – وخاصّةً في العصرِ الحديثِ – منفصلاً انفصالاً حادّاً لم يسبق له مثيل، سواء عن الطبيعةِ أو الدولةِ أو حتى عن نفسِهِ وأفعالِهِ وتصرفاتِهِ، فلم يَعُدْ قادراً على إقامةِ جسور تواصلٍ بينَه وبين الآخر، هذا الآخر المختلف المظاهر والمتعدد الأسماء، وبالتالي أصبحَ عاجزاً عن تحقيق ذاتِهِ على نحوٍ أصيلٍ. (رجب، ١٩٨٨م)

وهذا يُشيرُ إلى ما أطلقَ عليه المسيري، وهو يتحدثُ عن تجليّاتِ تشيُّؤ الإنسانِ، أزمة القيم واختفاءِ المعنى، التي أفقدَت الإنسانَ كثيراً من صفاتِهِ الأخلاقيّةِ والإنسانيّةِ كالبرِّ والشهامةِ والإيثار والتقوى. لقد باتَ الحاسوبُ على سبيلِ المثالِ طقساً من طقوسِ الإنسانِ المُعاصرِ، وباتَ المثلَ الأعلى لحياةِ الإنسانِ يفكرُ به، ويتماهى معه، فيتشيّأ تشيُّؤاً ناعماً أثيرياً. (المسيري، ٢٠١٣م)

إنَّ الإنسانَ في العالم – وخاصّةً في العالم الغربيّ – قد طُحِنَ تماماً وتمَّ تسليعُه، فالنظامُ الذي يكفلُ له الحياةَ الماديّةَ الهانئةَ الناعمةَ من ناحيةٍ اقتصاديّةٍ هو أيضاً النظام الآليّ الذي يتحكّمُ فيه وفي حياتهِ أخرجَ الأشياءَ من عالمِ الإنسانِ إلى عالمِ الأشياءِ، ولم يكتفِ بذلك؛ إذْ أخرجَ الإنسانَ نفسَه من عالمِ الإنسانِ ووضعَهُ في عالمِ الأشياءِ.

حملَ الإنسانُ المعاصرُ حقيبةَ الجسدِ، وتركَ حقيبةَ الروحِ، ونسيَ أن مَنْ وضعَ الروحَ في الجسدِ هو اللهُ خالقُ البشر، وتناسى الإنسانُ المعاصرُ أنَّ توازناً بين متطلباتِ الروحِ والجسدِ معاً هو الأجدى للإنسانِ، كي يتخلصَ من إحساسِهِ بالتّشيُّؤ.

لقد سلبتنا الحداثةُ الجوهرَ وأعادَتْ تطبيعنا بما يتلاءمُ وطروحاتِها في تسليعِ الإنسانِ؛ فإذا كان مفكرو عصرِ النهضةِ قد جعلُوا من الإنسانِ معيارَ المعرفةِ الحقيقيةِ ومركزَ الفكرِ وغايةَ الفعلِ، فإنَّ الرأسماليّة والعَلمنة (وبعدها العولمة)، والترشيد الإجرائي، حسب مفهوم ماكس فايبر، قد أضعفَتْ من القيمةِ المركزيّةِ للإنسانِ، فبدأ الإنسانُ يعيشُ في عالمٍ ماديّ وينتقلُ في مساحاتِ الحواسِ الخمسِ، ولعلَّ أدقَّ وصفٍ لهذه التحوّلات هو مصطلح "التّشيُّو".(قطُّوس، ٢٠٢٢م)

فعمليّةُ تنميطِ الإنسانِ وبرمجتِهِ وتشيُّئِه تتمُّ بواسطةِ تدريبه تدريجيّاً على قبولِ الطبيعةِ / المادةِ، هذا الكيان غير الإنسانيّ المتجاوز للإنسان، باعتبارها المرجعيّة النهائيّة؛ إذْ تسري على الإنسانِ القوانينُ ذاتُها التي تجري على الأشياءِ، فتصبحُ حينئذٍ المادةُ هي مرجعيّته النهائيّة، وعندها يكون كائناً طبيعيّاً وشيئاً يُشبهُ الآلة.

لعلَّ انعدامَ العدالةِ في العالم، وما ينتجُ عنه من اختلالاتٍ ومآسٍ بشريّةٍ، وانعدام الحريّة، والوجود

المُهَدَّد، والاغتراب المكانيّ أو النفسيّ، والشعور بعدم الانسجامِ بين الآمالِ والطموحاتِ والواقعِ المعيشِ الذي يُشْعِرُ الإنسانَ بعدم الانسجامِ مع ذاتِهِ، واختلال القيم وتحوّل المجتمعاتِ لأسبابٍ كثيرةٍ ليس أقلّها وسائل التواصلِ الاجتماعيّ الحديثةِ وما تحدثه من خللٍ في التواصلِ الإنسانيّ، أضف إلى ذلك عدم التوافقِ بين الإنسانِ وآمالِهِ وطموحاتِهِ والعالم الذي يعيشُ فيه، وكلّ أنواعِ القهرِ السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ، والتضييق في الحريّات، وعدم المشاركةِ في الحياةِ السياسيّةِ، والتمييز بكلِّ أنواعِهِ، والحروب وما تخلّفه من كوارثَ إنسانيّةٍ وتشرّدٍ، والفقد، والنفي أو الخلع من الوطن، والتهميش، والاغتراب، كلّها أسبابٌ وعواملُ تؤدّي إلى الشعور بفقدانِ الذّاتِ، وتقودُ إلى شكلٍ من أشكالِ التشيُّؤ. (قطُّوس، ٢٠٢٢م)

إنَّ درجةَ الحريَّةِ تُحددُ بما يُمكنُ اختيارُهُ وما هو مُختارٌ من الفردِ بالذّاتِ، وهذه الحريّةُ لا تعني شيئاً إلّا إذا كان الإنسانُ قادراً على أن تكون له آراؤه وأفكارُه الخاصّةُ به، والتي ليسَتْ من صنعِ الآخرين أو إملاءاتهم، أو أنَّ الأفكارَ ليست أفكاره بل أوحيَ بها له من الخارجِ، ومن سلطةٍ مجهولةٍ هي سلطة المجتمعِ وعاداتِهِ وتقاليدِهِ وأخلاقياتِهِ. (رجب، ١٩٨٨م)

وإنَّ أيّ تطابقٍ في أفكارِهِ تلك مع أفكارِ الآخرين وتوقعاتهم مُساقاً بالخوفِ من العُزلةِ، وأصبحت أفعالُه وأفكارُه زائفةً، وأصبحَ مجردَ أداةٍ، والإحلال للأفعال الزائفة محل الأفعال الأصيلة للتفكير والشعور والإرادة يفضي لإحلالِ نفسٍ زائفةٍ محل النفسِ الأصيلةِ، والنفسُ الزائفةُ لا تملكُ إرادتَها بل توجّه من الآخرين كالقبيلةِ أو السلطةِ.

وهذا الهربُ من الحريّةِ، وهذا الفقدانُ للنفسِ الأصيلةِ أفضى إلى التّشيُّؤ، وبالتّشيُّؤ ينفصلُ الإنسانُ عن الإنسانِ وعن نفسِهِ، فيكون الهروبُ عندئذٍ عن كلِّ ما تميلُ إليه النفسُ من شهواتٍ، واغتراب النفسِ عن هواها، واغتراب عن الدنيا وملذاتِها، واغترب عن ذاتِهِ فيكتسبُ الإنسانُ ذاتاً زائفةً متشيّئة.

التَّشيُّؤ في الفكرِ الرأسماليّ:

تُجرّدُ الرأسماليّةُ البشرَ من إنسانيتِهم على نحوٍ متزايدٍ؛ إنَّها تعاملُ الأفرادَ المشاركين في عمليّة إنتاجِ السّلعِ البروليتاريا[1] كشيءٍ، بينما تحوّلُ الشيءَ الحقيقيّ الذي يقومُ عليه النشاطُ الإنتاجي (رأس

(١) **البروليتاريا:** مصطلحٌ ظهرَ في القرنِ التاسعِ عشر، ويعني الطبقة التي لا تملكُ أيَّ وسائلَ إنتاجٍ، وتعيشُ من بيعِ مجهودِها العضليّ أو الفكريّ، ويتنبأ ماركس أنَّ هذه الطبقة هي التي ستحررُ المجتمعَ وتبني الاشتراكيّة بشكلٍ أمميّ.

المال) إلى ذاتٍ مصطنعةٍ للحياةِ الحديثةِ. ولا يمكنُ قلب هذا «العالم المقلوب» – وهي فكرة استعارها ماركس من هيجل – ممكناً إلّا بإنهاءِ ما أطلقَ عليه كتاب "رأس المال" مصطلح "صنميَّة السلعة" (ستيفن إيريك برونر، ٢٠١٦م، ص: ٤٥)، وهذا يعني بعبارةٍ مختلفةٍ بعض الشيء: يتطلبُ إنهاءُ الاغترابِ إنهاءُ التّشيُّؤ، الأمرُ الذي يتطلبُ الوعيَ بما ينبغي تغييره، أي يجبُ إعادةُ التفكيرِ في العالمِ على نحوٍ جديدٍ.

فالرأسماليّةُ لم تكتفِ بزيادةِ الإنتاجِ وحسب، بَلْ كانت سبباً في تحويلِ كلِّ شيءٍ إلى بضاعةٍ، وتحويلِ الإنسانِ إلى رقمٍ قابلٍ للتداولِ والنفي والإلغاءِ، وفقَ مقتضياتِ سوقِها الماديّة، ضاربةً عرضَ الحائطِ بالعلاقاتِ الإنسانيّةِ.

وهكذا فإنّ النظامَ الرأسماليّ أسهمَ مباشرةً في تعزيزِ الشعورِ بالتّشيُّؤ؛ إذْ صَنَعَ مُجتمعاً استهلاكيّاً يجتثُّ الإنسانَ من جذوره ويُخضِعُه لنظامٍ لا علاقةَ له به، فهو لا يقفُ عند حريّاتِ الأفرادِ أو قناعاتِهم وحسب، وإنَّما يسوقُهم جميعاً في طريقٍ واحدةٍ لا خيارَ لهم بها؛ فيحوِّلُ الأفرادَ إلى جماهيرَ، أي إلى جماعةٍ غيرِ واعيةٍ، وعلى الفردِ، وسطَ هذا الحشدِ، أن يمتثلَ ويطيعَ فقط من دون تساؤلٍ ولا إعمالِ نظرٍ.

وفي هذا المجتمعِ الاستهلاكيّ، يصيرُ الحبُّ آليّاً، مثله في ذلك كمثلِ العملِ الآلي، وبذلك يفقدُ الإنسانُ الشعورَ الجميلَ بالحبِّ؛ إذْ إنَّ أنانيتَه وسعيَه إلى الامتلاكِ يجعلان من حبِّه مسعى إلى الامتلاكِ هو الآخر، فيتعاملُ مع شريكِ حياتِهِ وصديقِهِ وقريبِهِ كما يتعاملُ مع مجتمعٍ آلي، وبذا يتحولُ حبُّه إلى مخدرٍ أو وهمٍ لتأمينِ استمراريةِ حياتِهِ؛ كما يتحولُ التّشيُّؤ حينئذٍ من قضيّةٍ فرديّةٍ إلى ظاهرةٍ اجتماعيّةٍ عامّةٍ. (الحيدري، www.alwasatnews.com)

إنَّ كثيراً من العلاقاتِ بينَ الناسِ أخذَتْ طابعاً ماديّاً بحتاً، "فبدلاً من وجودِ علاقاتٍ بين بشر، توجدُ علاقاتٌ بين أشياءَ"(أريك فروم، ١٩٧٢، ص: ١٠١)؛ إذْ إنَّ الإنسانَ لا يبيعُ سلعةً فحسب، بَلْ إنَّه يبيعُ نفسَه، ويشعرُ أنَّه أصبحَ سلعةً؛ فالعاملُ اليدويُّ يبيعُ طاقتَه الجسمانيّة، ورجلُ الأعمالِ والمحامي والطبيبُ والكاتبُ يبيعون شخصيّاتِهم، فلا بُدَّ من أن يمتلكوا شخصيّةً إذا كان عليهم أن يبيعوا إنتاجَهم أو خدماتِهم.

يمكنُ القول: ارتبطَ التّشيُّؤ وسلعنةُ الإنسانِ بالواقعِ الاقتصاديّ الرأسماليّ إلى حدٍ كبير؛ فقد أصبحت العلاقاتُ بينَ الناسِ علاقاتٍ نقديّة، وتحوَّلَ الإنسانُ ذاتُه إلى سلعةٍ متداولةٍ في السّوقِ، وتجرّدت العلاقاتُ البشريّةُ من إنسانيتِها.

وفي ظلِّ النظامِ الرأسماليّ أصبحت السلعةُ في السوقِ هي التي تَصُوغُ حياةَ البشرِ، وأدّى هذا إلى عبوديّةِ الإنسانِ وتأليهه للسلعةِ؛ إذْ أصبحت السلعةُ هي التي تتحكمُ في ذاتِ الإنسانِ، وخضوع الإنسان للسلعة أدّى إلى تشيُّئِه وفقدانِهِ لحريتِهِ. (أنور، ٢٠٠٤م)

من الصعبِ فهمُ التّشيُّؤ ودلالتُه حقَّ الفهمِ بمعزلٍ عن الظروفِ الإنسانيّةِ والاقتصاديّةِ والاجتماعيّةِ التي يعيشُها الفردُ قديماً وحديثاً، وصحيحٌ أنَّ هذه المشكلات والظروف حديثةٌ (تنتمي إلى العصر الحديث)، لكن الحقَّ أنَّ بعضاً منها موجودٌ من قبل في عصورٍ سابقةٍ، وإن لم يكن بلغَ من الوضوحِ والنضوجِ والاكتمالِ ما بلغَهُ في العصرِ الحديثِ.

كذلك فإنَّ التجاربَ والأحوالَ المرتبطةَ – غالباً – بوصفِ هذا المُصطلحِ إنّما هي خصائصٌ تميِّزُ هذا العصرَ الذي نحياه الآن: المجتمع الصناعيّ عامّة، والمجتمع الرأسماليّ خاصّة. وإن كانت هذه الأحوالُ والتجاربُ والخصائصُ موجودةً قبلَ العصرِ الحديثِ في مجتمعاتٍ لا هي صناعيّة ولا رأسماليّة، ولكنها متناثرة وفرديّة، لم تكنْ من القوّةِ والانتشارِ ما يؤهلُها لتكونَ ظاهرةً واضحةَ المعالمِ وشاملة.

فحين أرادَ ابنُ عربيّ ١١٦٥ – ١٢٤٠ التعبيرَ عن فكرةِ التّشيُّؤ، وأن يطلقَ كلمةً تحددُ معنى الخلقِ والهبوط لآدم وحواء من الجنّة، لم يجدْ سوى كلمة "غربة"؛ فقد كتبَ في الفتوحاتِ المكيّةِ، يقول: "إنَّ أولَ غربةٍ اغتربناها وجوداً حسيّاً عن وطنِنا غربتنا عن وطنِ القبضةِ عند الأشهادِ بالربوبيّة لله علينا، ثمَّ عمرنا بطون الأمّهات، فكانت الأرحامُ وطننا، فاغتربنا عنها بالولادة". (ابن عربي، د. ت، ص: ٦٩٦)

يَستمدُّ الإنسانُ ذاتَه وإحساسَه بشخصيّتِهِ من الدورِ الاجتماعيّ أو الوظيفيّ الذي يقومُ به؛ وهذا الدورُ أو (المكانةُ) محددةٌ سلفاً، وربما موروثةٌ، وهذا التحديدُ المسبقُ للدورِ الاجتماعيِّ إنّما يحدُّ من قدرةِ الفردِ وطموحِهِ، أو يقضي عليهما في التغييرِ والتطويرِ إلى حدٍ ما.

ثمَّ إنَّ العبيدَ المُسْتَغلين بهذا الشكل كانوا يجدون أنفسَهم منبوذين من المجتمعِ الإنسانيّ، ولم يكن مصيرهم ليتمكّن من الظهورِ للمعاصرين، ومع تعميمِ المقولةِ التجاريّة تغيّرت هذه الصّلةُ جذريّاً وكيفيّاً؛ إذْ إنَّ مصيرَ العاملِ أصبحَ المصيرَ العامَّ لكلِّ المجتمعِ، "لأنَّ تعميمَ هذا المصيرِ هو الشرطُ الضروريّ حتى يتشكلَ سيرُ العملِ في المشاريعِ حسب هذه القاعدةِ؛ لأنَّ المكننةَ العاقلةَ لسيرِ العملِ لا تصبحُ مُمكنةً إلا بظهورِ العاملِ الحرِّ" (جورج لوكاتش، ١٩٨٢م، ص: ٨٥)، والذي أصبحَ يبيعُ – بحريةٍ مطلقةٍ، في السوقِ وفي أماكنِ العملِ الأخرى – طاقتَه على العملِ كسلعةٍ تخصُّه، وكشيءٍ يملكه.

مما لا شكَّ فيه الضرورة المحتومة على كلٍّ واحدٍ منّا أن يستهلكَ، فعلى كلّ إنسانٍ أن يأكلَ ويشربَ ويلبسَ ويسكنَ ويمارسَ عدداً من نشاطاتِهِ اليوميّة، باختصار إنَّه يحتاجُ ويستعملُ أشياءَ كثيرةً، وهذا ما يُسمى الاستهلاكُ، وهو ليس مشكلة وإنّما حاجة طبيعيّة لكلّ فردٍ في المجتمعِ، وهذه سُنّةُ الحياةِ، ومن أجلِ البقاءِ لا بُدَّ للإنسانِ أن يستهلكَ، وهنا لا بُدَّ من التفريقِ بين استهلاكٍ واستهلاكٍ، هناك استهلاكٌ مفروضٌ مؤسسٌ على الجشعِ، وهناك ضغط للأكلِ أكثر، للتبضّع أكثر، للامتلاك أكثر، للاستعمال أكثر. (إيريك فروم، ٢٠٠٣م)

يؤمنُ عبدُ الوهاب المسيري بمقدرةِ الإنسانِ على تغييرِ واقعِهِ، وعلى تجاوزِ ظروفِهِ؛ "فالإنسانُ عاقلٌ لذلك هو محورُ الكونِ" (المسيري، والتريكي، ٢٠٢٠م، ص: ١٢)، وأشارَ المسيري إلى اللاعقلانيّةِ الفلسفيّةِ التي بدأَتْ تُمسكُ بتلابيب الغرب، بَلْ وتُهيمنُ عليه، ففي عالمِ الحداثةِ لا يوجدُ شكلٌ مفهومٌ؛ إذْ يفقدُ الإنسانُ ما يُميزُه كإنسانٍ، ويتساوى الرجلُ مع الشيءِ، بل تتحررُ الأشياءُ من الإنسانِ وتسيطرُ عليه.

التشيُّؤ في المجتمعِ الرأسماليّ:

ينطلقُ لوكاتش في تحليلِهِ لمفهومِ التّشيُّؤ (Reification) في المجتمعِ الرأسماليّ من تحليلِ ماركس لمعنى البضاعةِ داخلَ المجتمعِ الرأسماليّ، ووصفه لعمليّة التّشيُّؤ التي تترتبُ على تعميمِ مفهومِ السّلعةِ أو البضاعةِ، بمعنى أنَّ جوهرَ الصّلةِ بين الأشخاصِ في النهايةِ يأخذُ طابعاً شيئيّاً؛ لأنَّه إذا كان الإنسانُ يستهلكُ الموادَ الخامَ، ثمَّ ينتجُ الموادَ الصناعيّة التي يستهلكُها، فإنّه في الاقتصادِ الرأسماليّ يُنتجُ السلعَ التي تُباعُ قبل أن تستهلكَ من قِبَلِ العاملِ، أي أنَّ العاملَ ينتجُ البضاعةَ التي لا يستطيعُ في الغالبِ أن يَسُدَّ بها حاجته. (بسطاويسي، ١٩٩١م)

لقد ارتبطَتْ أهميّةُ السّلعةِ في المجتمعِ القديمِ الذي يعتمدُ على المقايضةِ أو المبادلةِ، بقيمةِ الاستعمالِ، بمعنى أنَّ هدفَ الإنتاجِ ذاتَه كان قيمة الاستعمالِ للسلعةِ وليس قيمة المبادلة؛ لأنَّ الإنسانَ لم يكنْ يتجاوزُ الكميّة الضروريّة للاستهلاك.(بسطاويسي، ١٩٩١م، ص: ٧٧)

لذلك فإنَّ أهميّة السلعةِ كانت مرتبطةً بالإنسانِ الذي يستهلكُها، ولكن قيمة الاستعمال تنتهي لتصبحَ وسائلَ مقايضة، وهنا يمكن أن يُشارَ إلى المنعطفِ الكيفيّ الذي أحدثته سيادةُ السّلعةِ؛ إذْ ارتبطت بنشوءِ بنيةٍ تجاريّةٍ في المجتمعِ، فتصلُ إلى المنعطفِ الكمّي، حيثُ ترتبطُ حركةُ السّلعةِ في المُجتمعِ بحركةِ النقدِ أيضاً، وأصبح وجودُ السّلعةِ غيرَ مرتبطٍ بالإنسانِ الذي ينتجُها أو الذي يستخدمُها،

وإنّما وجودها أصبحَ مرتبطاً بالقيمةِ النقديّةِ التي تحرّكُ رأسَ المالِ في دورتِهِ نحو الزّيادةِ أو الخفضِ حسب تطوّراتِ السّوقِ والبنيةِ التجاريّةِ، وهنا يتطوّرُ مفهومُ السّلعةِ من الناحيةِ الكميّةِ والكيفيّةِ، وينفصلُ عن قيمتِها الاستعماليّةِ، ويرتبطُ بأشياءَ أخرى كثيرةٍ بعيدةٍ عن الإنسانِ.

وعلى الرغمِ من أنَّ السّلعَ هي من إنتاجِ العملِ البشريّ، إلا أنَّها بمجرّدِ دخولِها في علاقاتِ التبادلِ التجاريّ السّوقي مع غيرها من السّلعِ، تصبحُ لها قوانينها الخاصّة، وتخضعُ لقوانين السوقِ: العرض والطلب؛ فتستقلُ عن أصلِها البشريّ والاجتماعيّ، بَلْ والإنسانيّ، ويصيرُ لها كيانها الخاصّ مما يؤدي إلى ما أسماه ماركس بـ "صنميَّة السلعة" التي تستعبدُ الإنسانَ.(قطُوس، ٢٠٢٢م)

يرى الباحثُ أنَّ بسطَ الكلامِ وحاصلَه يكمنُ بأنَّ رواجَ السلعةِ في الأسواقِ يدفعُ صاحبَ العملِ إلى مزيدٍ من الإنتاجِ، بينما ركودها يجعلُه يحكمُ على عددٍ من العمالِ بالبطالةِ، وكأنَّ حركةَ السلعةِ في الأسواقِ التجاريّةِ والمولاتِ هي التي تحكمُ حياةَ البشرِ، لا العكس.

فالتّشيُّؤ بهذا المعنى يجعلُ ما ينتجُه الإنسانُ يبدو في صورةِ شيءٍ جامدٍ مستقلٍ بشكلٍ كاملٍ عن الإنسانِ؛ مما يعني استلابَ الإنسانِ وفقدانه لحريتِهِ، عندها يصبحُ خاضعاً لقوّةٍ خارجةٍ عن سيطرتِهِ وإرادتِهِ.

التَّشيُّؤ في الفكرِ الاشتراكيّ:

سعت الاشتراكيّةُ إلى إلغاءِ اغترابِ الإنسانِ الذاتيّ، والعودةِ بالإنسانِ ككائنٍ إنسانيّ حقيقي (إريك فروم، ١٩٩٨م، ص ٨٦)، وبالنسبةِ لماركس، فالاشتراكيّةُ تعني النظامَ الاجتماعيّ الذي يسمحُ بعودةِ الإنسانِ إلى ذاتِه، وتعني التماهي بين الوجودِ والجوهرِ، تجاوزاً للانفصالِ والتناقضِ بين الذّاتِ والموضوعِ، وأنسنةِ الطبيعةِ؛ إنَّها تعني عالماً لن يعودَ الإنسانُ يشعرُ فيه، بأنّه غريبٌ بينَ غرباء، بَلْ سيشعرُ أنَّه في عالمِهِ، في بيتِهِ.

لكنَّ الاشتراكيّة التي جاءَتْ ردّاً على الرأسماليّةِ وتوحّشِها، لم تكنْ أقلَّ فظاظةً وقسوةً وتوحّشاً؛ فإذا كانت الرأسماليّةُ سحقَتْ إنسانيّةَ الإنسانِ في رأسماليتها، فهذه سحقته في توتاليارتها[1] البيروقراطيّة،

(١) يعني هذا المصطلح السياسي: عملية تحويل الطبقات الاجتماعية إلى جماهير، من خلالِ اللجوءِ إلى الإرهابِ كونه جوهر هذا النمط من الأنظمة؛ إذْ يحددُ الشروط الضرورية لنشأة السيطرة، ومنها: العزلة، والانكفاء، وتفتيت الروابط الاجتماعية.

وهذا بعضٌ مما أشارَ إليه اليساريُّ الماركسيُّ سلافوي جيجيك، وهو أنَّ الأيديولوجيا ما هي إلّا انعكاسٌ لعلاقاتِ القوّةِ المُسيطرةِ على المجتمعِ كما في التقليدِ الماركسيّ.

لكن جيجيك يركزُ على طابعِها اللغوي (الرمزي) ضمن أفكار التحليلِ النفسيّ عن الذاتِ والأنا الأعلى، بحيثُ تترجمُ علاقاتُ الإنتاجِ / القوى إلى اللغةِ في علاقةٍ تبادليّةٍ (تعيدُ العلاقاتِ إلى إنتاجِ اللغةِ، وتعيدُ اللغةُ إنتاجَ العلاقاتِ وتضمنُ استمراريتَها / شرعيتها)، وتمنعُ تلك العلاقات / اللغة المجتمعَ من الحصولِ على حريّاتِهِ؛ إذْ إنَّ لدى جيجيك لا قمعَ دون آيديولوجيّات، ليست فقط تحميه أو تبرره، وإنّما تنتجه. (حمزاوي، www.ida2at.com/slavoj-zizek-philosopher-dangerous-dreams)

يرى ماركس أنَّ الإنسانَ في حسّيته الكاملة، ككائنٍ موجودٍ في مجتمعٍ مُعطى، وفي طبقةٍ اجتماعيّةٍ مُعطاةٍ، حيثُ يجري تطوّره من خلال إطارِ المجتمعِ، كما يكون في الوقتِ نفسِهِ أسيراً له أو مُتعلّقاً به، ويعتبرُ ماركس أنَّ التحقيقَ الكاملَ لإنسانيّةِ الإنسانِ، ولعمليّةِ انعتاقِهِ من القوى الاجتماعيّةِ التي تقيّده غيرُ منفصلٍ عن عمليّة وعي وجودِ هذه القوى، وعن التغيير الاجتماعيّ الذي يتأسسُ على هذا الوعي. (إريك فروم، ١٩٩٨م)

تجرّدت العلاقاتُ البشريّةُ من إنسانيتِها، ولم يفلح النظامُ الرأسماليُّ ولا النظامُ الاشتراكيُّ هو الآخر في تخليصِ الإنسانِ من تشيُّئِه، مثلما لم تفلح الحداثةُ وما بعدها بإعادةِ أنسنةِ الإنسانِ، فإنَّ ما أسهمَ به الإنسانُ نفسُه، من تشيُّؤٍ طوعيّ هو جريه وراءَ المكاسبِ الماديّةِ ووراءَ جسدِهِ الشهوانيّ، وتخلّيه عن "كينونته الروحيّة". فالراقصةُ التي تخضِعُ جسدَها، أجلَ الكسبِ الماديّ، وعارضةُ الأزياءِ، التي تخضعُ لعملياتِ تجميلٍ، أو تخسيسٍ، ويُفرضُ عليها نظامٌ غذائيٌّ محددٌ، والمرأةُ التي تسكنُ في جسدٍ غيرِ جسدِها، بعد أن أجرَتْ عشرات العمليّات لتتحولَ إلى رجلٍ، أو حتى إلى أنثى مختلفةٍ عن الخلقةِ التي وهبَها اللهُ لها، وسواهن ممن يقبلن تسليعَ أجسادِهن، أو سلعنتِها، كلها مظاهر متعددة من مظاهرِ القبولِ والإذعانِ للتَّشييء؛ إذْ لم يَعُد الجسدُ الذي كان يفرضُ حضورَه وسلطتَه القيميَّة موجوداً، بَلْ أصبحَ حضورُ الجسدِ الذي يتم تسليعه، أو سلعنته، بمعنى الذي يتم تشييئه وفق فرضيّة "تسليع الذّات، تذويت السلعة". (قطُّوس، ٢٠٢٢م)

فالتعذيبُ القاسي، والاغتصابُ، والخلعُ، والطردُ من القبيلةِ، كلُّها أسبابٌ تجعلُ الفردَ يفقدُ الثّقة بنفسِهِ؛ لأنَّ هذه الانتهاكات التي تهددُ وجودَ الفردِ وسلامتَه ليست مجرّد ألمٍ ماديّ أو جسديّ فقط، وإنّما تُسببُ له أذى نفسيّاً أيضاً تدفعُه إلى الشعورِ بالتبعيّةِ والخضوعِ لإرادةِ غيره؛ إذْ يصبحُ عندئذٍ عاجزاً عن التحكّمِ بنفسِهِ، فأيُّ شعورٍ بالإهانةِ والإساءةِ والاحتقارِ وعدمِ الاعترافِ سيعيشُها المتشيئ حينئذٍ، الأمرُ الذي ينعكسُ سلباً على شعورِ المرءِ بالثقةِ في ذاتِهِ وإمكانيّةِ تحكُّمِه في جسدِهِ واستقلالِهِ الذاتيّ.

وعندما يُحرمُ الفردُ من بعضِ حقوقِهِ المشروعةِ يمكنُ أن يطلقَ عليه بحالٍ من الأحوالِ مُسمى الضحيّة؛ فعدمُ الحصولِ على هذه الحقوقِ يعني – ضمناً – أنَّ المجتمعَ لا يعترفُ له بدرجةِ المسؤوليّةِ نفسِها التي يعترفُ لأعضاءِ المجتمعِ الآخرين، فالشعورُ بالانتماءِ للجماعةِ يجعلُ الفردَ يشعرُ بحقوقِهِ، وفي الوقتِ نفسِهِ بالالتزامِ وبالمسؤوليّةِ، وهي كلُّها مشاعرُ متبادلة بين الأفرادِ بدرجاتٍ متفاوتةٍ، ولكنّها دون المستوى المنتظر تحقيقه اجتماعيّاً وأخلاقيّاً. (أكسل هونيث، ٢٠١٢م)

يرى الباحثُ أنَّ ما يميزُ هذا النمطَ من الاحترامِ الاجتماعيّ الذي يُحرمُ منه بعضُ الأفرادِ، هو ما يدفعُهم إلى الشعورِ بأنَّ وضعَهم الاجتماعيّ لا يماثلُ الآخرين المشاركين لهم في التفاعلِ الاجتماعيّ، فيشعرون إثرَ ذلك بفقدانِ الاحترامِ، بَلْ وبعدمِ تساويهم مع الغيرِ، وهذا ما حدثَ مع الشعراءِ الصّعاليك في العصرِ الجاهليّ.

إذْ يسعى الإنسانُ – في الجانبِ المعرفيّ – إلى التعبيرِ عن نفسِهِ من خلالِ البحثِ الدائبِ، وطرحِ الأسئلةِ حولَ العللِ الأولى، فهو لا يتوقفُ عن طرحِ الأسئلةِ، ولا يكتفي بما يصلُ إليه عكس الكائناتِ الأخرى، ومن ثَمَّ هو يبحثُ عن الغرضِ من وجودِهِ في الكونِ؛ فالإنسانُ، هو كائنٌ عارفٌ واعٍ بذاتِهِ والكون، وفي الوقتِ نفسِهِ قادرٌ على تجاوز ذاتِهِ الطبيعيّة/ الماديّة، وقادرٌ على استخدام عقلِهِ، ومن ثَمَّ فهو قادرٌ على صياغةِ ذاتِهِ وبيئتِهِ حسب رؤيتِهِ، وعلى وفقِ ما يتوصّلُ إليه من معرفةٍ من خلالِ تجاربِهِ.

وهذه النظرةُ التي أودعَها اللهُ في البشرِ تختلفُ عن النظرةِ العلمانيّةِ التي تردُّ الباطن الروحيّ الفوقيّ إلى الظاهر الماديّ التحتيِّ، والإنسانُ هو النوعُ الوحيدُ الذي يتميزُ كلُّ فردٍ فيه بخصوصياتٍ لا يمكنُ مَحْوُها أو تجاهلُها، فالأفرادُ ليسوا نُسَخاً متطابقةً يمكن صبّها في قوالبَ جاهزةٍ، أو إخضاعِها جميعها للقوالب التفسيريّة ذاتها.

دفعُ التَّشيُّؤ بالإبداع:

في محاولاتِ الإنسانِ للبحثِ عن وسائلَ وطرقٍ تجنّبُه السّقوطَ في التّشيُّؤ والوقوعَ به، فإنَّه يلجأُ إلى الإبداعِ بشتّى أشكالِه، وعلى رأسِها الإبداع باللغةِ، والشاعرُ أو الروائيُّ أو الأديبُ أيّاً كان مجالُ إبداعِهِ حينَ يُهدّدُ بلغتِهِ فهو يُهددُ بوجودِهِ، لأنَّ اللغةَ هي عنصرٌ مرادفٌ للوجودِ مثلها مثل

الهويّة؛ فالتّشيُّؤ لا يمثّلُ اختلالاً بين الماهيّةِ والوجودِ فحسب، بَلْ يمثّلُ جُرحاً في الهويَّةِ: هويّةِ الإنسانِ الوجوديّةِ، وهويتِهِ اللغويّةِ، بَلْ وهويتِهِ الإنسانيَّةِ.

ومفهومُ الهويّةِ من المفاهيمِ المركزيّةِ التي تسجلُ حضورَها الدائمَ في مجالاتٍ علميّةٍ متعددةٍ، ولا سيما في مجالِ العلومِ الإنسانيّةِ ذاتِ الطابعِ الاجتماعيِّ، ويُعدُّ بالتّالي من أكثرِ المفاهيمِ تغلغُلاً في عُمقِ حياتِنا الثقافيّةِ والاجتماعيّةِ اليوميّةِ، ومن أكثرِها شيوعاً واستخداماً، وعلى الرغمِ من البساطةِ الظاهريّةِ التي يتبدّى فيها مفهومُ الهويّةِ فإنَّه وعلى خلافِ ذلك يتضمنُ درجةً عاليةً من الصعوبةِ والتعقيدِ والمشاكلةِ، وذلك لأنَّه بالغُ التنوّعِ في دلالاتِهِ واصطلاحاتِهِ. (إليكس ميكشيللي، ١٩٩٣م)

وتعدُّ العودةُ إلى الطبيعةِ طريقاً لتجاوزِ التّشيُّؤِ الذاتيّ؛ "فالطبيعةُ تعني أساساً ما يسودُ العلاقاتُ الإنسانيّةُ من تلقائيّةٍ ومحبةٍ وتعاطفٍ وودّ؛ فإذا عاشَ أفرادُ المجتمعِ المدنيِّ بمقتضى الطبيعة بهذا المعنى تحابُوا وتآلفُوا" (رجب، ١٩٨٨م، ص: ٨١)، وربّما إعادةُ توزيعِ الثروةِ توزيعاً عادلاً يُسهمُ إلى حدٍ بعيدٍ بتحقيقِ الاستقلالِ والاكتفاءِ الذاتيّ لكلِ فردٍ، وعدم الاعتمادِ على الغير؛ وبهذه الوسائل يتمُّ القضاءُ على الحاجةِ القاسيّةِ التي تدفعُ الأفرادَ إلى المنافسةِ واستغلالِ بعضِهم البعض.

إذن، يمكن قهرُ التشيُّؤ أو التخفيفُ منه بطرقٍ عديدةٍ، منها ممارسةِ الأعمالِ الفنيّةِ أو قراءتِها أو الاستماع إليها، أو نقدِها، فكلُّ مصادرِ الجمالِ الفنّي الروحيّ تسهمُ في التقليلِ من آثار التشيُّؤ، ويرى الباحثُ أنَّ الإبداعَ من الوسائلِ المهمّةِ لإعادةِ الإنسانِ إلى إنسانيّتِه وذاتِه، ومنعِه – إلى حدٍ كبير – من السُّقوطِ في مصيدةِ التّشيُّؤ.

ولأنَّ تشخيصَ الأزمةِ ووعيَ أبعادِها هو جزءٌ من حلِّها، فلا بُدَّ أن يؤمنَ الإنسانُ بقدرتِهِ على صنعِ حياتِهِ ومصيرِه والتّأثير في المجتمعِ الذي يحيا بِهِ وتغييره إيجابياً، ولا بُدَّ من التحوّلِ والتبدّلِ سلوكيّاً إلى الإنتاجِ غيرِ الاستهلاكيّ، بما يُهيئ إمكانات التغلّب والانتصار على التّشيُّؤ.

دوافع التّشيُّؤ لدى الشعراءِ الصّعاليكِ الجاهليين:

أولاً: التهميش الاجتماعي

يعيشُ الشاعرُ الصعلوكُ الجاهليُّ ضمنَ مساحةٍ زمانيةٍ وفضاءٍ مكانيّ، فهو إنسانٌ يؤثرُ ويتأثرُ بأحداثِ عصرِه، ولعلَّ الشاعرَ الصعلوكَ يمتلكُ من الأحاسيسِ ما تؤدي به إلى سرعةِ التأثّرِ بالقضايا الاجتماعيّة عامّةً، ثمَّ إنَّ الشاعرَ مطالبٌ بالخروجِ من الدائرةِ الانعزاليّةِ والهمومِ الفرديّةِ

الضيّقةِ، ليصبحَ الشعراءُ في خدمةِ الحياةِ والمجتمعِ، وأصبحَ يطلقُ على هذا الشعرِ عدداً من التسميات، منها: الأدب الملتزم والأدب الشعبي.

ويرى محمد زكي العشماويّ " أنّ الأدبَ العظيمَ هو الأدبُ الذي يتأملُ العالمَ والإنسانَ وقوانينَه، كما أنَّ الأدبَ العظيمَ هو الذي ينظرُ بعينٍ يقظةٍ إلى المجتمعِ الإنسانيّ، فيناصرُ من هذهِ المُجتمعاتِ ما يتمشّى مع القيمِ الإنسانيّةِ، وما يُسايرُ الحقَّ والعدلَ والجمالَ، وغاية كلّ أديبٍ أن يرى الإنسانيّةَ كلَّها وقد ظلّلها الحُبُّ ورفرفت عليها السعادةُ.(العشماوي، ١٩٨٠م، ص: ٣٩٦)

يقولُ المثلُ العربيُّ " **في الجزيرةِ تشتركُ العشيرةُ** "(الميداني، د.ت، ص: ٧٧١)، وفي عصر الصّعاليكِ الجاهليين، فإنَّ هذا العقدَ الاجتماعيَّ بين الفردِ وقبيلتِهِ التي ينتمي إليها قائمٌ على أساسٍ عاطِفيّ بَحْتٍ، لا مَجالَ للتفكيرِ فيه، وهي نجدةٌ متبادلةٌ فيما بين الأفرادِ دونَ الحاجةِ إلى سُؤالٍ، ولا تحْتملُ الانتظارَ، إجابتُها تنفيذُها، وهذه النجدةُ لأخيهم واجبةٌ سواء كان ظالماً أو مظلوماً؛ فجنايةُ كلُّ فردٍ منهم جنايةُ المجموعِ، ويعصبونها برأسِ سيّدِ العشيرةِ، واجبٌ عليه أن يتحمّلَ تبعاتِها، وواجبٌ عليهم أن يطيعوه فيما يأمرُهم بهِ.

وفي مقابلِ هذا الحقِّ الذي للفردِ على قبيلتِهِ، كان عليه واجبٌ أن يَحترمَ رأيَها الجماعي، فلا يتصرفُ دونَ رضا القبيلةِ، ولا يخرجُ عن شورهم، ولا يكون سبباً في تمزيقِ وحدتِها وشقِّ صفوفِها، أو الإساءةِ إلى سمعتِها أو تحميلِها ما لا تُطيقُ، ومن هنا تفرضُ القبيلةُ وحدتَها، وتحملُ تبعاتِ الفردِ؛ إذْ على سادةِ القبيلةِ مُمارسةُ نوعٍ من الإدارةِ السّياسيّةِ، فإذا ارتكبَ فردٌ من أفرادِ القبيلةِ جُرْماً يتمثّلُ بخطأ بحقِّ القبيلةِ نفسِها فإنَّه عندئذٍ يُطردُ منها، ويسمّى هذا الطردُ خلعاً، ويُسمّى الطريدُ خليعاً.(خليف، ١٩٦٦م)

ترى القبيلةُ أنَّه من حقّها الدفاع عن نفسِها، والحفاظ على هذا الاندماج الذي بين الفردِ وقبيلتِهِ، وبالتّالي من الطبيعيّ أن تمارسَ الطردَ الاجتماعيّ، أو العزلَ، أو الخلعَ ضدّ كلّ مَنْ يهددُ صفاءَها ووحدَتها، من هؤلاءِ الخُلعاءِ: قيس بن الحُدَادِيَّة، وحاجز الأسدي، وصخر الغيّ، وأبي الطمّحان القينيّ، فلجأوا إلى الاستجارةِ ببعض القبائل بحثاً عمّن يؤمنُ لهم الحمايةَ.

وعندَ الوقوفِ لتأمّلِ حياةِ هؤلاءِ المُستجيرين، يَجدُ الباحثُ أنَّه أمامَ طائفتين: طائفةٍ استقرَّ بها المقامُ في القبيلةِ التي أجارتها، فاندمجَتْ في مجتمعها، وطابَتْ لها الحياةُ الجديدةُ، وشاركت في ضروبِ نشاطِها، وسلكَتْ سُبلَ العيشِ معها في هدوءٍ واستقرارٍ، وطائفةٍ أخرى لم تزلْ في

نفوسِها بقيةٌ من تمردٍ، رفضَتْ هذا الفناءَ الجديدَ في شخصيّةِ القبيلةِ التي أجارتها، فكانت حياتُها فيها امتداداً لحياتِها القديمةِ في القبيلةِ التي خلعتها(خليف، ١٩٦٦م). يقول قيس بن الحُدَادِيَّة: (الأصفهاني، ١٩٥٥، ص: ٥)

جَــزى اللَــهُ خَيــراً عَــن خَليــعٍ مُطَــرَّدٍ ... رِجــالاً حَمَــوه آلَ عَمــرِو بــنِ خالِــدِ

مَصــاليتُ يَــومَ الــرَوعِ كَســبُهُمُ العُــلا ... عِظــامُ مَقيــلِ الهــامِ شُــعرُ السَــواعِدِ

أُولَئِــكَ إِخوانــي وَجُــلُّ عَشيرَتــي ... وَثَروَتُهُــم وَالنَصــرُ غَيــرُ المُحــارِدِ

يومئُ شعره – بما لا يدعُ مجالاً للشكّ – أنَّه واجَه ببسالةٍ قرارَ قومِه حينما عَمِدُوا أن يجعلُوه شيئاً بصورة شخصٍ غيرِ معترفٍ به (خليع)، مجردٍ من حمايتِهم، إلّا أنَّه وبقوّة يواجه قرارهم بطرده؛ إذْ يدعو لمن قد نصرُوه وآووه، وعطفُوا عليه، مُعلناً هذا الشاعرُ الصّعلوكُ للملأ نسيانَ أهلِه، فالمعاملةُ بالمثلِ كما يبدو، فقد سَلا أفرادَ عشيرتِه، والسببُ هو حسنُ جوارِ مَنْ استجارَ بهم حينما خُلِعَ، فأصبحَ واحداً منهم، مُنشِئاً علاقاتٍ جديدةً تربطُه حتى مع حيواناتِهم؛ إذْ يجدُ هؤلاءُ الصّعاليكُ ساحةً مُناسِبَة ومُتّسعاً لنشاطِهم المتمرّدِ في الصّحراءِ في حياةٍ جديدةٍ، ومكانٍ جديدٍ لا يحتملُه مجالُ القبيلةِ الضيّقِ، فيشقُّوا طريقهم في الحياةِ بأسلوبِهم الذي اعتادوا عليه، دونَ أن يعتمدوا على أحدٍ سوى قوّتهم، ويبدو أنَّ هؤلاءَ الشُذّاذَ المتمردين كانوا ينظرون إلى القبائلِ التي يستجيرون بها على أنَّها نقطُ ارتكازٍ لنشاطِهم، وإلى حياتِهم فيها على أنَّها فترات راحةٍ في حياتِهم العنيفةِ المتعبةِ.

ثانياً: الاختلال الاقتصادي

واجه الشعراءُ الصّعاليكُ عقباتٍ بين الواقعِ الذي يعيشونه، والحياةِ المثالِ التي يحلمون بها، فوجدُوا هوّةً بين ما يتعلمونه، وما يحاولون تطبيقه عمليّاً، بسببِ مصادرةِ الحريّةِ التي ينشدُها كلٌّ منهم، فعاشوا حياتَهم في حيرةٍ واضطرابٍ وعدمِ استقرارٍ، الأمر الذي جعلَهم ينفصلون عن ذواتِهم، وينفصلون عمّا صنعُوه، وعمّا يؤمنون به من مبادئ وقيم، " **فيشعرون كأنَّهم مسلوبو الإرادة، عملوا من أجلِ الكلِّ ولا يعملُ الكلُّ من أجلِهم** "(رجب، ١٩٨٨م)، يعملُ من أجلِ قبيلتِه، ولا تعملُ القبيلةُ من أجلِه، وعندها يشعرُ أنَّه عبدٌ لقبيلتِهِ مُسخرٌ لها ولخدمتِها وليست القبيلةُ مسخرةً لخدمتِه.

وتزدادُ حدّةُ الصدامِ بازديادِ التمايزِ في حياةِ الإنسانِ الاقتصاديّةِ؛ إذْ كان من أسبابِ تشيُّئهم التنافسُ، لا بل الصراعُ بين القبائلِ الجاهليّةِ على أسبابِ الحياةِ، الأمر الذي دفعَ بهم إلى الرحيل، " وكذلك كان ترك الأوطان والنزوح والبعد عنها بحثاً عن الرزق" (عطوان، ١٩٨٨م، ص: ٤٧)،

كذلك أصبحَ التعدّي على الآخرين ومُمتلكاتِهم، وتجاوز العديدِ من القوانين والأعرافِ لامتلاكِ الثروةِ والسيطرةِ على الممتلكاتِ ومواردِ الرزقِ دافعاً للتشيُّؤ بطريقة أو بأخرى.

اتّصلَ العربُ في الجاهليةِ بالأممِ اتصالاً تِجارياً (الحوفي، د.ت، ص: ٥١)؛ إذْ كانَ العربُ في الجاهليّةِ الواسطةَ بينَ المشرقِ والمغربِ، وإنَّ البيزنطيين كانوا يعتمدون في شؤونِهم التجاريَّةِ على قوافلِ البدوِ التي كانت تحملُ لهم التوابلَ وغيرَها من بلاد الهند، والجلودَ والمعادنَ وغيرَها من الموادِ، " ومنذُ عصورٍ قديمةٍ والقوافلُ التجاريّةُ النشطةُ تعملُ بينَ مناطقِ الإنتاجِ في بلادِ العربِ وبين مدنِ العراقِ والشامِ ومصرَ". (غوستاف لوبون، ٢٠١٨م، ص: ٢١١)

لقد قامَ العربُ بالتّجارةِ منذُ أقدمِ العصورِ، عندما حوّلَ الرومانُ تجارةَ الهندِ إلى البحرِ الأحمرِ، ولكنّهم لم يلبثوا أن انسحبوا منه، وعادَ العربُ للقيامِ بدورِ الوسيطِ، ونمت تجارتُهم واشتهرت خارجيّاً عبرَ جزيرتهم (طقوش، ٢٠٠٩م، ص: ٨٣)، وواحدٌ من أهمِّ أسبابِ انتشارِ ظاهرةِ الصّعلكةِ في منطقةِ الجزيرةِ العربيّةِ هو وقوعها على الطريقِ التّجاري الذي يصلُ بينَ الشّامِ واليمنِ، قال تعالى: **﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾**[سورة قريش: الآيات ١ – ٢] ما جعلَها مَمراً للقوافلِ التجاريّةِ، وجعلَ منها مَيداناً نشِطاً لحركاتِ التُّجارِ في غدوّهم ورواحهم، الأمر الذي جعلَ الفرصةَ مواتيةً للمتمردين من صعاليكِ هذه المنطقةِ للغارةِ والسلبِ والغزو والنهبِ، ولهذا اضطرَّ التّجارُ في مناطقِ هذهِ الأسواقِ إلى الاستنجادِ بالقبائلِ القويّةِ التي تسكنُها، وتتخذُ منها مَوطِناً لها.

ليست الحريّةُ عندهم مجردَ مَلَكةٍ يتمتّعُ بها الإنسانُ ذاتُه دونَ أن تكونَ له يدٌ في صياغتِها وتحقيقِها، فالحريّةُ بذلك اجتهادٌ ذاتيٌّ في سبيلِ نيلِ الغِنى، حتّى وإن أدّى هذا الطريقُ إلى الموتِ، فالموتُ يغدُو مُريحاً حينئذٍ يُهيئ العُذر لِمثلِ هذه الميتةِ.

وهذا ينسحبُ على بقيةِ الشعراءِ الصّعاليكِ الجاهليين؛ فقد أصابَ الجوعُ تابَّطَ شراً إلى الحدِّ الذي لم يستطعْ أن ينهضَ على أقدامِه، وكذلك فضّلَ الشنفرى استفافَ الترابِ على أن يظهرَ بحالةٍ من الضعفِ، وأصابَ السُّليك العشى الليليّ على مصابرتِهِ الفقرَ والجوعَ، وشكا الفقرَ حتّى في أيامِ الصيفِ حين يشبعُ الناسُ، فهو قد أصابَه الجوعُ في الشتاءِ والصيفِ، وشكا عروةُ بنُ الوردِ شحوبَ جسمِهِ وهزالِهِ، إذْ آثرَ نفسَه على غيره.

يقول السُّليك: (ديوان السُّليك، ١٩٨٤م، ص: ١٤)

ومــا نِلْتُهــا حَتّــى تَصَعْلَكْــتُ حِقْبَــةً ... وَكِنْــتُ لِأَسْبَــابِ المَنِيَّــةِ أَعْــرِفُ

وَحَتّــى رَأَيْــتُ الجُــوعَ بالصّــيفِ ضَـرّنِي ... إِذَا قُمْــتُ يَغْشَــانِي ظِــلالٌ فَأُسْــدِفُ

يحاولُ السُّليكُ الظهورَ بمظهرِ المُنسجمِ مع ذاتِهِ، المتوافقِ معها، لا بمظهرِ الضعيفِ الراكنِ لآلامِهِ، وربما يُفهمُ هذا من بابِ الرضا والقبولِ بما هو موجود، ولكنّها في الواقعِ صيحةٌ عميقةٌ، وصرخةٌ جريحةٌ، أطلقَها من مكمنٍ عميقٍ للألمِ في روحِهِ، صرخةٌ مُشبعةٌ برذاذِ السخطِ والاحتجاجِ، والقمعِ والاستنكارِ، فالشاعرُ يواجهُ الأخطارَ رأباً لصدعِهِ النفسيّ ودرءاً لخطرِ الموتِ جوعاً رُبّما.

إذْ لم ينل السُّليكُ مرادَه من الشبعِ إلّا بعد أن احترفَ الصّعلكةَ أسلوباً للمعيشةِ، فهو لم يجدْ بديلاً عنها، فقد صارَ أقربَ للموتِ من الحياةِ، فإذا شكا عامّة النّاس من الجوعِ في الشتاءِ لقلةِ الموارِدِ، فإنَّه كان يشكوه في الصيفِ!

ولم يقف الصّعاليك عند هذا الحدّ؛ لتجدَهم يفضلون الموتَ على الحياةِ الفقيرةِ البائسةِ، يقولُ عروةُ بن الورد: (ديوان عروة، ١٩٩٦م، ص: ٨٩ – ٩٠)

إِذَا المَـرْءُ لَـمْ يَبْعَـثْ سَـوَّاماً ولَـمْ يُـرَحْ   عَلَيْـهِ، ولَـمْ تَعْطِـفْ عَلَيْـهِ أَقَارِبُـهْ

فَلَلْمَـوْتُ خيـرٌ لِلفَتـى مِـنْ حيَاتِـهِ   فَقيـراً، وَمِـنْ مَـوْلىً تِـدبُّ عَقَارِبُـهْ

تتجلّى قوةُ نفوسِ هذهِ الطائفةِ من الصّعاليكِ في استهانتهم بالحياةِ في سبيلِ الوصولِ إلى الغايةِ التي يسعون إليها، إنَّهم يريدون أن يحققوا مكانةً لهم في هذا المُجتمعِ الذي يحتقرُهم ويستهينُ بهم عن طريقِ فرضِ أنفسِهم بالقوّةِ عليه، وهم في سبيلِ هذا لا يُبالون بشيءٍ، حتّى بالحياةِ نفسِها، فهم جميعاً مؤمنون بفكرةِ الفناءِ في سبيلِ المبدأ، وما قيمة الحياةِ إذا عاشَ الإنسانُ فقيراً مُحتقراً، منبوذاً من مجتمعِهِ، مجفواً من أقاربِهِ؟ إنَّ الموتَ في هذهِ الحالةِ خيرٌ من الحياةِ.

ولأنَّ الطبقةَ الأولى هي المسيطرة على أغلبِ مظاهرِ الحياةِ الاقتصاديّةِ والاجتماعيّةِ أيضاً، كانت العلاقاتُ بين هاتين الطبقتين: طبقةِ رأسِ المالِ، وطبقةِ الصّعاليكِ من السوءِ إلى حدٍ كبيرٍ، الأمر الذي أدّى إلى اختلالٍ في التوازنِ الاقتصاديّ، فالطبقةُ الأولى (طبقة رأس المال) لها الحقُّ في التشريعِ، ورسمِ السياساتِ الاقتصاديّة العامّة، وكانوا يعمدون أحياناً إلى التلاعبِ في أرزاقِ الناسِ وفي الأسواقِ وفي الأسعارِ تبعاً لمصالحِهم الشخصيّةِ، وجَرياً وراءَ الكسبِ غيرِ المشروعِ، ومن نتائجِ ذلك أن أصبحَتْ طبقةُ الصّعاليكِ تحتَ رحمتِهم؛ إذْ يُجبرُ أفرادُ هذه الطبقةِ إلى الاستدانةِ منهم إبقاءً على حياتهم، أو في سبيلِ توفيرِ الموادِ اللازمةِ لهم.

وغالباً لم يكنْ للصعاليكِ أملٌ في التخلّصِ من أولئك الظلمةِ إلّا بالهربِ إلى الصحراءِ، والالتحاقِ بطبقةِ قُطّاعِ الطرقِ والمشردين؛ فوجدُوا أنفسَهم مجبرين عليه في وقتٍ من الأوقات، يقول الشنفرى: (ديوان الشنفرى، ١٩٩٦م، ٥٨–٥٩)

وَفِـي الأَرْضِ مَنْـأى لِلْكَـرِيمِ عَـنِ الأَذَى	وَفِيهَــا لِمَــنْ خَــافَ القِلَــى مُتَعَــزَّلُ
لَعَمْـرُكَ مَـا بِـالأَرْضِ ضِـيقٌ عَلـى آمْـرِئٍ	سَـرَى رَاغِبَــاً أو رَاهِبَــاً وهــو يَعْقِــلُ

يبحثُ الشنفرى عن المجتمعِ المثالِ، أو العالمِ النموذجيّ الذي تتوافرُ فيه البيئةُ الصحيّةُ المناسبةُ للحياةِ الآدميّةِ، بيئةٌ لا مكانَ فيها للأذى أو الخوفِ، أو الظلمِ أو القهرِ؛ فهو يترفّعُ عن كلِّ ما يثلمُ كرامةَ الإنسانِ؛ إذْ له نفسٌ تنتزعُ إلى مكارمِ الأخلاقِ، وتأبى كلَّ خِصْلَةٍ لا تمتُّ للمكارمِ بصلةٍ، يمتلكُ شخصيَّةً جديَّةً ترفضُ الواقعَ المريرَ وتثورُ عليه.

ويعبرُ الشاعرُ عن نزعتِهِ الانفصاليّةِ الناجمةِ عن شعورٍ عميقٍ بالتّشيُّؤ، والرغبةِ الشديدةِ في الثباتِ؛ إذْ يشي قولُ الشاعرِ في عبارةِ (عن الأذى)، وكذلك عبارة (لمن خاف القلى) إلى دلالةٍ عميقةٍ مفادُها أنَّ الشاعرَ غيرَ متكيفٍ مع وسطِه، أمّا لفظة (متعزل) فتتبئ عن نزعةِ الانطواءِ، فالشاعرُ مُمزقٌ بين الانعزالِ والبحثِ عن مكانٍ بديلٍ يحققُ فيه انتماءَه الجديدَ، وهو بذلك ينفي الضيقَ من الأذى، ثمَّ تأتي لفظةُ (راهباً) زيادةً في حالةِ اللاتكيفِ وتعزيز صورة الضيق.(اليوسف، ١٩٨٣م، ص: ص: ٢١٢)

فالشاعرُ في الأبياتِ السابقةِ يصوّرُ حالةَ عدمِ الانصياعِ لسحقِ فرديتِه والذوبانِ في المشروعِ الجماعيّ، فهو يهربُ إلى مكانٍ خارجَ المنظومةِ الجماعيّةِ (منظومة القبيلة)، فيرى في هذا المكانِ البعيدِ ما يحققُ إنسانيتَه وكرامتَه، ورُبما يرى أنَّ انتقالَه من مكانٍ إلى آخر هو انتقالٌ على الأرضِ التي من حقِّهِ أن يتحرّكَ على ظهرِها كيفما شاءَ ومتى شعرَ بالإساءةِ من قبيلتِه، بحثاً عن الكرامةِ والعزّةِ في المقامِ الأوّل.

ثالثاً: التمييز الطبقي

لقد أوجبَتْ حياةُ العربِ الجاهليّةِ التي يعيشونها، والبيئةُ الصّحراويّةُ التي يسكنونها إيجادَ تنظيماتٍ سياسيّةٍ تتناسبُ مع طبيعةِ الحياةِ، فأوجدُوا نظامَ القبيلةِ، والذي هو قائمٌ على الأساسِ العشائريّ، وتربطُ بينَهم رابطة الدم التي أوجدَتْ ما عُرِفَ بالحسبِ، ومن هنا ظهرَ أهمُّ رباطٍ في النظامِ القبليّ في الإسلامِ، وهو مسألة العصبيّة القبليّة.(نوارة، ورحماني، ٢٠٢١م)

"وَجَدَ الشعراءُ الصّعاليكُ أنفسَهم في الموضعِ المهينِ في المجتمعِ الجاهليّ، ولم تقبلْ نفوسُهم بحكمِ طبيعتِها وتكوينِها هذا الموضع"(حفني، ١٩٨٧م، ص: ١٨٩)، ولتفادي هذا الهوان، وهذه المنزلةِ الاجتماعيّةِ المرفوضةِ، لم يكن أمامهم إلّا الاعتمادَ على أنفسِهم في قوّتها وعُنفها، أيّاً كان مظهرُ القوّة، وأياً كان أسلوبُ العنفِ هذا.

ولأنَّ إثباتَ الكيانِ هو غايتُهم، صوَّرَ الشعراءُ الصّعاليكُ ما كان يحولُ بينَهم وبينَ أخذِ مكانِهم الصحيحِ المناسبِ في المجتمعِ، أو على الأقلِ المكانِ الذي يليقُ بهم، وتطمئنُ إليه نفوسُهم، يثبّتُ كيانَهم ولا يؤذي كرامتَهم، فالعقبةُ الكبيرةُ التي تواجهُهم هنا هي احتكارُ السيادةِ؛ بمعنى أن تكونَ السيادةُ، سيادةُ القبائلِ في بيوتٍ معروفةٍ تتوارثُها، أو متداولةٍ بين أفرادِها، وليس هذا ما ضاقَ الصّعاليكُ به لذاتِه، ولكن الذي ضاقوا به هو أنَّ هذا الاحتكارَ للسيادةِ قد تولّدَتْ عنه طبقيةٌ غيرُ مقبولةٍ في المُجتمعِ الجاهليِّ القبليِّ العشائريِّ آنذاك.

ويقول الشنفرى في لاميته المشهورة: (ديوان الشنفرى، ١٩٩٦، ص: ٦٠)

وَلَسْتُ بِمِهْيافٍ يُعَشّي سَوَامَهُ ... مُجَدَّعَةً سُقْبانُها وَهْيَ بُهَّلُ

ولا جُبَّأٍ أكْهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ ... يُطَالِعُها في شَأْنِهِ كيفَ يَفْعَلُ

وَلَا خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ ... يَظَلُّ بِهِ المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

ولا خَالِفٍ دارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ ... يَرُوحُ وَيَغْدو دَاهِناً يَتَكَحَّلُ

وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ ... أَلَفَّ إذا مَا رُعْتَهُ أَهْتَاجَ أعْزَلُ

وَلَسْتُ بِمِحْيارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتْ ... هُدَى الهَوْجَلِ العِسّيفِ يَهْمَاءُ هُوْجَلُ

إذْ إنَّ توجهَهم إلى الصّعلكةِ لم يكن سببُه مجرّد الحصولِ على لقمةِ العيشِ أو الوصولِ إلى الثراءِ والتخلّصِ من الحاجةِ فقط، وإنّما كان إلى جانبِ ذلك يحملُ الرغبةَ في تحقيقِ كيانٍ لهم في المُجتمعِ، هذا من جانبٍ، ومن جانبٍ آخر: نفرَ هؤلاءُ الصّعاليكُ بشكلٍ شديدٍ من أن يكونوا مجردَ أرقامٍ أو مجردَ أفرادٍ، يتحكّمُ بهم الأغنياءُ والسادةُ، فهم (الشعراء الصّعاليك) ومن خلالِ أشعارِهم يحملون الإصرارَ الشديدَ على أن يكوّنوا لأنفسِهم كياناً – ومكانةً – يشعرُ به الناسُ، ويحسبون على الأقلِ حساباً لهم.

أبعاد التّشيُّؤ ومظاهره لدى الصّعاليكِ الجاهليينَ:

يمكنُ الإشارةِ إلى خمسةِ أبعادٍ لمظاهرِ التشيُّؤ لدى الصّعاليكِ، هي: العجز، واللامعنى، واللامعياريّة، والعزلة الاجتماعيّة، واغتراب الذّات.

١) العجز Powerlessness

ويُقصدُ به شعور الفردِ بعدمِ القدرةِ على إحداثِ التأثيرِ في المواقفِ الاجتماعيّةِ التي تواجُهُه، ويعجزُ عن السيطرةِ على أفعالِهِ ورغباتِهِ وتصرفاتِهِ، وبالتّالي لا يستطيعُ أن يقررَ مصيرَه،

وجوهرُ العجزِ أو فقدانُ القدرةِ هو توقّع الفردِ بأنَّه لا يملكُ القدرةَ على التّحكّمِ وممارسةِ حقوقِهِ الطبيعيّةِ، لأنَّ الأشياءَ من حولِهِ تسيطرُ عليها ظروفٌ خارجيّةٌ أقوى منه ومن إرادتِهِ، يقولُ السّليكُ ابن السُّلكة: (ديوان السُّليك، ١٩٨٤م، ص: ١٣)

أَرَى لِـــي خالـــةً وسْـــطَ الرِّحَـــالِ ... أشـــابَ الـــرأسُ أنّـــي كـــلَّ يـــومٍ

يَشُـــقُّ علـــيَّ أنْ يَلْقـــينَ ضَـــيْماً ... ويَعْجَـــزُ عـــن تَخَلُّصِـــهِنَّ مَـــالِي

لم يكن السُّليكُ محظوظاً في هذا الجانبِ، فعزَّ عليه أن رأى بناتَ جنسِهِ من ذواتِ اللونِ الأسودِ يتجرعنَ الذلَّ والإهانةَ دونَ أن يجدَ عندَه ما يملكُه لدفعِ ذلك عنهن غير الكلام، ويبدو من أبياتِهِ أنَّ الفردَ يعملُ لصالحِ المجتمعِ، والعكس غير صحيح، وفي المقابلِ لم يحتضن المجتمعُ هذا الفردَ ولم يحتويه؛ إذْ من المُعيبِ أن تعملَ الأنثى في مُجتمعِهم آنذاك في أعمالٍ تُوصفُ بالدّونيةِ من مثْلِ ما يذكرُ في أبياتِهِ.

٢) اللامعنى Meaninglessness

ويقصدُ به مدى إدراكِ الفردِ وفهمِهِ واستيعابه لما يدورُ حولَه مِنْ أحداثٍ وأمورٍ عامّةٍ أو خاصّةٍ، وبوجه عام يرى الفردُ المُغتربُ وفْقاً لمفهوم اللامعنى أنَّ الحياةَ لا معنى لها لكونِها تسيرُ وفقَ منطقٍ غير مفهومٍ وغيرِ معقولٍ، وبالتّالي يفقدُ واقعيتَه ويحيا باللامبالاة، يقول الشنفرى: (ديوان الشنفرى، ١٩٩٦م، ص: ٥٦)

أَوْ هَـــلْ لِحَتْـــفِ مَنِيَّـــةٍ مِـــنْ مَصْـــرِفِ ... يـــا صَـــاحِبَيَّ هَـــلِ الحِـــذَارُ مُسَـــلِّمي

أَخْشَـــى لَـــدَى الشُّـــرْبِ القَلِيـــلِ المُنْـــزَفِ ... إنّـــي لأَعْلَـــمُ حَتْفِـــي فـــي التـــي

بدأ الشاعرُ مُتأزّماً في البيتِ الأوّلِ بواسطةِ صيغةِ النداءِ (يا صاحبيَّ)، والاستفهام (هلِ الحذارُ مسلّمي؟ وهَلْ لحتفِ منيةٍ من مَصْرِفِ؟) فالاستفهامان كلاهما يتحدثُ حولَ مصيرِ الإنسانِ المحتومِ، وهذا الترابط المعنويّ يوحي أنَّ الاستفهامين كليهما الغرض منه التقرير، الذي يوحي برؤيةٍ يقينيّةٍ تأزميّةٍ تجاه سُنّةٍ كونيّةٍ محتومةٍ، وبنيةِ هذا البيتِ تحتاجُ إلى توضيحٍ وتأكيدٍ لهذا التقريرِ، لذا جاءَ البيتُ الثاني انفراجاً وصدعاً بالحقيقةِ المرّةِ بواسطةِ تماهي الشاعرِ مع الموتِ الذي يراه الأقرب منه، فالاستفهامُ الأولُ قادَ إلى الاستفهامِ الثاني، وكلا الاستفهامين قادَ إلى الحقيقةِ المؤلمةِ المتمثّلةِ في

البيت الثاني، وهي أنَّ حتفَه (هلاكه) سيكون فيما يحذرُه ويخشاهُ، وبذلك استطاعَ الشنفرى أن يؤكدَ لصاحبيهِ عدمَ خوفِهِ من الموتِ، وأنّه لا بُدَّ من مواجهةِ قدرِهِ المحتومِ.

٣) اللامعيارية (الأنوميا) Normlesness

ظهرَ هذا المُصطلحُ في اللغةِ الإنجليزيّةِ عام ١٥٩١م تقريباً، ويعني حالةً من انهيارِ المعاييرِ التي تنظّمُ السلوكَ وتوجهُهُ، (خليفة، سيكولوجية الاغتراب، ص ٣٨)، وبذلك فاللامعياريّةُ حالةٌ يتوقعُ فيها الفردُ أنَّ أشكالَ السلوكِ التي أصبحَتْ مرفوضةً اجتماعيّاً غدَتْ مقبولةً تجاه أيّةِ أهدافٍ مُحددةٍ، أي أنَّ الأشياءَ لم يَعُدْ لها أيّةُ ضوابطَ معياريّةٍ، فما كان خطأً أصبحَ صواباً، وما كانَ صَواباً أصبحَ يُنظرُ إليهِ باعتباره خطأً من مُنطلقِ إضفاءِ صبغةِ الشرعيّةِ على المصلحةِ الذاتيّةِ للفردِ وحجبِها عن المعاييرِ وقواعدِ المُجتمعِ وقوانينه.

فالسرقةُ مثلاً عادةٌ اجتماعيّةٌ مرفوضةٌ في المُجتمعِ الجاهليّ، إلّا أنَّ الصّعاليكَ سوّغوا لأنفسِهم هذا التصرّفَ، وأضفُوا عليه صبغةً شرعيّةً تتوافقُ وقوانينَ مجتمعِهم وقواعدِه، فعروةُ بنُ الوردِ مَثلاً يبررُ لنفسِهِ وَمَنْ هو على شاكلتِهِ فعلَ أيِّ شيءٍ – دونَ الالتفاتِ لأيِّ قاعدةٍ اجتماعيّةٍ – في سبيلِ تأمينِ لقمةِ العيشِ، إذْ يقول: (ديوان عروة، ص ١٠٥)

وَمَــنْ يَــكُ مِثْلِــي ذا عِيــالٍ وَمُقْتِــراً … مِــنَ المــالِ، يَطْـرَحْ نَفْسَــهُ كُـلَّ مَطْـرَحِ
لِيَبْلُــغَ عُــذْراً أَوْ يُصِــيْبَ رَغِيْبَــةً … وَمُبْلِــغُ نَفْـسٍ عُـذْرَهَا مِثْــلُ مُــنْجِحِ

فيخرجُ نفسَه من الإحساسِ بالذنبِ ومن تهمةِ التقصيرِ في سبيلِ الظفرِ بما يحتاجُ، وكأنَّه يقدّمُ حُجّةً على أنَّه يفعلُ ما بوسعِهِ، مُتجاوزاً الأعرافَ والتقاليدَ الاجتماعيّةَ إن كانت لا تسوّغُ له ذلك، ومُغيّباً النسقَ الاجتماعيّ والتوازنَ في إطارِ عمليّةِ التفاعلِ الاجتماعيّ.

٤) العزلة الاجتماعيّة Social Isolation

ويقصدُ بها شعورُ الفردِ بالوحدةِ والفراغِ النفسيّ، وافتقادِ الأمنِ والعلاقاتِ الاجتماعيّةِ الحميمةِ، والبعدِ عنِ الآخرينَ حتّى وإنْ وُجِدَ بينهم، كما قد يُصاحبُ العزلةَ الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره، وهذا يعني ضمناً وجود نوع من الانفصالِ عن المُجتمعِ وثقافتِهِ سلبيّة كانت أم إيجابيّة؛ فالأشخاصُ الذين يحيونَ حياةَ عزلةٍ واغترابٍ لا يرونَ قيمةً كبيرةً لكثيرٍ من الأهدافِ والمفاهيمِ التي يثمنُها أفرادُ

المجتمعِ، ويبرزُ هذا الصنفُ في عددٍ من المؤشراتِ منها عدم مشاركةِ الأفرادِ المغتربين لبقيّةِ النّاسِ في مُجتمعِهم.

وينبغي في الوقتِ ذاتِهِ ألّا يغيبَ عن أذهانِنا ذلك التعارضُ القائمُ بينَ الفردِ وجماعتِهِ، والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ ومُتعددةٌ في أشعارِ الصّعاليكِ؛ إذ إنَّ العلاقةَ بينهما تنطوي في جوهرِها وبشكلٍ أساسيّ على موضوعةِ الصراعِ التي تجلّت "من خلالِ ظهورِ صوتِ الأنا التي تصنعُ أفقَها أو عالمَها الذاتيّ بإزاءِ عالمِ الآخرينَ، وَلَقَدْ تعددَتْ أساليبُ الشعراءِ في الإفصاحِ عن ظهورِ هذهِ الأنويّةِ وسلطتِها، ومن ثمَّ تشكّلاتِها حسبما تقتضي شيفراتُ الموضوعِ الشعريّ (عليمات، جماليات التحليل الثقافي، ص: ٥٣)؛ إذْ إنَّ الشاعرَ المُتشبثَ بقبيلتِهِ والتي يَعتبرُها مَيداناً يُحققُ ذاتيتَه، كانَ يُدركُ تماماً تعارضَه معها في أحيانٍ عديدةٍ، ولا سيما الصّعاليك منهم، يقولُ الشنفرى في لاميّته: (ديوان الشنفرى، ١٩٩٦م، ص: ٥٦)

أقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ ... فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرٌ ... وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
ولِي دُوْنَكُمْ أهْلُونَ: سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْألُ
هُمُ الأهْلُ، لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذائِعٌ ... لَدَيْهِمْ، وَلَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

يتغنى الشاعرُ بذاتِهِ، ويتمرّدُ على نظامِ القبيلةِ؛ فيتعالى ضميرُ الأنا على حسابِ ضميرِ الجماعةِ، ويبدو أنَّ النصَّ الشعريَّ السابقَ يحملُ في ثنايا بنيتِهِ العميقةِ أنساقاً ثقافيّةً اجتماعيّةً مُضمرةً تُعلي من شأنِ الفردِ (الصعلوك المُتمرد على نظامِ القبيلةِ)، على الجماعة (القبيلة) على الرغم من هامشيّتِهِ أو ثانويتِهِ، والذي أريدُ التاكيدَ عليه هو أن العزلة الاجتماعية لدى الصعاليك ولدت لديهم تمرداً إيجابياً – من وجهة نظرهم على الأقل – سعوا من خلالِهِ لتحقيقِ إنسانيتِهم.

٥) الاغتراب عن الذّات Self estrangement

يمكنُ تعريفُ الاغترابِ عن الذّاتِ بأنّه عدمُ قدرةِ الفردِ على التواصلِ مع نفسِهِ، وشعورُه بالانفصالِ عمّا يرغبُ في أن يكونَ عليه، حيثُ تسيرُ حياةُ الفردِ بلا هدفٍ ويحيا لكونِهِ مُستجيباً لما تقدّمُ له الحياةُ دونَ تحقيقِ ما يريدُ من أهدافٍ، وعدم القدرةِ على إيجادِ الأنشطةِ المكافأة ذاتياً (انظر: إريك فروم، الخوف من الحرية، ص: ٧٤)، وقد تعاملَ فروم مع مفهومِ الاغترابِ من الوجهةِ

السيكولوجيّةِ، مُركزاً على الفردِ وليس المُجتمع كسببٍ للاغترابِ، وفي ضوءِ ذلك عرّف الاغترابَ بأنَّه "نمطٌ من الخبرة"، من خلالِها يرى الفردُ نفسَه كَمُغتربٍ، فهو يشعرُ أنَّه غريبٌ عن نفسِه؛ إذْ لم يرَ ذاتَه أو يخبرها كمركزٍ لعالم، أو كناشئ وخالقٍ لأفعالِه، ولكن أفعاله تُصبحُ لها السيادةُ، إنَّه يطيعُها ويخضعُ لها.

وفي ضوءِ التصوّر السابقِ الذي قدّمَه فروم، فإنَّ تفاعلَ الفردِ مع مجتمعِهِ المحيطِ به يحددُ مستوى قربه أو بعده أو حتى انفصاله، فالخبرةُ المتضمنة في هذا التفاعلِ تخلقُ الإحساسَ بالاغترابِ من عدمِهِ؛ فيشعرُ الفردُ بالاغترابِ عندما لا يستطيع التحكّم في أفعالِهِ، وفي الغالبِ يصبحُ سلبيّاً عندما يستسلمُ لأفعالِهِ ونتائجها، وهذا من شأنِهِ أن يجعلَ الفردَ يشعرُ أنَّه لا معنى لحياتِهِ كما يشعرُ باغترابِ الذّاتِ، سواء أكانَ هذا الاغترابُ نفسيّاً أو مكانيّاً أو سياسيّاً.

لقد وجد السُّليك – في لحظةٍ ما – نفسَه غريباً حتّى عن ذاته بسبب عقدة اللون وسوء منظره الخارجيّ؛ إذْ هزئت منه أُمَامَةُ عندما رأت صفاتِهِ الخَلقيّةِ كنحولِ جسمِهِ وسوادِ جلدِهِ والفقمِ في فمِهِ، فهو أسودُ اللون بارزُ الفك، إلّا أنّه استخدم إحدى آليات الدفاع النفسي في مناهضة التشيُّؤ في البيت الذي يليه مباشرةً، ؛ إذْ عوّضَ عن هذهِ السخريّةِ بذكره لقيمِ الرجولةِ المتمثلةِ بالكرمِ والشجاعةِ والبطولةِ، وحاولَ أن يجعلَ من نفسِهِ مرآةً عاكسةً لما ينبغي أن يكونَ عليه الرجل في مثلِ هذا المجتمعِ القاسي، فهو وإن لم يكنْ وسيماً جميلاً، إلّا أنَّه عوّضَ عن ذلك في أفعالِهِ، إذ يقول: (ديوان السُّليك، ١٩٨٤م، ص: ٥٠)

هَزِئَتْ أُمَامَةُ أَنْ رَأَتْ بِيَ رِقَّةً ... وَفَمَاً بِهِ فقمٌ وَجِلْدٌ أَسْوَدُ
أُعْطِي، إذا النَّفْسُ الشَّعاعُ تَطَلَّعَتْ ... مالي وَأَطْعنُ والفرائِصُ تُرعَدُ

لقد جاءَ شعرُ الصّعاليكِ مُعبراً عن جوانبِ الحياةِ الجاهليّةِ المُختلفةِ، فكان صورةً واضحةً للحياةِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ بكلِّ ما فيها من جوانبَ غيرِ عادلةٍ، طغَتْ على حياةِ الفردِ، وقد عبّر بوضوحٍ عن الجانبِ الإنسانيّ، مما يجعلُه ذا قيمةٍ للباحثِ في علمِ الأنثروبولوجيا، وعلم النفسِ الذي يهدفُ إلى تحليلِ النفسِ الإنسانيّةِ في تلك المرحلةِ التاريخيّةِ المُهمةِ من تاريخِ البشريّةِ، وهو ذو قيمةٍ للباحثِ الذي يسعى لمعرفةِ الظروفِ البيئيةِ الطبيعيّةِ والأثر الزمنيّ وتأثيرها على الذاتِ الشاعرةِ، إضافةً إلى ذلك يعدُّ شعرُ الصّعاليكِ الجاهليين مرآة للعقليّةِ الغاضبةِ من جهةٍ، والواعيةِ الحكيمةِ من جهةٍ أخرى في الوقتِ ذاتِه.

فالوطنُ دونَ حياةٍ كريمةٍ غربةٌ، وهذا ينسحبُ على حياتِنا المعاصرةِ أيضاً، فمع محبةِ الشاعرِ الجاهليّ – بشكلٍ عام – الكبيرةِ لوطنِه وقبيلتِه وأهلِه، إلّا أنّه قدْ ضاقَتْ بهِ الحياةُ، يتنقلُ

فيها من مكانٍ إلى آخر باحثاً عن العدالةِ، ساعياً لتحقيقها، إلا مَنْ كانت العصبيّةُ القبليّة قد تمكنَتْ منه وسيطرَتْ عليه تماماً، فإنَّه حينئذٍ يدعو إلى تحمّلِ ظلمِ القبيلةِ، وقساوةِ الحياةِ حُبّاً بالوطنِ وامتثالاً لأوامرِ السلطةِ السياسيّةِ ممثلةً بالقبيلةِ.

الخاتمة:

- ارتبطَ التّشيُّؤ وسلعنةُ الإنسانِ بالواقعِ الاقتصاديّ الرأسماليّ إلى حدٍ كبير؛ فقد أصبحت العلاقاتُ بينَ الناسِ علاقاتٍ نقديّة، وتحوّلَ الإنسانُ ذاتُه إلى سلعةٍ متداولةٍ في السوقِ، وتجرّدت العلاقاتُ البشريّةُ من إنسانيتِها.
- تتضخم الأنا عند الشعراءِ الصّعاليكِ لتعادلَ الانسلاخَ الاجتماعيّ بعد سقوطِ الحمايةِ القبليّةِ عنهم، ويتخللُ ذلك استطراداتٌ تدورُ في فلكِ الفكرةِ الرئيسيةِ؛ إذ إنَّ الاستطرادات – هنا – وثيقةٌ تكشفُ عن حياةِ الشاعرِ الخاصّةِ، وتكشفُ طيفاً من حياةِ الصّعاليكِ، وما يكتنفُها من شظفٍ وضنكٍ.
- استخدمَ الصعلوكُ الجاهليُّ العديدَ من آلياتِ الدفاعِ النفسيّ، وهذه الحيلُ الدفاعيّةُ لا يُلجأُ إليها بهدفِ حلِّ الأزمةِ غالباً، وإنّما بهدفِ التأقلمِ معها لضمانِ تكاملِ الشخصيّةِ وتوافقِها.
- برزَتْ فاعليّةُ الشاعرِ الصّعلوكِ الجاهليّ بدرجةٍ كبيرة؛ إذْ كانَ أداةً من أدواتِ التغيير والنقدِ الإيجابيّ في المجتمعِ الجاهليّ، ولم يكتفِ بالذوبانِ في القبيلةِ، بَلْ حاولَ الخروجَ عن شيئيّته مُستخدماً ما يملكُ من أسلحةٍ يدافعُ بها عن كينونتِهِ.
- لجأ الشاعرُ الصّعلوك إلى أنسنةِ المكانِ والحيوانِ، وهي خاصيّةٌ نابعةٌ من غيابِ الأهلِ وفقدانِ الاتصالِ بهم، فهو يختارُ هذا الاتجاه رغبةً منه في الاستئناسِ بهما، كما أنَّها تعدُّ وسيلة لإحياءِ كلِّ ما غابَ عنه من حركةٍ.
- قاومت النماذج الشعرية الجاهلية المدروسة التشيُّؤ أكثر مما وقعت فيه، فاستشعار الشيء لا يعني – بالضرورة – الوقوع فيه.

التوصيات:

- إنَّ البحثَ والعنايةَ بمثلِ هذا المُصطلحِ النقديِّ الحديثِ (التّشيُّؤ) يؤكدُ أنَّ جذورَه ماثلةً في تراثِنا العربيّ الذي ينمازُ بخصبهِ وغناه، وامتلاكهِ القدرة على رفدِ واقعِنا الأدبيّ والسياسيّ والاجتماعيّ

بكلِ مفيدٍ ومثيرٍ.

- دعوةُ المؤسساتِ والمنظماتِ والهيئاتِ المعنيّةِ بقضايا الفكرِ والتراثِ الإنسانيّ عامّة، والمهتمّة بقضايا المُساواةِ والعدالةِ الاجتماعيّةِ خاصّة إلى إمعانِ النظرِ في حياةِ هؤلاءِ الشعراءِ، والعملِ على تقصّي دوافعِ الصعلكةِ وأسبابِها، وستجدُ في ذلك فوائدَ جمّة تساهمُ في تقديمِ حلولٍ لكثيرٍ من العُقدِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ التي تعاني منها مُجتمعاتُ اليوم.
- تخصيصُ محورٍ من المحاورِ في المؤتمراتِ العالميّةِ التي تقيمُها كلياتُ الآدابِ والعلوم الإنسانيّة في الجامعاتِ العربيّةِ للحديثِ عن القضايا التي تهتمُّ بالإنسانِ وتدافعُ عنه، على أن يُسوّقَ هذا المؤتمرُ ليكونَ محطَّ اهتمامِ العالَمِ العربيّ بأسرهِ، والسعي إلى أن تكونَ المشاوراتُ والمقترحاتُ الصادرةُ عنه ذاتَ وزنٍ فكريّ وأخلاقيّ لم يحظَ به أيُّ مؤتمرٍ سابقٍ.

مَصادرُ الدِّراسةِ ومراجعِها:

- **القرآن الكريم.**

١- <u>**العَربيّةُ والمُترجمةُ:**</u>

- إريك فروم، **الخوف من الحرية**، ترجمة: مجاهد عبد المنعم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.
- إريك فروم، **مفهوم الإنسان عند ماركس**، ترجمة: محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق سورية، ط ١، ١٩٩٨م.
- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين، **الأغاني**، تحقيق: عبد الستار فراج وآخرون، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥م.
- أكسل هونيث، **التشيّؤ: دراسة في نظرية الاعتراف**، ترجمة: د. كمال أبو منير، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ٢٠١٢م.
- إليكس ميكشيللي، **الهوية**، ترجمة: د.علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط ١، ١٩٩٣م.
- أنور، أحمد، **أخلاقيات العولمة: دراسة في آليات التشيؤ وسلعنة الإنسان**، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

- إيريك فروم، **الإنسان المستلب وآفاق تحرره**، ترجمة: حميد لشهب، دار فيديبرانت للطباعة، الرياض، ٢٠٠٣م.
- بسطاويسي، رمضان، **علم الجمال عند لوكاتش**، مطابع الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٥م.
- جورج لوكاتش، **التاريخ والوعي الطبقي**، ترجمة: د.حنّا الشاعر، دار الأندلس، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م.
- حفني، عبد الحليم، **شعر الصعاليك منهجه وخصائصه**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط ٢، د.ت.
- خليف، يوسف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م.
- خليفة، عبد اللطيف محمد، سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- رجب، محمود، **الاغتراب: سيرة مصطلح**، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- ستيفن إيريك برونر، **النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جداً**، ترجمة: سارة عادل، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.
- السُّليك بن السلكة، **ديوانه، أخباره وشعره**، دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٩٨٤م.
- الشنفرى، عمرو بن مالك، **ديوانه**، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م.
- طقوش، محمد سهيل، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار النفائس، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.
- ابن عربي، محمد بن علي بن محمد، **الفتوحات المكية**، الجزء ٢، مطبعة بولاق، مصر، د.ت.

- عروة بن الورد، **ديوانه**، شرحه وقدم له ووضع فهارسه: د.سعدي ضنّاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- العشماوي، محمد زكي، **الأدب وقيم الحياة المعاصرة**، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٠م.
- عطوان، حسين، **الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول**، دار الجيل، عمان، ١٩٨٨م.
- عليمات، يوسف، **جماليات التحليل الثقافي: الشعر الجاهلي نموذجاً**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- قطُّوس، بسَّام، **السقوط في التشيؤ: الشعر في قبضة التشيؤ**، دار فضاءات، عمان، ٢٠٢٢م.
- كارل ماركس، **رأس المال**، ترجمة فالح عبد الجبار وآخرين، مجلد١، ج٢، دار التقدم، موسكو، د ت.
- المبرد، محمد بن اليزيد أبي العباس، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٩٧م،
- المسيري، عبد الوهاب، **الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان**، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٣م.
- المسيري، عبد الوهاب، والتريكي، فتحي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ٢٠١٠م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١) هـ، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- الهاشمي، أحمد إبراهيم مصطفى، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.
- اليوسف، يوسف، **مقالات في الشعر الجاهلي**، دار الحقائق بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ٣، ١٩٨٣م.

٢- **المَجلّاتُ والندواتُ والرسائلُ العلميّةُ:**

- نوارة، رافع، ورحماني بلقاسم، **النظام القبلي عند العرب قبل الإسلام**، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، الجزائر، مجلد ١٣، العدد ١، ٢٠٢١م.

٣- **المواقعُ الإلكترونيّةُ :**

- حمزاوي، أمين، سلافوي جيجيك فيلسوف الأحلام الخطيرة، الشابكة: إضاءات
https://www.ida2at.com/slavoj-zizek-philosopher-dangerous-dreams
- الحيدري، إبراهيم، **مفهوم الاغتراب بين الفلسفة المعاصرة والفرويدية الجديدة**، الشابكة:
http://www.alwasatnews.com/news/376550.html

The Controversy Between the Spoken and Written in Arabic - A Study of Phonetic Values and the Multiplicity of References -

Zayd kh. Alqaralleh[(1)*] **Fatma A. Alazmi**[(2)]

(1) Department of Arabic Language, Al al-Bayt University, Mafraq - Jordan.
(2) The College of Basic Education Public Authority for Applied Education and Training, Kuwait.

Received: 23/02/2023
Accepted: 14/05/2023
Published: 30/09/2023

* *Corresponding Author:*
zayd.2002@yahoo.com

DOI: https://doi.org/10.59759/art.v2i3.297

Abstract

The controversy between what lies amidst the spoken and written, and the gap of nonconformity constitutes a problematic dilemma in the Arabic language, a serious dilemma.

This study seeks to identify this problem, trying to point out its features, causes and explanations by considering of the reasons derived from phonetic values, or from the origins that influenced the emergence of Arabic calligraphy becoming one of the fixed residues that define the Arabic systems of writing.

The study reviews examples of this controversy being described s a problematic, so the study utilizes the instrument of induction, as well as the descriptive analytical method by observing and analyzing samples of the problem. The study does not aim to tally nor to monitor its details. As such, the study is limited to the features of deletion and addition.

The study ended with a number of results regarding observing and dealing this controversy.

Keywords: Spoken, Written, References, Deletion, Addition.

جدلية المنطوق والمكتوب في العربية

- دراسة في الوظيفة الصوتية وتعدد المرجعيات -

زيد خليل القرالة[(١)] **فاطمة عبد الله العازمي**[(٢)]

(١) قسم اللغة العربية، جامعة آل البيت، المفرق – الأردن.

(٢) قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، الكويت.

ملخص

تشكل جدلية المنطوق والمكتوب وما بينهما من علاقة افتراق، وفجوة في عدم المطابقة إشكالية في العربية، وهي إشكالية لافتة.

وتسعى هذه الدراسة للوقوف على هذه الجدلية محاولة الوقوف على ملامحها وأسبابها، وتعليلها، وذلك بالنظر في الأسباب المتأتية من الوظائف الصوتية، أو من مرجعيات النشأة التي أثّرت في نشأة الخط العربي، وأصبحت من الرسوبيات الثابتة في نسق الكتابة العربية.

وتقف الدراسة على نماذج من هذه الجدلية بوصفها إشكالية، ولذلك يوظف البحث أداة الاستقراء، والمنهج الوصفي التحليلي برصد نماذج من الإشكالية وتحليلها، ولا تهدف الدراسة إلى حصرها، ورصد تفاصيلها؛ ولذلك فقد اقتصرت الدراسة على ملمحي الحذف والزيادة.

وتخلص الدراسة إلى خلاصة وجملة من النتائج التي تتمخض عن رصد هذه الجدلية ومعالجتها.

الكلمات المفتاحية: المنطوق، المكتوب، المرجعيات، الحذف، الزيادة.

المقدمة.

الأصل أن يتطابق المنطوق والمكتوب، لكنّ عدم المطابقة هي سمة بعض اللغات، والعربية إحداها، والمكتوب هو صدى المنطوق وصورته الخطية المرئية، وهي صورة اعتباطية لا تقوم على ربط وثيق الصلة بين المنطوق والمكتوب، وإن حاول بعضهم إيجاد الرابط، وبخاصة في دلالة الحروف من منطلق ديني.

وما يهمنا في هذه الدراسة هو المنطوق والمكتوب في العربية للوقوف على ملامح الإشكالية بينهما، وبخاصة النماذج التي يقع فيها الافتراق وعدم المطابقة، وتصنيفها، ورصد الأسباب، والمرجعيات.

ومن ملامح الإشكالية في هذه الجدلية في العربية عدم المطابقة لما بينهما من افتراق في عدة وجوه، ومنها: الحذف في المكتوب مقابل المنطوق، والزيادة في المكتوب مقابل المنطوق، والإبدال بين المنطوق والمكتوب.

وتعنى هذه الدراسة بملمحين من هذه الوجوه وهما: الحذف والزيادة، فهذه دراسة تهدف إلى الوقوف على تفاصيل الإشكالية، وتوجيه ما يظهر فيها في النص الكتابي البشري بعيداً عن الحديث في الرسم القرآني؛ ولذلك فإن الدراسة لا تسعى لحصر نماذج الإشكالية، ولكنها تعالج ما أمكن منها بوصفها جدلية لافتة قد تكون عقبة في طريق تعليم الناشئة؛ ولذلك فإنها (أي الدراسة) ستقتصر على ظاهرتي الحذف والزيادة.

وتنطلق الدراسة في توجيه ملامح هذه الظاهرة من داخلها؛ ولذلك فإن الوظائف الصوتية تشكل مجالاً لتوجيه بعض النماذج وتفسيرها، وبخاصة ما يقع في إطار التغيرات المقطعية، أو الكتابة على الأصل المتغير بوجود الوصل والفصل.

وهناك التوجيه القائم على أصل الخط العربي ونشأة الكتابة العربية وما داخلها من مؤثرات وعوامل في مرحلة النشأة بتأثير من خطوط أخرى مثل الخط النبطي، أو زيادة بعض الحروف لتكون علامة فارقة بين كلمتين متقاربتين في الشكل الكتابي مع اختلافهما في المعنى، وقد زيدت بعض الحروف في النقوش التي عُثر عليها مثل (ظلمو، وشرحو) وهذا قد يفسر زيادة الواو في مثل (عمرو)، وربما كانت الزيادة للفصل بين الكلمات، أو أنها دالة على علامات الإعراب، أو أدوات تعريف في مرحلة ما لبعض اللغات السامية، وبعد ذلك أصبحت هذه الزيادات أو الحذف من الرسوبيات التي ثبتت في الخط العربي.

وليس من هدف الدراسة الجزم والقطع بنتائجها، فهذا عمل بشري ينشد المنحى العلمي، وأن يكون لبنة وإضافة في خدمة العربية؛ لما لهذه الجدلية من أهمية، وأثر على المتعلم للعربية من الناطقين بها، ومن الناطقين بغيرها.

وللوقوف على هذه الجدلية ستسعى الدراسة لرصد النماذج الدالة على تلك الإشكالية، وذلك بالاستقراء ثم توظيف المنهج الوصفي التحليلي، ولذلك فقد جاءت الدراسة في مقدمة، وتمهيد يتضمن ملامح الإشكالية، وجهود العلماء فيها، ورصد الدراسات السابقة، ورؤية الباحثيين فيها، ثم يتبع التمهيد فصلان دراسيان يعالجان إشكالية الدراسة، ففي المبحث الأول نعالج الحذف بين المنطوق والمكتوب وما يتضمنه من جدلية، أما المبحث الثاني فنرصد فيه ملمح الزيادة وأثره في جدلية المكتوب مقابل المنطوق، وتختم الدراسة بخلاصة وأبرز النتائج.

والله وليّ التوفيق.

جدلية المنطوق والمكتوب في العربية
– دراسة في الوظيفة الصوتية وتعدد المرجعيات –

تمهيد

العلاقة بين المنطوق والمكتوب علاقة جدلية من حيث المطابقة أو عدمها، ومن ثبات المكتوب وتحجره مقابل تطور المنطوق.

وهي علاقة جدلية من حيث المرجعيات التي يُبنى عليها المكتوب؛ فهي مرجعيات متعددة تخرج على الضوابط التي يمكن أن تقيدها وفق مرجعيات أو قواعد محددة؛ فقد تكون المرجعيات قائمة على الارتباط بالأصل والكتابة على ذلك الأصل كما في أصل الألف الممدودة وهو الواو، والألف المقصورة هو الياء، وقد تعود المرجعية لأصل الكتابة أو لمرحلة من مراحل تطورها، وما تتوارثه الأجيال بثبات ذلك النمط الكتابي، وغير ذلك من المرجعيات المتعددة.

وتشكّل الوظائف الصوتية عاملاً مهماً في موضوع العلاقة بين المنطوق والمكتوب من حيث التباين بينهما أو الالتقاء، والإشكال من حيث التباين بينهما أو الالتقاء، والإشكال الذي يقع في هذه العلاقة يتمثل في ثبات المكتوب وارتباطه بالأصل، أو بالوضع الذي بني عليه، واختلاف المنطوق الذي يراعي الأداء الصوتي من وصل وفصل، وما يترتب على الأداء النطقي من تداخل مقطعي، ولم تأخذ هذه الإشكالية الجدلية حقها من الدراسات التي تقف على تأصيلها، ورصد التعالق بين ركنيها، أو الفجوة بينهما.

لقد وقف بعض الباحثين الجادين المعاصرين على هذه الظاهرة، ونظر كلّ واحد منهم إلى جانب من جوانبها دون أن تخصص دراسة شمولية للوقوف على تأصيلها، وتعليل ظواهرها، لكن تلك الدراسات تفتح الآفاق للباحثين، وتؤشر على قضايا ومباحث تشكل مجالاً للوقوف على مفاصل هذه الظاهرة وما تتضمنه من مباحث جدلية.

لقد اهتمت بعض المباحث عند القدماء بموضوع الكتابة، ولكن ذلك الاهتمام كان مرتبطاً برسم المصحف، وإن خرج عن ذلك فإنما يشير إلى الحذف أو الزيادة في بعض الحروف، وممن أشار من القدماء إلى موضوع المكتوب الزجاجي (ت٣٤٠هـ) في كتابه (الجمل في النحو) إذ أشار إلى أن الكتاب يزيدون في الكتاب ما ليس فيه، وينقصون بعض الحروف لغاية الفصل بين مشتبهين، أو إذا لم يخافوا لبساً[(١)]، وهي إشارات لمواطن الحذف أو الزيادة بالإضافة إلى تكرار ما يقال من الحذف لكثرة الاستعمال، أو الزيادة للتفريق بين كلمتين متشابهتين.

ووقف العكبري على هذه الظاهرة مشيراً إلى كتابة حروف ليست في اللفظ، وحذف ما هو في اللفظ، وأشار إلى بعض الآراء القائلة بكتابة الكلمة على ما في اللفظ، والإبقاء على خط المصحف لاتباع خط المصحف الإمام(٢).

ويشير ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) إلى أنّ الأصل في الخط تصوير اللفظ بحروف هجائه؛ وذلك بالنظر إلى الكلمة بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها(٣). ونلاحظ إشارات للقدماء تدل على تنبههم لهذه القضية، لكن معالجتهم لها كانت تقتصر على ذكرها، والإشارات العجلى لأسبابها ودوافعها، ولم تجد الاهتمام الذي يرقى للوقوف على ما تحتاجه من تعليل، وما تستدعيه من تغيير أو تصويب، أو طرح فكرة التطوير لما وقع فيها من مغالطات قد تؤثر على المتعلم في بعض المراحل.

أما علماء القرآن وقراءاته، والدراسات التي عنيت بالرسم القرآني فقد شغلت بضرورة الإبقاء على رسم المصحف العثماني، والإشارة إلى ما وقع في الرسم من فروق أو اختلافات، وأهميتها لكي تحتمل القراءات القرآنية وتعددها، فهي اختلافات مسلم بها، والحديث حولها يدور في كونها توقيف أم اصطلاح، لكن الكتابة وما فيها من تباين مع المنطوق لم تخضع للنقد أو لفكرة التطوير؛ فهي مرتبطة بالرسم القرآني، وهذا بحدّ ذاته جعلهم يتوقفون عند ملاحظ الوصف فقط.

وكان لابن خلدون موقفه المغاير لتلك الآراء، وسيأتي بيانه لاحقاً.

أما جهود المحدثين في قضية المنطوق والمكتوب فقد ظهرت عدة دراسات على مستوى الأبحاث العلمية المنشورة في مجلات علمية، أو ظهور بعضها ضمن دراسات عن نشأة الكتابة العربية وتطورها، فقد أخذ هذا المنحى اهتماماً واضحاً من عددٍ من العلماء الذين بذلوا فيه جهداً متميزاً في تأصيل الكتابة ونشأتها والعوامل التي أثّرت في تلك النشأة ومن أصحاب هذه الجهود المعاصرة: خليل نامي الذي قدم دراسة متميزة في نشأة الكتابة العربية، وعلي إبراهيم في دراسته المتميزة في (تاريخ الكتابة العربية)، وقد أشار فيها إلى ملامح مخالفة المكتوب للمنطوق، ووقف على النماذج الممثلة لهذه الظاهرة(٤)، وهو يرصد الإشكالية بنموذج، ويذكر ما يراه من أسباب قد يجانب الصواب في تلك الأسباب، وقد يصيب في بعضها، ويشير إلى تاريخ المشكلات في الكتابة، وهي مشكلات مرتبطة بازدواجية الخط بين الرسم القرآني والرسم القياسي، وترتبط ببعض المعايير التي قامت على أساسها القواعد القياسية في الكتابة(٥).

وهناك دراسات أخرى، ومن أهمها دراسة (غانم الحمد) علم الكتابة العربية، وهي أيضاً تنطلق

من الحديث عن النشأة، والأصول الأولى للكتابة العربية، والمؤثرات التي رافقتها، وفي هذه الدراسة يقف المؤلف على الحذف والزيادة، والبدل الذي يوافق الخط فيه اللفظ، والبدل الذي لا يوافق(٦)، ولكنه لم يخصص بحثاً للعلاقة بين المنطوق والمكتوب، وما فيها من مرجعيات، ولم يقف على التعليل الصوتي في توجيه الظاهرة، ولم يكن من غرض دراسة (غانم) الوقوف على ظاهرة المنطوق والمكتوب؛ لأنها دراسة تعنى بعلم الكتابة العربية، ونشأة الكتابة، وتطورها، ورصد خصائصها.

ووقف (فوزي الشايب) على أثر اللغة المكتوبة في تقرير الأحكام اللغوية في دراسة نشرت في مجلة جامعة الشارقة، وهو في هذه الدراسة يقف على نماذج من المكتوب وأثرها في إصدار الأحكام اللغوية، ومن ذلك أنه يرى عدم صحة عدّ همزة الوصل زيادة صرفية فهي زيادة صوتية(٧).

ونجده يتحدث في احتمالية وقوع اللبس بين الخبر والنعت في قولنا: (زيد الظريف) وهذا الاحتمال مرده المكتوب؛ لأننا لم نراع في الحكم اللغوي موضوع التنغيم(٨)، بل كانت الكتابة هي العامل في إصدار الحكم مما دفع لوجود ضمير الفصل. وهي دراسة مختصرة في بعض الأمثلة المحدودة، والحقّ أنني أستغرب أن يسند مثل هذا البحيث إلى (فوزي الشايب) الذي عُرف بجديته البحثية، ووقوفه على قضايا لغوية جدلية، وواسعة، ومثل هذه الدراسة المختصرة لا ترقى إلى التفكير اللغوي الذي اتسم به فوزي الشايب.

وتوجد دراسة أخرى بعنوان: (التباين بين المنطوق والمكتوب في اللغة العربية أسبابه وآثاره...) للباحث باسم البديرات، وهي دراسة منشورة في مجلة كلية دار العلوم عام ٢٠١٣م.

وقد وقف الباحث في هذه الدراسة على عدة قضايا، ومنها الوهم بأن المرسوم يعبر عن المنطوق، فهذا وهم قد يقع فيه بعض الناس؛ فقد نجد مكتوباً لا ينطق، ومنطوقاً لا يكتب(٩)، وأشار إلى أسباب التباين، ومنها نظرة القدماء للحركات وعدم دخولها في بنية الكلمة، ويرى أن من الأسباب تأثر الكتابة العربية بالكتابات السامية من حذف أو زيادة(١٠)، وقد جاءت هذه الدراسة مختصرة، ومثل للظاهرة بنماذج معدودة، وقد شغل الباحث في هذه الدراسة بموضوع الأسباب التي أدت لوجود هذه الجدلية من النشأة إلى التأثر، ووقف على موضوع الدعوات المطالبة بالمطابقة بين المكتوب والمنطوق.

ويقف (عزمي محمد عيال سلمان) في دراسته (تسكين اللغة: إشكالية المنطوق والمكتوب في اللسانيات الحديثة) يقف في هذه الدراسة على القضية من منطلق اللسانيات الحديثة دون أن يعالجها صوتياً أو أن يقف على مرجعياتها، فهو يرى أن الاعتماد على الشكل المكتوب يعود إلى أخطاء، ويرى أن علم اللغة المعتمد على المكتوب علم مزيف(١١)، ولذلك فهو يدعو إلى ضرورة النظر في

مدى صلاحية الكتابة، وتطويرها؛ لأن الكتابة الثابتة قد تكون شاهداً مزيفاً على الكلام المنطوق[١٢].

وتبقى معالجة الباحث في هذه الدراسة بعيدة عن موضوع دراستي؛ لأنه ينطلق في أدواته من منطلق الدرس اللساني الحديث، وغايته السعي لتطوير الكتابة. هذه مجموعة من الدراسات التفت أصحابها إلى ظاهرة المكتوب والمنطوق، ولكن لم تقف أي من هذه الدراسات على رصد مرجعيات الظاهرة، ولا على التعليل في ضوء القيم والمفاهيم الصوتية.

وتبقى قضية المنطوق والمكتوب موضوعاً جدلياً يشغل القارئ، والباحث من حيث البحث عن إجابة لبعض الأسئلة: فهل توجد المطابقة بين المنطوق والمكتوب، وهل من الضروري، والملزم وجود المطابقة لتحقيق المعنى أو لإيصال الرسالة، وهل اللغة المكتوبة تشكل ممثلاً صادقاً أميناً لتجسيد المنطوق؟

يرى فوزي الشايب أن الاعتقاد بأن المكتوب يمثل المنطوق تمثيلاً أميناً إنما هو اعتقاد خاطئ؛ لأن اللغة المكتوبة متحجرة ثابتة وهي لا تقابل المنطوقة الحية المتطورة مطابقة لها، وفرق بين ثابت ومتطور[١٣]، ويرى أنّ بعض الأحكام اللغوية ربما بنيت على النظرة للمكتوب دون مراعاة المنطوق كما في الخلاف حول ضمير الفصل (كان زيد الظريف) احتمل أن يكون الظريف نعتاً، وهذا الحكم يقوم على النظرة للمكتوب دون مراعاة المنطوق[١٤]، وهنا يفهم من كلام فوزي الشايب أن التنغيم المسموع صوتياً قد يغني عن ضمير الفصل، ولكن الحاجة له تتأتى من منطلق النظرة إلى المكتوب.

ومن الدراسات القليلة في هذا الموضوع التي ربطت المنطوق والمكتوب بالمفاهيم النحوية دراسة محمد رباع وقد أشار فيها إلى ملاحظ قيمة في ربط ذلك بالتوصيف النحوي، ومما قاله: ""ولكنّ تقنين الفارق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة لا يخلو من تأثير خصوصيات اللغة المعتمدة... لأن بعض وقائع اللغة المنطوقة يرتبط ارتباطا وثيقا بأعراف المجتمع وعاداته وهي أعراف متباينة...."[١٥].

ووقف (ديسوسير) وقفة علمية يرصد فيها عدم مجاراة الكتابة للمنطوق، ويشير صراحة إلى تطور الكلمة، واللغة المنطوقة على مرّ الزمن، أما الصورة الكتابية فتبقى دون تطور يجاري المنطوق، وذلك يرى (ديسوسير): "أنّ الكتابة تقيم بيننا وبين اللغة حجاباً يمنعنا من رؤيتها كما هي، وذلك أنّ الكتابة ليست ثوباً عادياً تلبسه اللغة بل هي قناع خدّاع تتنكر فيه"[١٦].

ولمّا كانت الكتابة ثابتة الصورة أو متحجرة الصورة فإن هذا يدفع إلى الإبقاء في الأحكام اللغوية على ما يوافق الصورة الكتابية دون مراعاة لتطور المنطوق.

وقد تطلق الأحكام اللغوية وفق المكتوب مع أنه أصلاً لم يوافق المنطوق كما في عدم الموافقة بين المنطوق والمكتوب في (عمرو، ومائه) وغيرها من المفردات التي تختلف صورتها الكتابية عن البنية الصوتية المنطوقة، ولذلك فإن التمسك بالمكتوب ومطاوعته للمنطوق قد يؤدي إلى حدوث كيفيات فاسدة في المنطوق، وهذا الفارق بين المستويين يمثل إشكالية قد تمتد إلى التأثير على التخطيط اللغوي للتعليم، وعلى التخطيط للمناهج.

المبحث الأول: الحذف بين المنطوق والمكتوب:

الأصل في الكلمة منطوقة أو مكتوبة أن تظهر مكتملة ومتطابقة في صورتيها: النطقية والكتابية؛ ولذلك جعلنا المبحث الأول موضوع الحذف؛ لأن الحذف طارئ على تلك البنية المنطوقة المكتملة، والكتابة صدى المنطوق، وصورة عنه، وما يطرأ من حذف على الصورة المكتوبة لا يشكل انعكاساً للمنطوق بل هو صورة مغايرة، وسأقف بداية على حذف أصوات المد.

أ- **حذف الألف:**

تحذف الألف في عدة مواطن في الكتابة العربية ومنها: تحذف في لفظ الجلالة الله، إله، وفي أسماء الإشارة مثل (هذا، هذه، هذان، هؤلاء) وفي (لكن) وفي (الرحمن)(١٧)، وتحذف في البسملة (بسم الله).

ويشير الزجاجي في كتاب (الخط) إلى أنها تحذف في البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) لكثرة الاستعمال، ولأن موضعها عُرف(١٨).

وهذا التوجيه والتعليل لحذف الألف لعلة كثرة الاستعمال تبناه بعض القدماء وكثير من اللاحقين، وربما أنها الحجة الأيسر والأسرع التي لا تكلفنا جهد البحث عن العلة العلمية الأدق؛ فكلمة (بسم) هي على الأصل (اسم) ألحق بها حرف الباء فالاصل الكتابي بناء على مكوناتها هو (باسم)، ولكنها في الأداء النطقي جاءت الكتابة توافق المنطوق؛ وذلك بالانتقال من صوت الباء إلى الكسرة إلى السين، لأن همزة الوصل في درج الكلام تتحول نطقياً إلى حركة، وعليه فإن المنطوق هو (بِ س م) الانتقال من الباء إلى الكسر إلى السين، ولا علاقة لما يقال من علة كثرة الاستعمال؛ فلو كانت كثرة الاستعمال هي السبب فمن الطبيعي أن نتساءل لماذا حذفت الألف ولم يحذف السين أو الميم؟

وتحذف الألف من كلمة (ابن) (هذا زيد بن عمرو) وهنا يقول الزجاجي: والعلة في ذلك أن (الابن) لا ينفك من الإضافة، وصار مع الموصوف كالشيء الواحد(١٩)، والزجاجي هنا يعبّر عن

ذلك بتعليل صوتي ولكن بمفاهيم غير مباشرة؛ فالقول: إن كلمة (ابن) صارت مع الموصوف كالشيء الواحد إنما يشير إلى البنية المقطعية الصوتية، فلو قطعنا عبارة (زيد ابن) ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح (زي/ دُ ب/ نُ) فهمزة الوصل في (ابن) أصبحت حركة في درج الكلام، ومثله أيضاً حذف همزة الوصل في تداخل البناء المقطعي بدخول لام الجر على أل التعريف (للرجل، للقوم) وقد تحولت همزة الوصل في درج الكلام إلى حركة.

إنّ تفسير حذف الألف بعلة كثرة تعليل غير مطرد؛ فقد اتجه بعض من قال بهذا التعليل إلى الألف في (باسم) وقال بحذفها لكثرة الاستعمال، ولكن الألف تحذف في (الرحمن، والسموات، والكتبِ) وفي مواطن أخرى بما أثبته الرسم القرآني والنقوش العربية في فترات مبكرة قبل الإسلام وبداياته.

ولكن التعليل الأولى والأقرب لمنطق اللغة وسير تطورها، واطّراد الظاهرة ما نجده من إشارة إلى مميزات الكتابة النبطية التي رصدها (خليل نامي) ومنها: (أنّ الحركات الممدودة تحذف في الكتابة النبطية كالألف فيكتبون حارثة حرثت أي دون ألف... وهذه الميزة نراها في المصحف العثماني..."[٢٠].

وتشير الدراسات إلى تأثر الكتابة العربية بالكتابة النبطية ثم اتجهت العربية إلى استقلال الخط، ومع ذلك بقيت بعض السمات من الكتابة النبطية حاضرة في الكتابة العربية مع أنّ كثيراً منها قد تلاشى، ومن تلك السمات التي ثبتت في الكتابة العربية حذف الألف وهذا التقارب تظهره النقوش العربية قبل الإسلام[٢١].

وهذا الحذف الواقع على الألف لا يقتصر على كلمة (باسم) في البسملة لكي يعلل بكثرة الاستعمال بل هو حذف يطال الألف في مواطن كثيرة، ويلاحظ أن الحذف يقع على الألف عندما تكون واقعة وسط الكلمة.

والحذف الواقع على الألف لا يشكل صورة حيّة؛ لأنه واقع في الكتابة ولا يمتد للمنطوق؛ فالمنطوق يحتفظ بصورته الحية، ولا يُتوقع أن النطق بهذه الكلمات قد وقع بحذف الألف لا في النبطية ولا في العربية، فالمعرفة المسبقة للكلمات، أو السياق الذي ترد فيه يكفي لاستحضار الألف وإبقائها نطقياً.

وتشير بعض الدراسات إلى أن الأكثر في هذه الكلمات هو اطراد حذف الألف إلا أنها قد تثبت في بعض الكلمات "ووجدت هذه الألف مثبتة في كلمة (هؤلاء) حيث رسمت هكذا: هاولاء"[٢٢]، وكتابتها في بعض الكلمات وحذفها في كثير منها يشكل ازدواجية في الكتابة في مرحلة ما، أي أن

بعض الظواهر الكتابية قد جاءت بطريقتين، هما: الحذف، والإثبات، لكن غلبة رواسب الكتابة النبطية بقيت الأثبت في الخط العربي في بعض الظواهر.

ب- ب- حذف الواو والياء:

ومن الحذف الذي قد يظهر في الكتابة دون مطابقته للمنطوق حذف الواو والياء، ولكنه في الواو أكثر، وقد ظهر هذا الحذف في الرسم القرآني في بعض المفردات مثل: (النبيين، والأميين ويلوون ويستوون)(٢٣)، وهنا يقع الحذف على الواو أو الياء عندما يتتابع الحرفان على صورة واحدة مع الاختلاف بينهما في المدّ واللين.

ويقع الحذف على الواو في (طاووس، وداوود) وهو حذف غير مبرر صوتياً، ولكنه ربما يعود إلى الركام الكتابي الممتد من النبطية، فالواو في (داوود) و(طاووس) منطوقة ولا غنى عنها صوتياً ولكنها تحذف كتابياً، فالواو الأولى بداية مقطع صوتي فهي واو لين، أما الثانية فهي واو مد، ومقاطعها: (طاووس) (ص ح ح/ ص ح ح ص) وهذا يثبت أن الأولى صوت لين بداية مقطع والثانية صوت مد.

وقد يتوهم في بعض الكلمات أنها تأثرت بالحذف في الكتابة وذلك بحذف الواو، وهذا ما أشار إليه (علي إبراهيم) بقوله: الواقع أنّ هذه الكلمات لا تلتزم نهجاً معيناً في إثبات الواو أو حذفها... ففي مخطوط البرهان الكاشف تجد كلمة مسئول قد أثبتت فيها الواو فرسمت هكذا (مسؤول) وفي مخطوط التوقيف والتسديد في شرح الفريد وجدت الكلمة السابقة مكتوبة بواو واحدة هكذا (مسئول)"(٢٤). ويشير إلى أن الناس اليوم يختلفون في كتابتها فمنهم من يكتبها بواوين (مسؤول، شؤون)، ومنهم من يكتبها بواو واحدة(٢٥).

والحقيقة أنّ بنية الكلمات في (داوود، وطاووس) تختلف عنها في (شؤون أو شئون، مسؤول أو مسئول) لأن الواو في داوود، وطاووس تتكون من صوتين هما: اللين والمد، أما في شئون، ومسئول فهي واو واحدة تمثل صوت المد، أما الواو التي توضع عليها الهمزة فهي صورة كتابية و لا علاقة لها بالنطق، ومن هنا فمن يرى أن كتابة (مسئول، وشئون) قد حُذفت منها الواو فإنه واهم لأن الواو في بنية الكلمة واو واحدة وهي صوت مد، وهذا ما تؤكده القيم الصوتية، وهي صوت مدّ ينطق بعد الهمزة، وما صورة الهمزة على واو أو ياء أو ألف إلا الصورة الشكلية الكتابية، ولا يوجد لها أي صدى في المنطوق، وكتابة الهمزة أو صورتها الخطية طارئة وليست موجودة في الأصل؛

فقد وجدت زمن الخليل، أي أن وضعها على الواو يمثل مرحلة الكتابة القياسية التعليمية التي تفرّق بين كتابة الهمزات حسب حركاتها أو حسب ما يسبقها من حركات.

وترد عن بعض العلماء تفسيرات للحذف في بعض الحروف قد تكون غير مقنعة لأنها لا تقوم على منطلق علمي أساسه الاطراد، ومما قاله الزجاجي في الجمل في النحو: "واعلم أنّ الكتّاب يزيدون في الكتاب ما ليس فيه ليفصلوا بين مشتبهين، وينقصون بعض الحروف إذا لم يخافوا لبساً، وكان في ما بقي دليل على ما ألقي..."(٢٦).

إنّ الحذف الذي يقع على بعض الحروف فيجعل المطابقة بين المنطوق والمكتوب غير متحققة يخالف ما يراه ابن جني في الأصل الذي وضع عليه الخط إذ يقول: "... وذلك أنّ واضع الخط أجراه في هذا على اللفظ لأنه أصل للخط، والخطّ فرع على اللفظ"(٢٧).

ويبالغ الزجاجي في تعليل حذف الألف ومسوغ هذا الحذف بقوله: "وحذفهم الألف من (الحارث)، وما أشبه ذلك لأنّه لا لبس فيه. وكذلك حذفهم (الألف) من (إسحق، وإبرهيم، ومالك)، ومن (والسموات) وما أشبه ذلك"(٢٨). والقول إنّ هذا الحذف لا يسبب لبساً إنّما يخصّ من عرف بنية الكلمات سابقاً، وعرف المحذوف منها ليقدره، ولكن الحديث والسؤال ليس عن وجود اللبس أو عدمه، بل ما علة الحذف، وما سبب وقوعه، ولماذا يقع الحذف على الألف، ولماذا يتجه الحذف إلى الألف في الوسط؟ أما اللبس فإنه قد لا يقع عند من عرف الظاهرة ومارس القراءة بها، أما من لم يعرفها، ومن لم يمارس القراءة بها فإنه سيقع في اللبس.

ويرى العكبري أنّ الألف قد تحذف لكثرة الاستعمال أو للتخفيف فيقول: "وهو كثير من ذلك (بسم الله) تكتب بغير ألف لكثرة الاستعمال... ومن ذلك (الرحمن) تكتب بلا ألف تخفيفاً مع أمن اللبس. ومن ذلك الحرث والقسم يكتبان بغير ألف لكثرة الاستعمال، فإن لم يكن فيهما ألف ولام أو كانا صفتين كتبا بالألف وكذا صالح ومالك تكتب أعلاماً بغير ألف، وإن لم يكن فيهما ألف ولام وتكتب بالألف صفات، ومن ذلك إسمعيل وهرون وسليمن ومعويه ومرون فتكتب ذلك كله بغير ألف لاشتهارها، وربما كتبوا بعض ذلك بالألف"(٢٩).

وقول العكبري السابق يتضمن بعض المغالطات أو التناقضات؛ فالقول إنّ الحذف يأتي لعلة التخفيف لا يسنده الدليل؛ لأن مطلب التخفيف يكون في المنطوق لأن النطق يتكرر، أما المكتوب فيكتب مرة واحد ولا مطلب للتخفيف فيه، وأما كثرة الاستعمال فلماذا تكون هذه العلة سبباً بحذف

حرف بعينه مع أنّه يستعمل كغيره فالحروف الأخرى من الكلمة تستعمل ولا تحذف، وكثرة الاستعمال حجة لا ترقى للمنطق العلمي بل هو قول شاع على الألسنة دون محاكمته علمياً.

ونلاحظ أنه يشير إلى (الحارث، والقاسم) أنهما يكتبان بغير ألف لكثرة الاستعمال، فإن لم يكن فيهما ألف ولام أو كانا صفتين كتبا بالألف. وهنا نجد مرجعية مزدوجة فمطلب التخفيف لا يمنعه مانع، ويجب أن يكون مطرداً، ولكن العكبري يرى غير ذلك؛ فإذا لم يكن فيهما الألف واللام أو كانا صفتين كتبت الألف، وبوجود الألف واللام تزداد بنية الكلمة، ويزداد طولها، وهي بذلك أحوج للتخفيف، وهذا يتعارض مع حجة الحذف للتخفيف، وهنا تظهر مرجعية أخرى وهي مرجعية المعنى والوظيفة النحوية؛ فإذا كان مجرّداً من الألف واللام أو كان صفة تثبت الألف ولا تحذف، وهذه مرجعية نحوية دلالية.

ولا يظهر العكبري ومن قال مقولته ما معيار الشهرة الذي يمكن أن نحكم بشهرة الاسم فنحذف الألف لأمن اللبس.

وممن قال بهذه العلل (نصر الهوريني) إذ يشير إلى حذف الألف من (الرحمن) في البسملة وغيرها من الحارث المعرّف، ومن بلحارث، ولا تحذف من (حارث) مخافة التصحيف بين "أبي سفيان بن حرب وحرث، وتحذف من السلام وعبدالسلام"(٣٠)، ويشير أيضاً إلى حذف الألف من الأعلام المشهورة مثل: إبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، وهارون، وسليمان، وهو هنا لا يحدد معيار الشهرة، ولا يقدم الدليل على ذلك.

وكلام الهوريني يتناقض مع مطلب التخفيف، فالمعرّف بالألف واللام أطول في بناء الكلمة ومقاطعها الصوتية من حالة تجرّده منها، ومن هنا فقد انتفت حجة الخفة.

وحجة الهوريني الثانية أكثر عجباً وغرابة في تعليله لحذف الألف من الحارث وعدم حذفها من حارث خشية أن يلتبس حارث بحذف الألف مع حرب، فهو هنا يفترض ويتناسى نقط الإعجام الذي جاء لاحقا، وكذلك السياق يفرّق بينهما، وهو بذلك جعل الحذف تحصيلاً حاصلاً في الحارث دون إظهار العلة.

ولمّا كان حذف الألف لا يسير على وتيرة مطردة، ولا يوجد تعليل منطقي علمي يكشف عن الغرض منه ولذلك نجد أنّ ما ذهب إليه صلاح الدين المنجد هو الرأي الأولى والأقوى لتفسير هذه الظاهرة، فهو يرى أن بعض الخصائص التي امتازت بها الكتابة النبطية قد انتقلت إلى الخط العربي، ومن هذه الخصائص حذف الفتحة الممدودة من كلمات كثيرة، ويقصد هنا الألف(٣١).

نلاحظ أن حذف الواو والياء قليل إذا ما قورن بحذف الألف، وهو في الكتابة الإملائية القياسية قليل، وبعضهم توهم بوجود الحذف ولا وجود للحذف على الحقيقة كما في (مسئول، وشئون) لأن المنطوق هو الهمزة وتليها واو المد، وما وجود الواو تعلوها الهمزة إلا وجود شكلي كتابي لا علاقة له بالمنطوق، وهو من عمل التقعيد الإملائي في الكتابة القياسية لغايات تعليمية.

وبالعودة إلى حذف الألف نجد أنه بني على عدة مرجعيات، ولا يطرد وفق مرجعية واحدة؛ فهو في (بسم الله) إنّما يتكئ على مرجعية صوتية بالانتقال في النطق من الباء إلى الكسرة إلى السين، أي أن الألف أصبحت في درج الكلام فوقع عليها الحذف، وكذلك ألف (ابن) في درج الكلام فإنها تقع ضمن التداخل المقطعي فتصبح حركة في مثل (على بن سعيد) وقد أشار الزجاجي إلى هذا بملمح يشير إلى المرجعية الصوتية بقوله: "والعلة في ذلك أنّ (الابن) لا ينفك من الإضافة، وصار مع الموصوف كالشيء الواحد"(٣٢). والمقصود بقوله هذا هو التداخل المقطعي الصوتي إذ بالإضافة تتحول ألف (ابن) في درج الكلام إلى حركة (خالد ابن سعيد) (ص ح ح / ص ح / ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح ح ص) وهناك مرجعيات بنيت على أوهام، ومقولات إنشائية، ومنها: الخفة، وعدم اللبس، وشهرة الأسماء، وهي تفتقد إلى الاطراد.

والأولى في مثل هذا أن نستند على ما يراه (صلاح المنجد) الى أن بعض هذه الظواهر هي امتداد للكتابة النبطية(٣٣)، وكذلك يرى (علي إبراهيم) أنّ بعض هذه الظواهر ما هي إلا مورّثات ورثتها الكتابة العربية عن الأصل الذي أخذت منه(٣٤).

ج- همزة الوصل بين المنطوق والمكتوب:

تختلف وضعية همزة الوصل من حيث النطق وفق موقعيتها، والسياق الذي يكتنفها، فإذا كانت بداية الكلام فإنها تكتب وتنطق، وإذا كانت في درج الكلام فإنها تثبت خطاً، وتحذف نطقاً لأنها تتحول في درج الكلام إلى حركة.

وهي في بداية الكلام مجتلبة لعلة صوتية مقطعية يقول سيبويه: "هذا باب ما يتقدم أول الحروف وهي زائدة قدّمت لإسكان أول الحروف؛ فلم تصل إلى أن تبتدئ بساكن، فقدمت الزيادة متحركة لتصل إلى التكلم، والزيادة هنا الألف الموصولة في الأفعال"(٣٥)، وخلاصة كلام سيبويه أنّ العربية لا تبدأ بساكن، وللتخلص من هذا المانع نجتلب همزة الوصل متحركة، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين أنّ اجتلاب همزة الوصل للتخلص من الابتداء بالساكن إنّما يوحي إلى وجود مفاهيم المقطع الصوتي عند

القدماء، وأنهم عرفوا ما يدلل على المقطع، ويعطي معانيه وملامحه[٣٦]. وأشار ابن جني إلى اجتلاب همزة الوصل بقوله: "اعلم أنّ ألف الوصل همزة تلحق في أول الكلمة توصلاً إلى النطق بالساكن، وهرباً من الابتداء به إذ كان ذلك غير ممكن، وهذه الهمزة إنّما حرّكت لسكونها وسكون ما قبلها، وهي في الأصل زائدة ساكنة"[٣٧]. وبما أنها تجتلب للتخلص من الابتداء بساكن فمعنى ذلك أنها ثابتة في النطق، ومتحركة.

وقد فرّق ابن سنان الخفاجي بين همزة الوصل التي تكون بداية، والألف التي تكون لاحقة تتمة للمقطع: فيرى أنَّ همزة الوصل في (الرجل، الجارية) جيء بها للتوصل بها للنطق بالساكن، لعدم التمكّن من الابتداء بساكن، أما الألف في (لا) فلا يمكن الابتداء بها؛ ولذلك جيء بحرف قبلها يُتوصل به للاعتماد عليه[٣٨].

ومع أنّ أكثر العلماء من القدماء الذين أشاروا إلى همزة الوصل قد أفاضوا في الحديث وبشكل صريح أنها يؤتى بها في بداية الكلام للتخلص من الابتداء بالساكن، وأنها يؤتى بها متحركة، ومعنى أن يؤتى بها متحركة أنها من حيث القيمة المقطعية قد أخذت حكم الصامت؛ لأن العربية لا تبدأ بحركة، ولا تبدأ بساكن، وكذلك أشار المحدثون إلى أنّ المقطع لا يبدأ بحركة[٣٩] أقول: ومع كلّ هذه الآراء التي تؤكد على أنّ العربية لا تبدأ بساكن، ولا تبدأ بحركة، وأن همزة الوصل يؤتى بها متحركة للتخلص من الابتداء بالساكن، مع كل ذلك يرى أحد المحدثين أنّ المقطع في العربية يمكن أن يبدأ بحركة، وأنّ همزة الوصل ليست إلا حركة سواء أكانت في بداية الكلمة أو في درج الكلام، فيقول: "إنّ همزة الوصل التي يؤتى بها في أول فعل الأمر، ليست في حقيقتها إلا حركة، وهي ليست صامتاً... وقد أجاد علماء اللغة العربية من أسلافنا، عندما وصفوها بأنها تزاد لوصل الكلام... والذي نودّ أن نؤكده هنا، أنّ همزة الوصل لا تُضم، ولا تكسر، وذلك بخلاف ما هو مفهوم من قول ابن يعيش: "وحكمها أن تكون مكسورة... الهمزة التي للوصل هي نفسها ضمة أو كسرة، والضمة لا تضم، والكسرة لا تُكسر"[٤٠].

وهذا الذي ذهب إليه (إستيتية) هو ما قال به (كمال بشر) قبل استيتية في قوله: "إننا نشك في أن يكون المنطوق في هذه السياقات المعينة همزة... إنّ هذا الصوت الذي يظهر في أول (اضرب) و(استخراج) إلخ والذي يرمز إليه بالألف في الكتابة ليست همزة فيما نعتقد – إنه – على فرض وقوعه– نوع من التحريك الذي يسهّل عملية النطق بالساكن، هذا التحريك قد يختلط أمره على بعض الناس فيظنونه همزة"[٤١]، والغريب أن (إستيتية) لم يذكر كلام كمال بشر ولم يشر إليه، مع أنه سابق عليه، واستيتية لاحق.

وهنا نجد أن (إستيتية) قد وقع في عدة مغالطات، وهي:

أولاً: الفرق ظاهر في الأداء النطقي بين همزة الوصل في حال وجودها في بداية الكلمة، وبوصفها بداية مقطع عن نطقها حال كونها في درج الكلام بوصفها حركة بين صامتين وإن كانت كتابتها قد جاءت بالألف فكيف نعاملهما معاملة واحدة؟.

ثانياً: كثرة ما أورده العلماء من القدماء والمحدثين من الآراء التي تؤكد على أنّ همزة الوصل بداية الكلام يؤتى بها متحركة للتخلص من الابتداء بساكن، فكيف يؤتى بها للتخلص من الابتداء بالساكن وتنطق حركة على رأي (إستيتية)؟ إضافة إلى أن آراء العلماء واضحة في نصها أنّ همزة الوصل تجتلب للتخلص من الابتداء بالساكن، وأنّ همزة الوصل تجتلب متحركة، فكيف تكون حركة ومتحركة، ومعلوم أنّ الذي يُحرّك هو الصامت، وهي أقرب ما تكون إلى همزة القطع، ولكنها لم تحقق كهمزة القطع بل تنطق بما يقارب همزة بين بين، وقد نصّ العلماء على أنّ همزة بين بين بزنتها محققة(٤٢).

ثالثاً: والمغالطة الثالثة في ما أورده (إستيتية) أنّه أورد نص سيبويه ليستشهد به، ولكنّه للأسف أورده مبتوراً، فقد أورد منه ما ينسجم مع رأيه ومراده، وهذا الإجراء مرفوض في البحث العلمي الملتزم، ولكي ندلل على أنّه بتر نص سيبويه نورد النص كما ورد في الكتاب إذ يقول سيبويه: "هذا باب ما يتقدم أول الحروف وهي زائدة، قدمت لإسكان أول الحروف؛ فلم تصل إلى أن تبتدئ بساكن، فقدّمت الزيادة متحركة لتصل إلى التكلم، والزيادة هنا الألف الموصولة في الأفعال"(٤٣)، ولكن الاستشهاد الذي أورده (إستيتية) اقتصر على العبارة الأخيرة مبتورة، وهي "والزيادة هنا الألف الموصولة..."(٤٤)، والعبارة هنا مبتورة عمّا سبقها متبوعة بنص سيبويه كاملاً، ولكن الذي حُذف قبلها يخالف ما يراه (إستيتية) وينفيه، وكان الأولى أن لا يُبتر النص، ولا يجتزأ بهذا الأسلوب الذي جعله يفقد مراده، وبغيته، ويظهر موافقاً لرؤية (إستيتية)، وهذا في عُرف العلماء مأخذ ومطعن، إضافة إلى عدم إشارته ألى رأي كمال بشر السابق بهذا الطرح.

ولو ذهب القارئ إلى ما قاله ابن الأنباري في كتابه (مختصر في ذكر الألفات) لوجد أنّه يوافق ما عليه سيبويه، وأنّ همزة الوصل في البداية بمنزلة همزة القطع من حيث القيمة المقطعية؛ فهو يقول: "فإن سأل سائل عن ألف الوصل أهمزة هي أم ألف قيل له قال قطرب: هي همزة كثرتها العرب فكثرت؛ لأن الألف لا تحتمل الحركة. وهي في قال وباع وعمادٍ وجماد ألف لا يُشك فيها، فلو

كانت في اضرب ألفاً ما تحركت"[٤٥].

ويظهر من هذا النص أن الأنباري يستشهد بكلام قطرب الدال على أن همزة الوصل في (اضرب) همزة متحركة تختلف عنها في الوسط أو في درج الكلام.

ويشير محقق الكتاب إلى أنّ عبارة (كثرتها العرب فتركت) كلام محرّف، والصواب: هي همزة حرّكتها العرب فتحركت[٤٦].

وخلاصة ما مضى في الحديث على همزة الوصل أنها تظهر في المكتوب في بداية الكلام وفي درجه بصورة واحدة هي الألف، ولكنها في الصورة المنطوقة تظهر بصورتين: الأولى بنطقها في بداية الكلام همزة منطوقة متحركة ولكنها لا ترقى في حدتها وتحقيقها إلى درجة همزة القطع، ولكنها مقطعياً بقيمة الصامت المتحرك.

والصورة الثالثة لها هي ألف نطقاً وكتابة عندما تكون في وسط الكلمة مثل (جهاد، وعماد، وجماد)، وكذلك تحذف كتابة في (لكن) وفي هذا وغيرها مع ثباتها نطقياً[٤٧].

وحذف الألف وسط الكلمة قديم تؤرخه النقوش، ومما حُذفت الألف فيه كلمة معاوية إذ جاء في النقش على سدّ معاوية الذي بناه معاوية بن أبي سفيان بالقرب من الطائف في سنة ثمان وخمسين هجرية:

"هذا السدّ لعبدالله معوية

أمير المؤمنين بنيه عبدالله بن صخر

بإذن الله لسنة ثمن وخمسين اللهم

اغفر لعبدالله معوية"[٤٨].

فنلاحظ أنّ الألف حذفت من معاوية، ومن ثمن، وهذا كثير في النقوش القديمة.

قد يكون الحذف بعضاً من مراحل تطور الكتابة فتلاشت بعض ظواهره، وبقيت بعض ظواهر الحذف تشكل بعض الرواسب التي احتفظ بها الخط العربي وبقيت ماثلة في بعض المفردات، واختفت في أخرى.

المبحث الثاني: الزيادة في المكتوب مقابل المنطوق

أ- **زيادة أصوات المد:**

تزاد الألف من أصوات المدّ رسماً دون أن يظهر أي أداء نطقي لها، ويظهر رسمها في أواخر الأفعال المنتهية بضمير الجماعة الواو في مثل كتبوا، اكتبوا، لم يكتبوا، هذه مرحلة الاستقرار؛ لأن هذه الألف كانت تلحق بكثير من الكلمات التي تنتهي بالواو، وقد أشار (غانم الحمد) إلى "أنّ مواضع زيادة هذه الألف كانت في عصور سابقة أكثر مما استقر عليه العمل في العصور المتأخرة وفي زماننا الحاضر"[٤٩].

وهي في بعض اللغات السامية تشكل أداة تعريف في نهاية الكلمة، يقول (رمضان عبدالتواب): "وفي الأرامية، الألف الممدودة... في آخر الاسم المعرّف، غير أنها في اللغة السريانية، فقدت هذه الألف الممدودة، قوتها التعريفية، وأصبحت في النهاية العادية للاسم..."[٥٠].

إنّ وجود هذه الألف ليس من وضع العلماء زمن التقعيد وتطور الكتابة؛ فهي موجودة منذ بدايات العصر الإسلامي، وربما قبل ذلك، وكان دور العلماء في زمن التقعيد والتفسير للظواهر الكتابية يقتصر على تفسير وجودها، ولم يكن لهم تدخل في وضعها.

وهذا السبب الذي يذكره العلماء تعليلاً لوجود الألف وهو التفريق بين واو الجماعة والواو الأصلية غير مقنع، وسبب لا يرقى إلى التعليل المنطقي، وقد أشار (علي إبراهيم) إلى أنّ السياق كفيل بهذا التفريق[٥١].

ونلاحظ أن التفسير الذي يرى أنها للتفريق بين واو الجماعة والواو الأصلية إنما هو تفسير تعليمي جاء في فترة التقعيد، وتعليل ظواهر الرسم مع أنّ هذه الحرف موجود في نقوش عربية قبل الإسلام، وهي جدلية حاضرة في نقوش في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم-؛ فقد ذكر (علي إبراهيم محمد) بعض الرسائل المرسلة إلى المقوقس وفيها عدة كلمات كتبت الألف فيها بعد الواو[٥٢].

ويرى (علي إبراهيم) أن زيادة الألف قد تمثل ظاهرة كتابية موجودة قديماً[٥٣].

وخلاصة القول: إنّ هذه الألف مكتوبة وغير منطوقة، وهي ربما نشأت مع مراحل تطور الكتابة، وبقيت من رواسب الخط الأقدم الذي تطور عنه الخط العربي، أما توظيفها في زمننا للتفريق فهي وظيفة تعليمية قد تساعد المتعلم الناشئ على التفريق بين واو الجماعة والواو الأصلية، أو التفريق بين الواو المتصلة بالأفعال، والأخرى المتصلة بالأسماء.

وتزاد الألف في الوسط في عدة مواضع، "فتزاد وسطاً في (مائة) مفردة أو مركبة، مثل: (ثلاثمائة، أربعمائة...)، وكذلك إذا كانت مثناة نحو: (مائتان، مائتين)..."[٥٤].

ويرى بعض العلماء أن الألف في هذه الكلمات تزاد للتفريق بين (مئة، ومنه، وفيه) لأنها كانت متشابهة الكتابة قبل النقط؛ ولذلك كانت الألف هي الوسيلة للتفريق، وبعد مجيء النقط وزوال سبب وجود الألف إلاّ أنها بقيت مثبته، والسبب في ذلك عدم تطور أو تطوير الخط العربي انسجاما مع زوال الأسباب التي كانت دفعت لتلك الكتابة.

وهذه الزيادات التي لا تطابق المنطوق تشكل معضلة في الفجوة بين المكتوب والمنطوق، وقد أشار غير واحد من العلماء إلى هذا؛ يقول رمضان عبدالتواب: "وما الخط في جميع اللغات إلا وسيلة ناقصة، للتعبير عن الصورة السمعية الحية، كما يذهب إلى ذلك علماء الأصوات من المحدثين"[٥٥].

ومثل هذه الزيادات تثبت في الكلمات بما وصفه بعض العلماء (التحجر في رسم الكلمات)[٥٦]، وقد أبقت الأجيال المتعاقبة على هذا الرسم وإن كان يخالف المنطوق، وإن كانت الأسباب الموجبة له قد زالت بعد استحداث النقط، وإزالة الفوارق بين المتشابهات، والمتقاربات في الخط.

ومن زيادة المكتوب من أصوات المدّ زيادة الواو في (عمرو، وأولئك)، وهي زيادة في المكتوب لا يقابلها المنطوق، وأكثر الآراء تشير إلى أنّ زيادة الواو في (عمرو) قد جاءت للفرق بينها وبين (عمر)[٥٧]، وهو رأي لا يتكئ على منطق علمي؛ لأن التفريق بين (عَمْرو، وعُمَر) إنّما يتأتى بالحركات، فكلمة (عَمْر) بفتح العين وسكون الميم، وكلمة (عُمَر) بضم العين وفتح الميم؛ ولذلك فإنّ الواو لا تقوم بأي تفريق، ولا بأي ملمح مميز بينهما.

ولكن هذه الواو قد جاءت بعد الأسماء في النقوش القديمة في مثل (شرحو، وسعدو، وظلمو)[٥٨]، وبما أنّ هذه الواو غير منطوقة، وهي موجودة في النقوش العربية القديمة في نقش (زيد) وغيره فهذا يشير إلى أنّ هذه الزيادات من الزيادات التي جاءت من الرواسب الكتابية، ومع مرور الزمن تحجرت، وثبتت في هذه الكلمة، وهي مرحلة تشكل انفصال الخط العربي عن النبطي.

أما كلمة (أولئك) فقد يشير وجود الواو إلى وجود الضمة بعد الهمزة، وقد نطقت هذه الضمة بالتريث مما يشعر أنها امتدّت زمنيًا إلى الواو؛ ولذلك ظهر رسمها واواً في بنية الكلمة، وهي ليست إلا ضمة بعد الهمزة، وهذا ما ظهر في بعض المواطن في الرسم العربي، والرسم القرآني أن يكتب الحرف للدلالة على حركة سابقة، ولكن الحركات لم تدخل في نظام الكتابة في تلك المرحلة.

والواو في (أولئك) أو (هؤلاء) فهي موجودة شكلاً كتابياً ولا تنطق، فالواو في (هؤلاء) إنما وجدت

للدلالة على الضمة قبل أن توضع الهمزة، والمنطوق حقيقة هو: الهاء والألف والهمزة المضمومة ثم اللام والهمزة، أما أولئك فإن الواو غير منطوقة، وهي ليست إلا الدليل على الضمة على الهمزة السابقة.

ب- **الزيادة في الصوامت:**

تظهر بعض الحروف زيادة في الكلمة، وهذه الزيادة قد تقع فارقة بين كلمتين تتقاربان في الرسم وتختلفان في الدلالة.

ومن الحروف التي تقع زيادة في لكلمة في الرسم حرف اللام؛ فكلمات: الذي، والذين تكتبان بلام واحدة، ولكن الفارق المميز بينهما زيادة النون مفتوحة، أما الذي فتقف على ياء المد، وهذا فارق واضح بين الكلمتين يمنع وقوع اللبس.

أما كلمة اللذين فإنها لو جاءت بلام واحدة فقد تلتبس على المتعلم الناشئ بكلمة الذين إذ لا يفرّق بين ياء المد، وياء اللين؛ ولذلك يأتي حرف اللام زيادة في كلمة اللذين للمثنى مع أنه غير منطوق؛ فالمنطوق هو اللام المضعف كما في الذي، والذين.

والأرجح أن زيادة حرف اللام في (اللذين) إنما جاءت لإزالة اللبس عند المتعلمين بين الذين للجمع، والذين للمثنى، وبما أنّ الحركات لم تظهر مبكراً، ولم يلتزموا بها كتابة بعد ظهورها؛ ولذلك زادوا اللام بوصفها ملمحاً مميزاً بين المثنى والجمع، إضافة إلى أنّ التفريق بين ياء اللين وياء المدّ لا يدركه الجميع، وبخاصة المتعلم الناشئ.

وبما أنّ اللام حرف يزاد في (اللذين) فقد اطَّرد في كتابته في (اللذان).

وزيد حرف اللام في (اللاتي، واللتان، واللتين) وقد تكون الزيادة دالة على وجود التضعيف وإن كانت هذه الزيادة تقتصر على الكتابة فقط، ولا يطالها النطق؛ لأن النطق يتمثل في اللام المضعّف.

وقد تكون زيادة اللام تمثل مرحلة من مراحل التطور في الرسم رافقها إحساس بأنّ قرينة التضعيف لا تدل على الفارق في المعنى، ولا تشكل ملمحاً مميزاً لأن الرسم مرئي منظور، والأثر للصورة البصرية أقوى.

وقد يكون السبب في زيادة اللام في (اللائي) خشية اللبس بينها وبين (آلائي)، ولذلك فإن اللام الزائدة تشكل ملمحاً مميزاً؛ لأن الشكل والحركات، والمدّة على الألف لم تكن موجودة في البدايات.

وإذا نظرنا إلى اللام الشمسية التي تظهر خطاً وتختفي نطقاً في مثل (الرجل، الشارع) فإن الأصل في هذا الصوت أن ينطق، ولكن عدم نطقه عارض بسبب الإدغام الذي يظهر في الصوت

اللاحق؛ ولذلك تثبت (أل) التعريف في الشمسية فتنطق الألف، ويختفي نطق اللام، ويبقى رسمها، ووجود اللام كتابة دليل على وجودها في الأصل، وتحولها نطقياً في التضعيف.

يظهر أنّ زيادة حرف اللام تأتي إما لإزالة اللبس بين كلمتين فيثبت صوت اللام خطاً، ولا يظهر نطقاً، أو أن صوت اللام موجود أصلاً؛ ويتعرض للاختفاء نطقياً لعلة عارضة وهي تضعيف اللاحق، أو إدغام اللام في اللاحق فيختفي اللام نطقاً، ويبقى كتابة.

الخلاصة

وقفت هذه الدراسة على جدلية المكتوب والمنطوق لرصد ما بين المستويين من إشكاليات، والمتتبع لهذه الظاهرة يجد عدم المطابقة بينهما؛ فالكتابة ثابتة، واللغة متطورة متغيرة.

وتكشف الدراسة عن ملامح عدم المطابقة، ويظهر ذلك في حذف بعض الحروف من المكتوب مقابل صورتها الصوتية في المنطوق وهذا الحذف يتفاوت في موقعيته في الكلمة؛ فالمحذوف في وسط الكلمة يكثر، وبخاصة حذف الألف، وهذا الحذف لا يستند إلى علل صوتية بقدر ما يستند إلى احتفاظ الخط العربي بالرسوبيات الكتابية عبر المراحل التي مرّت بها الكتابة العربية، فالحذف ظاهرة رافقت الكتابة العربية منذ المراحل الأولى قبل الإسلام كما تثبت ذلك النقوش، وفي الكتابة في العصر الإسلامي كما أثبتت ذلك النقوش، والرسم القرآني.

وجاءت إشكالية الزيادة في الكتابة العربية، فالمكتوب لا يطابق المنطوق، وهذا يظهر فجوة بين المستويين.

وقد كانت عوامل الحذف أو الزيادة مشتركة بين أثر القيم الصوتية، وتأثير الرسوبيات التي احتفظ بها الخط العربي، وأصبحت تلك الرسوبيات من المتحجرات في الكتابة على رأي بعض الباحثين؛ فالكتابة تحتفظ بصورة ثابتة لا تتطور مقابل الصورة النطقية القابلة للتطور.

وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج، وهي:

١. قصور الكتابة العربية عن الوفاء بالمنطوق العربي، وقد ظهر هذا القصور منذ البدايات في وجود الصور النطقية لبعض الأصوات، وعدم وجود ما يقابلها من الصور كتابة، وهي تلك الأصوات التي وصفها سيبويه بالقبيحة، واستمرّ هذا القصور في مظاهر كتابة أخرى.
٢. كان من أسباب عدم المطابقة بين المكتوب والمنطوق احتفاظ الخط العربي بصور كتابية، وظواهر خطية من المراحل الأولى لنشأة الكتابة العربية، وهي صورة متأثرة بالخط النبطي، والكتابة النبطية التي تشترك مع العربية في بعض الظواهر، ومنها الحذف، والزيادة.

٣. مطابقة النقوش في مرحلة ما قبل الإسلام للكتابة العربية المستعملة، وهذا يؤكد تحجر الصور الكتابية وعدم تطورها مقابل الصور النطقية التي تتطور، وتتأثر بعدة عوامل تؤدي إلى عدم ثباتها نطقياً.

٤. الفجوة بين المكتوب والمنطوق في العربية تشكل أثراً سلبياً على المتعلمين الناشئين من أبناء العربية، وتمثل إشكالية في تعلم العربية للناطقين بغيرها وتعليمها؛ لأن المتعلم يسعى للربط بين المنطوق والمكتوب، وفي حال عدم المطابقة فإن ذلك يشكل عقبة في طريق المتعلم مما يزيد إشكالية قابليته لتعلم العربية، وقد يؤدي إلى نفور المتعلم.

٥. ضرورة اهتمام علماء التخطيط اللغوي لمعالجة هذه الفجوة بين المكتوب والمنطوق لحصر أثرها السلبي على المتعلم، فالتخطيط اللغوي قادر على كشف الإشكالية، وتحديد أُطرها، وقادر على استشراف الحلول التي تحد من أثر هذه الإشكالية الناتجة عن الفجوة بين المكتوب والمنطوق.

وتبقى هذه الظاهرة قابلة للبحث والدراسة لما تنطوي عليه من تعدد مظاهرها، وما هذه الدراسة إلا محاولة للوقوف على الظاهرة بوصفها ظاهرة تستحق الاهتمام، وليس من هدف هذه الدراسة حصر الظاهرة، أو حصر مظاهرها، ومواطن الافتراق بين المستويين، فهي دراسة تقف على الظاهرة للتأشير على وجودها، وأهميتها، وضرورة معالجتها.

والله ولي التوفيق

الهوامش:

(١) انظر: الجمل في النحو، الزجاجي (ت٣٤٠هـ)، ص٢٧٤.

(٢) انظر: اللباب في علل البناء والإعراب، عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، ٢، ص٤٨١.

(٣) انظر: الشافية في علمي التصريف والخط، عثمان بن عمر ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، ص١٠٣.

(٤) انظر: أصل الخط العربي وتاريخ تطوره، خليل نامي، ص ٨٥-٩٤، تاريخ الكتابة العربية، علي إبراهيم محمد، ص١٥٥ فما بعد.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٣٣٧ فما بعد.

(٦) انظر: علم الكتابة العربية، غانم الحمد، ص١١٢، ١٣٧، ١٤١.

(٧) انظر: مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مجلد٢، عدد٣، أثر اللغة المكتوبة في تقرير الأحكام اللغوية، ص١١٠.
(٨) انظر: المرجع السابق، ص١١٢.
(٩) انظر: مجلة كلية دار العلوم، عدد٦٩، ٢٠١٣م، باسم البديرات، التباين بين المنطوق والمكتوب في اللغة العربية، ص٢٠٨-٢٠٩.
(١٠) انظر: مجلة كلية دار العلوم، عدد٦٩، ص٢١٤-٢١٧.
(١١) انظر: مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز، عدد١١، ٢٠٢٠م، تسكين اللغة: إشكاليات المنطوق والمكتوب في اللسانيات الحديثة)، عزمي عيال سلمان، ص٣٠٥.
(١٢) المرجع السابق، ص٣٠٩-٣١٠.
(١٣) انظر: مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مجلد٢، عدد٣، ص١٠٣.
(١٤) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مجلد٢، عدد٣، ص١١٢.
(١٥) الفصحى المنطوقة منزلتها في النظرية النحوية، وصورتها في اللغة العربية، محمد علي رباع، ص٨٢
(١٦) دروس في الألسنية العامة، فردينان ديسوسير، تعريب: صالح القرماوي وصحبه، الدار العربية للكتاب، دون طبعة، ١٩٨٥م، ص٥٦.
(١٧) انظر: علم الكتابة العربية، غانم الحمد، ص١١٢-١١٣.
(١٨) كتاب الخط، الزجاجي، ص١٤٠، وانظر: الجمل في النحو، الزجاجي، ص٢٧٥.
(١٩) انظر: كتاب الخط، الزجاجي، ص١٤٠.
(٢٠) أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، خليل نامي، ص٨٨.
(٢١) انظر: الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، صالح الحسن، ص٣٦، وانظر: أصل الخط العربي، خليل نامي، ص٢٦.
(٢٢) تاريخ الكتابة العربية، علي إبراهيم محمد، ص١٧٦.
(٢٣) انظر: علم الكتابة العربية، غانم الحمد، ص١١٤.
(٢٤) تاريخ الكتابة العربية، علي إبراهيم، ص١٧٧.
(٢٥) انظر: المرجع السابق، ص١٧٧.
(٢٦) الجمل في النحو، الزجاجي، عبدالرحمن بن إسحاق، ص٢٧٤.

(٢٧) سرّ صناعة الإعراب، ابن جنيّ، ج١، ص٤٥.

(٢٨) الجمل في النحو، الزجاجي، ص٢٧٥.

(٢٩) اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري عبدالله بن الحسين، ج٢، ص٤٨٨.

(٣٠) انظر: المطالع النصريّة للمطابع المصرية في الأصول الخطية، نصر بن نصر يونس الهوريني، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٣١) دراسات في تاريخ الخط العربي، صلاح الدين المنجد، ص٤٣.

(٣٢) كتاب الخط، الزجاجي، ص١٤٠.

(٣٣) انظر: دراسات في تاريخ الخط العربي، صلاح المنجد، ص٤٣.

(٣٤) انظر: تاريخ الكتابة العربية، علي إبراهيم، ص٣١.

(٣٥) الكتاب، سيبويه، ج٤، ص١٤٤.

(٣٦) انظر: مجلة اللسانيات واللغة العربية، الجزائر، جامعة باجي مختار، العدد السابع عشر، ٢٠١٩م، ملامح نظرية المقاطع الصوتية في التفكير اللغوي العربي القديم، زيد القراله، ص٦٣.

(٣٧) المنصف في شرح التصريف، ج١، ص٥٣، وانظر: سرّ صناعة الإعراب، ج٢، ص٢٨.

(٣٨) انظر: سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص٢٠.

(٣٩) انظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص١٦٩، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص٢٦٢، وعلم الأصوات، كمال بشر، ص٥٠٩.

(٤٠) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير شريف إستيتية، ص٣١٨-٣٢٠.

(٤١) دراسات في علم اللغة، كمال بشر، ص١٥٠.

(٤٢) انظر: الكتاب، سيبويه، ج٣، ص٥٤١، ٥٤٩، وسرّ صناعة الإعراب، ابن جني، ج١، ص٤٨، ٥٦، والخصائص، ج٢، ص١٤٤، وشرح شافية ابن الحاجب، الرضي الأستراباذي، ج٤، ص٣٣٢.

(٤٣) الكتاب، سيبويه، ج٤، ص١٤٤.

(٤٤) الأصوات اللغوية رؤية عضوية نطقية، سمير إستيتية، ص٣١٨.

(٤٥) مختصر في ذكر الألفات، أبو بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)، ص٢٤، تحقيق: حسن شاذلي فرهود.

(٤٦) انظر: المرجع السابق، هامش ص٢٥.

(٤٧) انظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر، ص١٤٥-١٧٠.
(٤٨) الخط والكتابة في الحضارة العربية، يحيى الجبوري، ص٨٠.
(٤٩) علم الكتابة العربية، غانم الحمد، ص١٣٤.
(٥٠) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبدالتواب، ص٢٤٢.
(٥١) تاريخ الكتابة العربية، علي محمد، ص١٦٤.
(٥٢) تاريخ الكتابة العربية، علي محمد، ص١٦٣.
(٥٣) المرجع السابق، ص١٦٥.
(٥٤) الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، عبدالعليم إبراهيم، ص٨١.
(٥٥) فصول في فقه العربية، رمضان عبدالتواب، ص٤١٠.
(٥٦) الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، صالح إبراهيم، ص١٠٤.
(٥٧) انظر: كتاب الخط، الزجاجي، ص١٣٩.
(٥٨) انظر: أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، خليل يحيى نامي، ص٩٠، وانظر: الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء، شعبان خليفة، ص١١٩-١٢١.

قائمة المراجع

١- أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، خليل نامي، القاهرة، دون طبعة، ١٩٣٥م.
٢- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (ت١٩٧٧م)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٩م.
٣- الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير إستيتية، عمّان – دار وائل، ط١، ٢٠٠٣م.
٤- الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، عبدالعليم إبراهيم، مكتبة غريب، دون طبعة، ودون تاريخ.
٥- تاريخ الكتابة العربية، علي إبراهيم محمد، القاهرة، دار المشرق العربي، ط١، ٢٠١٨م.
٦- الجمل في النحو، الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: علي الحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٤م.
٧- الخط، الزجاجي أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: غانم الحمد، عمّان، دار عمّار، ط١، ٢٠٠٠م.

٨- الخط والكتابة في الحضارة العربية، يحيى الجبوري (ت٢٠١٩م)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩م.

٩- دراسات في تاريخ الخط العربي، صلاح المنجد (ت٢٠١٠م)، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٧٩م.

١٠- دراسات في علم اللغة، كمال بشر (ت٢٠١٥م)، القاهرة، دار المعارف، ط٩، ١٩٨٦م.

١١- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر (ت٢٠٠٣م)، عالم الكتب، دون طبعة، ودون تاريخ.

١٢- دروس في الألسنية العامة، فردينان ديسوسير، تعريب: صالح القرماوي، ومحمد الشاويش، ومحمد عجينه، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م.

١٣- سرّ صناعة الإعراب، ابن جني أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٨٥م.

١٤- سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، محمد عبدالله بن محمد (ت٤٦٦هـ)، تحقيق: علي فوده، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٤م.

١٥- الشافية في علمي التصريف والخط، عثمان بن عمر ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: حسن أحمد عثمان، السعودية، مكة، المكتبة الملكية، ط٢، ٢٠١٤م.

١٦- علم الأصوات، كمال بشر (ت٢٠١٥م)، القاهرة، دار غريب، ط١، ٢٠٠٠م.

١٧- علم الكتابة العربية، غانم الحمد، عمّان، دار عمّار، ط١، ٢٠٠٤م.

١٨- الفصحى المنطوقة منزلتها في النظرية النحوية، وصورتها في اللغة العربية، محمد علي رياع (رسالة دكتوراة- الجامعة الأردنية)، ١٩٩٤م، ص ٨٢.

١٩- فصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبدالتواب (ت٢٠٠١م)، القاهرة، مكتبة الخانجي، دون طبعة، ودون تاريخ.

٢٠- الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت- عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م.

٢١- الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء، شعبان عبدالعزيز خليفة، العربي للنشر والتوزيع، دون طبعة، ١٩٨٩م.

٢٢- الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، صالح الحسن، الرياض- دار الفيصل الثقافية،

دون طبعة، ٢٠٠٣م.

٢٣- اللباب في علل البناء والإعراب، عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٩٥م.

٢٤- مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مجلد٢، عدد٣، أثر اللغة المكتوبة في تقرير الأحكام اللغوية، فوزي الشايب.

٢٥- مجلة كلية دار العلوم، عدد٦٩، ٢٠١٣م، التباين بين المنطوق والمكتوب في اللغة العربية، باسم البديرات.

٢٦- مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز، عدد١١، ٢٠٢٠م، تسكين اللغة إشكاليات المنطوق والمكتوب في اللسانيات الحديثة، عزمي عيال سلمان.

٢٧- مجلة اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار، عدد١٧، ٢٠١٩م، ملامح نظرية المقاطع الصوتية في التفكير اللغوي العربي القديم، زيد القرالّه.

٢٨- مختصر في ذكر الألفات، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، القاهرة، دار التراث، ط١، ١٩٨٠م.

٢٩- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبدالتواب (ت٢٠٠١م)، القاهرة- مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٧٩م.

٣٠- المطالع النصريّة للمطابع المصريّة في أصول الكتابة الإملائية، نصر بن نصر بن يونس الهوريني (ت١٢٩١هـ)، تحقيق: طه عبدالمقصود، القاهرة، مكتبة السنة، ط١، ٢٠٠٥م.

٣١- المنصف في شرح التصريف، ابن جني أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٩٥٤م.

The Impact of Using Internet on the Behavior of the Students Enrolled at The University of Jordan

Nesreen N. Atieh[(1)*]

(1) Lecturer, Department of Social Work, Faculty of Arts, University of Jordan, Amman - Jordan.

Received: 24/01/2023

Accepted: 02/04/2023

Published: 30/09/2023

* *Corresponding Author:*
n.atieh@ju.edu.jo

DOI: https://doi.org/10.59759/art.v2i3.298

Abstract

The present study aimed to identify the impact of using internet on BA students at The University of Jordan in the behavioral areas. It also aimed to identify the impact of using internet on students in terms of social and family relationships. In addition, it aimed to explore the psychological and social impacts of using internet on students. The researcher adopted the social survey-based approach and chose a random sample. The sample of the study consisted of fifty (50) female and male students who were enrolled at The University of Jordan. The researcher designed a survey to meet the goal of the study. The survey consists of sixteen (16) items, and it targets two areas, which are: the impact of using internet on the social areas, and the impact of using internet on the psychological areas.

Some of the results shed light on the impact of using internet on university students in social aspects. Based on the latter results, the highest value belongs to the item suggesting that internet is used by the respondents as a means to run away from the problems and get rid of stress. They show negligence in doing family chores in order to use internet, as they spend more time talking to friends and relatives through internet more than talking to them face to face. Some of the results shed light on the impact of using internet on university students in psychological aspects. Based on the latter results, internet is a means for running away from problems and getting rid of stress. The respondents feel self-confident when using internet and communicating with others; however, they face sleep-related problems due to using internet, and feel less energetic when they don't use the internet. The results showed that most of the respondents use internet for a duration that is less than two hours, and most of them are males, and that the least percentage of respondents use internet for a duration that falls under the category: (four hours - less than 6 hours). Most of those respondents are females. Thirteen students use internet for six hours or more, and most of them are males. The results shed light on

the relationships between academic programs and opinions about using internet, where the most positive results are shown by the fourth year students, while the most negative ones are shown by the first year students.

The researcher offered a set of recommendations

Keywords: Internet, University Students, Behaviors.

تأثير استخدام الإنترنت على سلوك الطلبة الملتحقين بالجامعة الأردنية

نسرين نبيل عطية[١]

(١) محاضر، قسم العمل الاجتماعي، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.

ملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على أثر استخدام الإنترنت على طلبة البكالوريوس في الجامعة الأردنية في المجالات السلوكية. كما هدفت إلى التعرف على أثر استخدام الإنترنت على الطلبة من حيث العلاقات الاجتماعية والأسرية. بالإضافة إلى ذلك، هدفت إلى استكشاف الآثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الإنترنت على الطلاب. واعتمدت الباحثة المنهج القائم على المسح الاجتماعي واختيار العينة العشوائية. تكونت عينة الدراسة من خمسين (٥٠) طالباً وطالبة من الملتحقين بالجامعة الأردنية. وقد صممت الباحثة استبانة لتحقيق هدف الدراسة. يتكون الاستطلاع من ستة عشر(١٦) عنصراً. ويستهدف مجالين هما: أثر استخدام الإنترنت في المجالات الاجتماعية، وأثر استخدام الإنترنت في المجالات النفسية، وألقت بعض النتائج الضوء على أثر استخدام الإنترنت على طلاب الجامعة في النواحي الاجتماعية، وبناء على النتائج الأخيرة فإن القيمة الأعلى تعود إلى الفقرة التي تشير إلى أن الإنترنت يستخدم من قبل أفراد العينة كوسيلة للهروب من المشكلات والتخلص من التوتر، وأظهر أفراد العينة الإهمال في القيام بالواجبات الأسرية من أجل استخدام الإنترنت، ويجدون صعوبة في الامتناع عن استخدام الإنترنت، فهم يقضون وقتاً أطول في التحدث مع الأصدقاء والأقارب عبر الإنترنت أكثر من التحدث معهم وجهاً لوجه، وألقت بعض النتائج الضوء على أثر استخدام الإنترنت على طلبة الجامعة في الجوانب النفسية، وبناءً على النتائج الأخيرة فإن الإنترنت وسيلة للهروب من المشاكل والتخلص من التوتر، يشعر أفراد العينة بالثقة بالنفس عند استخدام الإنترنت والتواصل مع الآخرين، ويواجهون مشاكل متعلقة بالنوم بسبب استخدام الإنترنت، ويشعرون بأنهم أقل نشاطًا عندما لا يستخدمون الإنترنت، وأظهرت النتائج أن معظم أفراد العينة يستخدمون الإنترنت لمدة تقل عن الساعتين، ومعظم هؤلاء المجيبين هم من الذكور، وأقل نسبة من أفراد العينة يستخدمون الإنترنت لمدة تقع تحت فئة:

(أربع ساعات – أقل من ٦ ساعات)، معظم هؤلاء المستجيبين هم من الإناث، ويستخدم ثلاثة عشر (١٣) طالباً الإنترنت لمدة ست ساعات أو أكثر، ومعظم هؤلاء المجيبين هم من الذكور. وألقت النتائج الضوء على العلاقات بين البرامج الأكاديمية والآراء حول استخدام الإنترنت، حيث النتائج الأكثر إيجابية تظهر من قبل طلاب السنة الرابعة، والنتائج الأكثر سلبية تظهر من قبل طلاب السنة الأولى.

وقدمت الباحثة مجموعة من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: الإنترنت، طلاب الجامعة، سلوكيات.

Introduction:

Internet affected all categories of people in society, especially students. It became available in all places to facilitate its use and make it accessible for all. It can be surfed through using cellular devices. It is characterized by its comprehensiveness and breadth. It led to making radical changes to various aspects of life.

Internet is "a group of interconnected computer networks. These networks may be Local Area Networks (LAN), which refer to a group of computers close to each other and share physical equipment such as (printers). They may be wide area networks (WAN) which refer to a group of computers connected together through cables, telephone lines, high-speed data lines, or satellites, and sharing the same physical and information resources. (Al-Qadi et al., 2000)(Cited in Awwad 2006, p. 1).

Internet offer many services, including the e-mail service, chatting, discussion group service, entertainment, information search service, and etc… Those services affect individuals, especially young people. Some of the services offered via Internet suitable for life and human needs. Hence, the use of Internet requires being careful, having objective and systematic follow-up on the part of everyone. (Hamdan, 2006).

Al-Farah (2004) (cited in Awwad, 2006)) adds that Internet addiction can be defined as an excessive attachment to Internet, the compulsive desire to use it, and

a feeling of poor ability to self-control, which results in the emergence of symptoms including a low level of productivity, and disturbed social and psychological relationships.” neglect of domestic responsibilities and social isolation Despite the positive impact of Internet on youth, who represent the most groups interacting with it, which includes the development of means of communication and raising their efficiency and effectiveness, and in facilitating the processes of human communication in societies, and in terms of interactivity in the exchange of information, and the mobility in transferring communication from one place to another easily, and the prevalence and spread In global societies, and among the advantages of the services they provide in terms of educational means and increasing their importance, increasing education and knowledge, ease of communication with parents and others, spending free time and not feeling bored, following the news and everything that happens easily, saving the cost of communication through the phone, especially with parents and expatriates In addition to knowing what is happening all over the world in terms of political and sports news, and the ability to browse all newspapers and news sites easily, communicate with friends at workplace and outside the workplace, obtain information about personal development, and make new friends through joining forums, and chat rooms and playing games.

Despite the positive impacts of using internet, such use has negative impacts on various aspects of life. Such use led to the emergence of problems and disturbances that affects various aspects of life. It contains many bad sites that promote pornography. It has serious negative impact on raising up children. It contributed the increase of crime rate on a large scale. It may be used by drug and arms dealers and other terrorists to meeting their goals (Al-Shamayleh, 2006).

The disadvantages of using Internet include the absence of the sense of time while using it, facing the probability of exposure to harassment and getting influenced by some bad ideas, including the ideas of political or religious extremists. People can’t eliminate such negative impacts. However, they can identify their effects on university students in terms of social relationships.

Statement of the Problem:

Information and communication technology (ICT) led to major effects in various societies. It has been spreading much and became prevalent in all societies amongst various age groups. It facilitates creating social relations, and the engagement in entertainment activities. It has impacts on the behavior and social, family and psychological relationships of youth. The present study aimed to shed a light on this issue through identifying the impact of using Internet on the behaviors of Jordanian university students.

The problem of the study is represented in the question below:

– What is the effect of using Internet on the behavior of the students enrolled in the University of Jordan?

The Study's Questions:

The present study aimed to answer the questions that are shown below:

1- What is the impact of using Internet on the behavior of university students in terms of social aspects?
2- What is the impact of using Internet on the behavior of university students in terms of psychological aspects?
3- What is the relationship between gender and the number of hours spent on using Internet?
4- What is the relationship between university year and attitudes towards the impact of using Internet?

Significance of the Study:

The present study is significant, because it sheds a light on an important and modern topic. This topic is represented in the impact of Internet use on students in behavioral, The present study is significant because this topic has been receiving much attention by sociologists. It is significant because it allows one to understand the extent of change that occurred to people's behavior due to use the internet.

The importance of the study stems from the importance of the researched category, which is university students, and the importance of studying the impact of the Internet on the social relations of university students in terms of (social, family and psychological change), and determining the negative effects of using the Internet on the individual and society. The present study is significant, because it encourages researchers to conduct similar studies. It is significant because it provides organizations and specialists with useful information that can be used to activate the role of social media in making positive changes in society. *It is significant, because its results can be used to launch awareness-raising programs about the pros and cons of social media.*

Objectives of the Study:

The researcher of the present study aimed at:

1- Identifying the effect of using Internet on the behavior of the students enrolled at the University of Jordan in terms of social aspects
2- Identifying the effect of using Internet on the behavior of the students enrolled at the University of Jordan in terms of psychological aspects
3- Exploring the relationship between gender and the number of hours of Internet use.
4- Exploring the relationship between the university year and the opinion of the effect of using Internet.

Definition of Terms:

Behavior: Abu Gharaibeh (2006, p. 69) defines behavior as “a type of activity that a person performs and can be observed, whether by means of measurement or through external observation.” It is also defined as "the total psychological, physical, motor, physiological and verbal activity emanating from a person while interacting with and interacting with his environment."

Internet: It is an invisible electronic world that spreads around science. It emerged in Japan. Then, it spread in the Far East and ending with Americans in the West. It consists of individuals and groups gathered around their computers.

Those individuals and groups benefit from the vast and diverse sources of information and exchange knowledge and expertise through communicating with each other with multiple search machines that are available to all families, children and academics. (Hamdan, 2006).

The social relationship: Al-Bandari (2003) (cited in Sari, 2005)) defines it as “a picture that depicts the social interaction between two or more parties, so that each party has an image of the other, which affects negatively or positively on the judgment of each of them for the other, and from pictures These relationships: friendship, family and kinship ties, business associates, acquaintances or friends, and solitude’’

Social relationship (operational definition): It refers to the relationships that surround the individual and without which he cannot continue, namely the family, then relatives, and friends.

University students: They refer to the students enrolled in the BA program at the University of Jordan. They were enrolled during the first semester of the academic year 2022-2023.

Theoretical framework:

Internet

The early beginnings of Internet go back to 1969 under the name ARPANET in the United States of America. Internet was used by the Ministry of Defense. It was designed to support military research in this ministry and witnessed a set of transformations to eventually become an international communications network. (Abdul-Hadi, 1996) (cited in Al-Latif and Al-Majeed, 2003, p. 16).

The National Science Authority assumed supervision of the main network of Internet in 1986, then the supervision shifted to the private sector in April, 1995. Commercial services were provided for the first time on the network, and in the same year the number of networks connected to Internet was estimated at about five thousand networks, and the number of computers connected to Internet reached to ten million computers approximately. This number increased. In 2000,

it reached ninety-three million computers. (Al-Bandari, 2003) (cited in Al-Latif and Al-Majeed, 2003).

Dimaggio (2001) (cited in Sari, 2005) defines that Internet "is that electronic network consisting of a group of networks that connect people and information through computers and digital devices, allowing communication between one person and another, and allowing the retrieval of this information."

The educational activities via Internet (Al-Latif and Al-Majid (2003) include:

1- Acquiring information from all over the world.
2- Communicating and exchanging information

The use of Internet has several advantages. Such advantages include: offering flexibility in terms of time and place. They include: offering the possibility of reaching a larger number of audiences around the world. They include offering the ability to develop programs fast. They include: facilitating the development of curricula and reduction in the material costs.

The benefits and dangers of Internet, as indicated by Hamdan (2006):

These benefits are summarized as follows:

1- Access to vast and rich sources of information that are often unavailable to some people.
2- Provides hot information (that is, that appeared at the last moment).
3- Enable individuals to develop their abilities to understand and evaluate the validity of information.
4- Provide individuals with enjoyable recreational opportunities.
5- Provide individuals with opportunities to learn new and useful skills.

As for its disadvantages of using Internet (Hamdan, 2006), they include: the following

1- Internet makes it easier for individuals to find porn sites.
2- Internet facilitates the creation of sites that promote hatred, violence, drugs and fanaticism.
3- Internet sometimes offer incorrect information.
4- Internet include harmful commercial ads (such as alcohol and cigarette ads).

5- Internet facilities the access to games that includes violent content and extremist ideas.

Internet and Social Interaction

Social interaction refers to cognitive processes, feelings, and behaviors that take place between the connected parties. Through social interaction, parties exchange messages with each other in a specific social situation in time and space, and the behavior of each party is an alarm for the behavior of the other party. (Sari, 2005). Communication via Internet has brought about a tangible change in the nature of family and family interaction. It led to having a decline in the amount of time spent by young people sitting, talking and interacting with their families.

Internet and psychological dimensions

The role played by Internet in the process of building and shaping a person's self in modern societies, in which reliance on the use of Internet has increased in an unprecedented way, and one of the most problematic issues is the issue of linking self-building through Internet with self-satisfaction and increasing self-confidence. Internet has been playing vital roles in the psychological lives of young people. It boosted their self-confidence. It helped them in identifying themselves and talking about their psychological and social problems that disturb them and cause them psychological distress (Sari, 2005).

Human Behaviour

Human behavior refers to all kinds of activities that are carried by one while interacting with the environment, his familiarity with it, and his upbringing in it, which are the actions and reactions between individuals residing in an appointed society, and it is the basic means of communication between them, and human behavior is affected by many factors, including what is inherited, and what is instinctive The instinctive is a reflex of what is learned. (Abu Gharaibeh, 2006).

The classifications of human behavior (Abu Gharaibeh (2006) include:

1- Inherited behavior (hidden or not apparent): It refers to all the permanent actions that are carried out by one without having an external influence. One organ or several ones engage in carrying out this behavior in the aim of stressing the whole body. It is called internal behavior.
2- Instinctive behavior: It is the type of behavior that is carried out to meet a strong innate motive in order to preserve the whole entity, and orders interfere with it, such as fighting when angry and fleeing when afraid.
3- Reflexive behavior: It is an apparent behavior. It requires having previous experiences. It’s carried by a person who is going through the experience. It mostly occurs without will, such as: withdrawing the hand when seeing fire and screaming when feeling pain.
4- Procedural behavior: This behavior is as close as possible to involuntary behavior, except that it does not respond to specific stimuli in the environment. According to the results of this behavior and this behavior is affected in turn by those variables, especially those that occur in the behavior.

Previous Studies:

Despite the importance of Internet, it has been spreading much. It has positive and negative impacts on the individual and society in various aspects (e.g. family-related aspects, and social, psychological, and behavioral aspects). However, the studies in Arabic language are still scarce in terms of dealing with the phenomenon of using Internet and standing on its effects. However, some studies have been conducted on the use of Internet by young people and university students. Some studies related to the subject will be mentioned.

Saud Al-Anazi (2010) conducted a study entitled "The Educational and Social Effects of Internet Uses from the Perspective of High School Students, Their Teachers and Parents in the Kingdom of Saudi Arabia."the study aimed at the educational effects of the uses of the study in the viewpoint of high school students in Saudi Arabia, where a questionnaire was built.

The population includes all (students, parents, and teachers). The sample includes 15 males and 15 females. It was found that students' use of Internet has social effects on students to a moderate degree, whether from their point of view or from the point of view of parents and teachers. It was found that there are educational effects for Internet, as the general arithmetic mean of your positive responses to this field was (3.67), and also the effect of Internet on the dimension of "thinking and research methods." The students ranked first from their point of view, with a high arithmetic average of (3.82). It was found that the students were very interested in the scientific research component via Internet. Their children's use of Internet helps them to acquire learning skills through play-learning programs, and teachers believe with a high degree of (3.37) that Internet has positive effects on the teaching and learning process, the results showed that the psychological dimension was affected to a moderate degree by students as a result of using Internet, and that Internet helps them escape from psychological problems, either from the cultural aspect and ways of thinking and research have no influence from the use of Internet.

Fayez Al-Majali (2007) conducted a study that is entitled as follows: "Use of Internet and its impact on the social relations of university youth: a field study." He chose a sample consisting from (325) male and female students. Those students were chosen from Mutah University, and foreign students. It was found that 11.4% of the students strongly agree that they feel that their interaction, sitting, and conversation with their family members started to decrease due to using Internet. 4.9% of the students strongly agree with that, 11.7% of the students agree with that, and with regard to the respondents' feeling that their visits to their relatives It has begun to become less than it was in the past due to their preoccupation with Internet, with 1.8% of the sampled individuals strongly agreeing with it. The results showed that the effect of using Internet on relationships the social impact of university youth among the study sample increases among males and among students of scientific faculties. The effect also increases with the decrease in the academic level of students. It increases with the decrease in age. It increases with the increase in the family monthly income.

Iman Al-Shamayleh (2006) conducted a study entitled: "Measurement of the social effects of the use of Internet by Jordanian university students." They aimed to build a measure of the social effects of the use of Internet by students in Jordanian universities. They aimed to monitor the positive and negative effects of using Internet. All Jordanian private and public universities were targeted. The scale was applied to obtain data from the sample that consists of (2355) male and female students. Those students were chosen from eight public and private universities.

It was found that Internet use negatively affects students to a small degree in the areas of customs, traditions, religious, and morals. It was found that the effect was moderately negative in the psychological field, and showed its effect on young people through their escape to the use of Internet to escape from the difficult reality that some of them live with, including problems and challenges in daily life. and it also showed that the effect was negative to a small extent on The field of Internet addiction, The results showed that the impact of Internet was largely positive in the cultural and scientific field.

Nermin Awad (2006) conducted a study entitled as follows "The Relationship of Personality Style and Emotional Intelligence with Internet Addiction." The study aimed to identify whether the variables of the student's gender, his description, the educational level of the parents, and the adolescent's functional level predict the phenomenon of addiction to the Internet, and to identify which of the activities practiced by the adolescent on the Internet can predict the phenomenon of addiction to the Internet, and to know the percentage of adolescents addicted to the Internet, the sample was selected In an intentional way, students from private schools in Amman, She chose a sample consisting from (1130) male and female students. They were chosen from several private schools located in Amman. It was found that the percentage of Internet addicts reached 13.3% which is a high percentage. There is a relationship between personality style and addiction to Internet. It was found that the level of emotional intelligence among adolescents who are not addicted to Internet is higher than the counterpart level among adolescents addicted to Internet. It was found that the ones who use Internet frequently have less emotional intelligence and have a lack of emotional and social skills. It was found that the

percentage of males is 103 of the total number of individuals addicted to Internet, compared to 47 of them were females, and it was found that the effect of using Internet on their academic achievement was that 44.7% of students addicted to Internet had achievement rates of 80% or more, and 58% of adolescents who were not addicted to Internet had averages of 80% And more, and the results showed that e-mail activity, conversation activity, gaming activities, listening to songs and watching movies predict the phenomenon of Internet addiction.

The study of Amjad Abu Jeddi (2004) showed, “The effect of social anxiety, loneliness, and self-disclosure on Internet addiction, The study aimed to identify the impact of social anxiety, loneliness, and self-disclosure on Internet addiction, and to determine the amount of discrepancy that explains the variables of gender, college, and online activities. and psychology of addicts, The number of the sample was (799) male and female students who used the Internet at the University of Jordan in a random manner. The results showed that the variable of self-disclosure on the Internet is one of the most influential variables in the development of Internet addiction, and individuals who use the Internet for the purposes of self-disclosure will tend to repeat the use of the Internet in the future because it Contributes to finding the individual's perceptions that the Internet is an appropriate means for expressing desires and feelings, and the results indicated that social anxiety does not affect the level of self-disclosure on the Internet, as it affects Internet addiction independently of self-disclosure, It also indicated that there is a positively low correlation between self-disclosure in reality and self-disclosure on the Internet. The results indicated that (9.5%) of the respondents met the Internet addiction criteria. Most of the addicted individuals are males and students of scientific colleges. The study indicated that the average number of hours The use of the Internet ranged between (10) per week, and the results showed that the level of social anxiety, loneliness, and self-disclosure on the Internet is higher for Internet addicts.

As for the study of Oroub Al-Nimrat (2002),it is entitled as follows: "The relationship between Internet use and depression among a sample of students from Yarmouk University and Jordanian Science and Technology." It aimed to examine

the relationship between the use of the Internet and depression among students and to identify potential differences in depression resulting from the variation in the duration of Internet use and the student's gender and specialization. The latter researcher chose a sample that consists from (500) male and female students (276 males and 224 females). Those students used Internet from various disciplines. It was found that the percentage of depression among students was high. 41% of the students suffer from severe or very severe levels of depression. It was found that Internet has changed some of the habits of its users. Some students left their homes. Some students refrained from doing their duties due to spending long hours day and night on Internet. Internet led to disturbances in the relations between parents and their children, as well as the modest economic conditions that may lead to an increase in feelings of frustration, helplessness and tension, Its impact also appeared at the expense of their studies, the decline in academic status, and the change in student study habits.

Commentary on previous studies

The goal sought from reviewing the aforementioned studies is represented in shedding a light on methodological and theoretical issues. The previous studies indicate that Internet affected people’s lives in various many aspects (including social and psychological aspects). Some previous studies focused on the impact of using Internet in psychological aspect, such as: the studies of Tigers (2002), Awwad (2006), The other studies focused on the social impact and social relations, such as the studies of Al-Majali (2007), Shamayleh (2006), and Al-Anazi (2010). The previous studies were used to address the study’s problem and meet the study’s goal.

As for the present study, it differs from the other previous studies in terms of studying the important topic. It sheds a light on the effect of using Internet on the behavior of the students enrolled at the University of Jordan in a comprehensive manner. It shed a light on the extent to which the results produced by the use ofInternet affected students, and specifically on behaviors, family relations and the daily life cycle.

Methodology:

The researcher of the present study adopted the sample social survey approach. This approach is suitable for meeting the goals of the present study. This approach is a descriptive approach. It is not used only for data collection and classification. In fact, it is used for obtaining data through a questionnaire.

The Study's Population:

The study's population consists of male and female students BA students enrolled at the University of Jordan. Those students were enrolled in this university during the first semester of the academic year 2022-2023. They include first, second, third and fourth year students.

The Study's Sample:

The sample in the present study was chosen from the study's population. It represents the population. It was chosen based on the characteristics and size of the study's population. The researcher of the present study used the random sampling method. After passing the questionnaire forms to the population, (80)questionnaire forms were retrieved. 30 questionnaire forms of theretrieved forms were excluded because they aren't valid for analysis. Thus, the final sample consists of (50) individuals enrolled at the University of Jordan. When selecting the sample, gender, type of college, and housing pattern were taken into consideration. In addition, the family economic status was also taken into consideration when choosing the sample.

Data Collection Instrument:

To meet the objectives of the study and answer the study's questions; a questionnaire was designed. It sheds a light on the impact of using Internet on the behavior of the students enrolled at the University of Jordan.

The study's instrument was developed consists of two parts. The first is related to the demographic data (i.e. gender, place of residence, type of college, academic

level and economic status of the family). As for the second section, it employs the five-point Likert scale. It consists of (17) items. In addition, it includes some questions that are related to the opinions of male and female students.

Results and Analysis:

First: The general characteristics of the study's sample

1. **Gender**

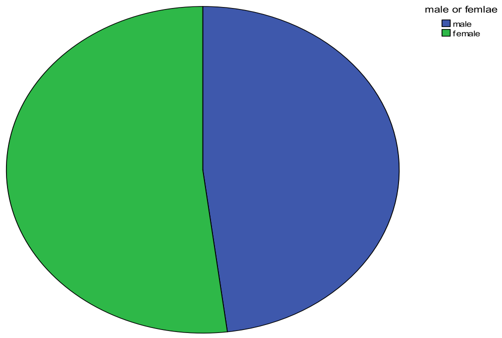

Figure 1: The distribution of the study's sample in accordance with gender

Figure No. (1) shows the distribution of the study's sample in accordance with gender. The highest percentage is(52%) which represents females. 48% of the respondents are males. There are 24 males in the sample. There are 26 females in the sample.

2. **College**

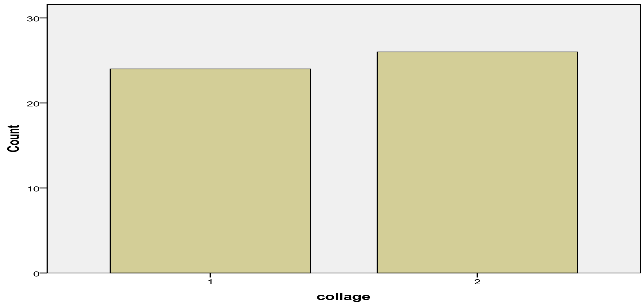

Figure 2: The distribution of the study's sample in accordance with college

Figure No. (2) shows the distribution of the study's sample in accordance with college. 52% of the respondents were chosen from the scientific colleges. 48% of the respondents were chosen from human colleges. 24 students are from humanities colleges and 26 students are from scientificcolleges.

Where this result agreed with the result of Fayez Al-Majali (2007), Where he indicated that the effect of using the Internet on social relations increases among students of scientific faculties.

And agreed with the result of Amjad Abu Jedi (2004), that most of the individuals addicted to the Internet are students of scientific colleges.

3. University year

Table No. (1): The distribution of the study's sample in accordance with university year

Year	Number	Percentage
First year	14	28%
Second year	13	26%
Third year	9	18%
Fourth year or more	14	28%
Total	50	100%

Based on table No. (1), the highest percentages of the study's sample are represented in the percentages of the first year level and the fourth year or more (28% and 28% respectively). Second year students represent (26%) of the sample. Third year students represent (18%). %).

4. The distribution of the study's sample in accordance with the economic situation of the family

Table No. (2): The distribution of the study's sample in accordance with the economic status of the family

The economic situation of the family	Number	Percentage
Poor	11	22%
Average	26	52%
Excellent	13	26%
Total	50%	100%

The data of Table No. (2) shows the distribution of the study's sample in accordance with the economic status of the family. The highest percentageis (52%). It represents the ones with average family economic status. (26%) of the respondents show excellent family economic status. (22%) of the respondents show poor family economic status.

Where Fayez Al-Majali (2007) explained the increase of Internet use on social relations The researcher explains that the higher the income, the greater the ability of individuals to purchase larger internet packages, which makes the individual constantly connected with his social relationships.

Second: The impact of using Internet on the students' behavior.

1. **Answers to a trend scale**

Table No. (3): The relative distribution of the respondents' answers to the paragraphs of the measure of the impact of the use of Internetin terms of social aspects

No.	Paragraph	Totally Agree %	agree %	Neutral %	Opposite %	Vehemently opposed %
1	I waste the time dedicated for studying in using the internet	12	7	13	13	5
2	I tend to talk about Internet while spending time with my family	15	7	11	9	8
3	I refrain from doing some family-related duties in order to use Internet	17	6	12	11	4
4	Internet has negative impact on my academic achievement	11	7	11	12	9
5	I face family problems due to using Internet much	15	10	10	11	4
6	I find it difficult to stop using Internet	18	2	11	11	8
7	Internet helped me to become more sociable	15	9	13	11	2
8	I spend more time on talking with my friends and relatives online than talking to them face to face	18	5	9	13	5
9	I use Internet longer than I plan to	11	7	15	11	6
10	I changed some things in my lifestyle in order to have time to use Internet	16	10	9	7	8

The data of table No. (3) presents the proportional distribution for the respondents’ answers in accordance with the items of the scale. This scale sheds a light on the impact of using Internet on university students in the social areas. It

can be noticed that item No. 8 and item No. 6 show the highest means. Those items indicate that the respondents face difficulty in refraining from using Internet. They suggest that respondents spend more time talking to friends and relatives through Internet than talking to them face to face. The percentage of each item of the latter items is 18 %

The researcher attribute this result to having much free time. Having much free time shall lead to addicting the use of Internet and becoming incapable to stop using it. This result is not in agreement with the one found by Alshmayleh (2006). The latter researcher found that the severity of the negative impact of using Internet - in terms of using Internet addiction - is low. The researcher of the present study attribute such disagreement to the difference between the studies in terms of time of conducting each study. To be specific, the present study was conducted in 2022, whereas the study of Alshmayleh (2006) was conducted in 2006. The use of Internet during the latter year was limited in comparison to the prior year. In 2022, Internet became available for more people. In the latter year, students' addiction to using Internet increased, especially after facing the Coronavirus pandemic, and the prevalence of social media. It increased after relying on Internet in the light of the critical epidemiological circumstances and using it in numerous areas.

The result is in agreement with the result found by Nermin Awad (2006). The latter researcher found that the percentage of Internet addicts is high. The result is in agreement with the result found by Jeddi (2004). The latter researcher found that self-revelation is considered the variable that affects the development of Internet addiction the most. He found that the ones who use Internet for meeting self-revelation-related goals are more likely to repeat using Internet in the future. That is because using Internet serves as an appropriate mean for those people to express their feelings and desires. The same result was reached in the present study.

The disadvantages of this addiction among students include: facing family problems, and suffering from depression and social isolation.

The result is in agreement with the result reached by Fayez Almajali (2007).

The latter researcher found that the respondents believe that their interaction, face-to-face communication and conversation with their family members became less when they started using Internet. The same is confirmed by Sari (2005). The latter researcher found that online communication made significant changes to the nature of family interaction. He found that such changes manifests in the reduction of the amount of time spent by youth in sitting with their family members, talking to them and interacting with them.

This result can be attributed to the fact that people became busy. It can be attributed to the easiness of talking with relatives and friends online than talking with them face to face. It is considered as a logical and accepted result. That is because the members of the sample reside in the same social environment in which technology is available much. Technology is considered today one of the living requirements for families. It is used by families to meet their goals. Internet is considered as a tool for getting rid of stress by youth. It is a tool for getting rid of family constraints, controls and restrictions on their freedom of expression.

The percentage of item No. (3) is 17 %. It indicates that the respondents show negligence in doing family duties in order to use Internet. The researcher attribute this result to the respondents' reliance on others, carelessness and poor sense of responsibility.

Item No. (4) shows the least percentage which is (9 %). It suggests that using Internet negatively affects one's academic achievement. The result in this regard can be attributed to achieving a balance by the respondents between using Internet and studying. It is not in agreement with the result reached by Nermin Awad (2006). The latter researcher found that using Internet negatively affects one's academic achievement. The result in this regard is not in agreement with the result reached by Oroob Alnemrat (2002). The latter researcher found that using Internet negatively affects students' academic achievement and studying habits.

The percentage of item No. 10 and item No. 2 is 8% which falls under strongly disagree. Those items suggest that respondents like to talk about Internet while spending time with the family. The researcher attributes this result to

having mutual trust and healthy communication between the family members. She attributes this result to the absence of excess attachment to the use of Internet. She attributes this result to facing a difficulty by the respondents in refraining from using Internet. She attributes this result to having a need to change part of the respondents’ life styles.

Table No. (4): The relative distribution of the respondents' answers on the paragraphs of measuring the effect of using Internetin terms of psychological aspects

No.	Paragraph	Totally Agree %	agree %	Neutral %	Opposite %	Vehemently opposed %
11	**I feel depressed and angry when I don't use Internet**	14	9	10	10	7
12	**I have a different personality while using Internet**	15	11	9	12	3
13	**Internet is a way to escape from the problems and stress that I face**	23	7	8	7	5
14	**I feel confident when using Internet to communicate with others**	16	10	13	8	3
15	**I have troubles in sleeping due to using Internet**	16	7	9	11	7
16	**I am less active and effective when I am not using Internet**	16	9	12	8	5

The data of Table No. (4) presents the relative distribution of the respondents’ answers to the paragraphs of the measure of the impact of Internet on university students from a psychological point of view. The highest degree of approval was on Paragraph No. (13), which indicates that Internet is a means of escaping from the problems and pressures that surround them, as it reached the percentage of

answers strongly agree with 23%, followed by paragraphs No. (14, 15, 16) with a response rate of 16%, which indicated a feeling of confidence when using Internet and communicating with others, facing sleep problems due to use, and a feeling of less activity and effectiveness when it is not done. Internet use.

The researcher explains that it indicates the students' lack of confidence in those around them and their fear of their parents' reactions by making their decisions to solve the problems they face.

The result is in agreement with the one found by So’oud Alanzi (2010). The latter researcher found that the psychological areas of students are affected by the use of Internet. He found that using Internet allows students to run away from psychological problems and get rid of stress.

As for the lowest approval scores, they were on paragraphs No. (13, 16) with a strongly opposed response rate of (5%). They refer to Internet as a way to escape from the problems and pressures that surround them, and to feel less active and effective when not using Internet, followed by paragraphs No. (12, 14) Strongly opposed responses amounted to (3%) and indicate showing a non-real personality when using Internet, and feeling confident when communicating with others through Internet

The same result was found by Sari (2005). The latter researcher found that Internet plays a crucial positive role in the lives of youth. He found that using Internet raised their self-confidence levels of the respondents and enabled them to express themselves. He found that using Internet enabled the respondents to talk about their social and psychological problems that annoy them and cause feelings of distress.

Does the use of Internet have an impact on the psychological areas?

To check the validity of the first sub-hypothesis, the simple linear regression analysis was conducted. The latter analysis was conducted to identify the impact of using Internet on the psychological areas. The results of the latter analysis are shown below

Table (5): The results of the simple linear regression analysis representing the impact of using Internet on the psychological areas

The dependent variable	The Model summary		Analysis of Variance (ANOVA)			The coefficient values					
	Correlation coefficient (R)	Coefficient of determination (R2)	Calculated f value	Degree of freedom (df)	Sig. F	Statement	B	Standard error	Beta	Calculated t value	Sig t
The psychological areas	.676	.458	40.482	1	.000	Constant	1.671	.315		5.311	.000
						Use of internet	0.757	0.119	.676	6.363	0.00

Based on the results, it was found that using Internet has a statistically significant impact on the psychological areas of the respondents. That is because the correlation coefficient value is (R= 0.676). That indicates that three is a statistically significant correlation between the independent variable (the use of Internet) and the dependent variable (the psychological areas). The determination coefficient value (R2) is 0.458. That means that 45.8 % of the changes to the psychological areas can be attributed to the use of Internet. As for the other changes to the psychological areas, they can be attributed to other variables. The F value is 40.482 at the significance value is 0.00. That means that the correlation is significant at the statistical significance level of (a < 0.05).

Based on the coefficient values in the aforementioned table, the B value of using Internet is 0.757. The t value is 6.363 and the significance value is 0.00. That means that the impact of this variable is significant

Does the use of Internet have an impact on the social areas?

To check the validity of the second sub-hypothesis, the simple linear regression analysis was conducted. The latter analysis was conducted to identify the impact of using Internet on the social areas. The results of the latter analysis are shown below

Table (6): The results of the simple linear regression analysis representing the impact of using Internet on the social areas

The dependent variable	The Model summary		Analysis of Variance (ANOVA)			The coefficient values					
	Correlation coefficient (R)	Coefficient of determination (R2)	Calculated f value	Degree of freedom (df)	Sig. F	Statement	B	Standard error	Beta	Calculated t value	Sig t
The social areas	.695	.483	44.837	1	.000	Constant	1.424	.310		4.586	.000
							.786	.117	.695	6.696	.000

Based on the results, it was found that using Internet has a statistically significant impact on the social areas of the respondents. That is because the correlation coefficient value is (R= 0.695). That indicates that three is a statistically significant correlation between the independent variable (the use of Internet) and the dependent variable (the social areas). The determination coefficient value (R2) is 0.483. That means that 48.3% of the changes to the social areas can be attributed to the use of Internet. As for the other changes to the social areas, they can be attributed to other variables. The F value is 44.837 at the significance value is 0.00. That means that the correlation is significant at the statistical significance level of (a < 0.05).

Based on the coefficient values in the aforementioned table, the B value of using Internet is 0.786. The t value is 6.696 and the significance value is 0.00. That means that the impact of this variable is significant

2. How to learn to use Internet

Table No. (7) The relative distribution of the study sample according to how they learn to use Internet

The way in which the respondent learnt how to use Internet	NO.	Percentage
A training course	11	22%
A sibling	6	12%
A friend	14	28%
A parent	9	18%
Self-education	10	20%
Total	50	100%

The data of Table No. (7) shows the relative distribution of the study sample according to how they learn to use Internet. It should be noted that the highest percentage of them (28%) answered that they learnt how to useInternet through a friend, then the percentage of those who learned through themselves was 20%, while the percentage of those who learned The percentage of those who used Internet through one of the parents was 18%, and the percentage of 12% who learned through one of the siblings.

3. The number of hours spent on using Internet

Table No. (8) The relative distribution of the study sample according to the number of hours spent on using Internet

The number of hours spent on using Internet	No.	Percentage
Less than two hours	18	36%
2 hours - less than 4 hours	8	16%
From 4 to less than 6 hours	12	24%
6 hours or more	12	24%
Total	50	100%

Table No. (8) presents the number of hours spent by students on using Internet. Itshows that the highest percentage of the respondents (36%) spend less than two hours on using Internet. 24% of the respondents spend 5 hours or less on using Internet 24%of the respondents spend 6 hours and more. 16% of the respondents spend (2 hours –less than 4 hours) on using Internet.

The researcher indicated that the number of contact hours may reduce personal contact with family and friends, which leads to poor social relations with others.

4. The relationship between gender and the number of hours spent on using Internet

Table No. (7) shows the relationship between gender and the number of hours spent on using Internet.

Total	The number of hours spent using Internet				Gender
	6 hours or more	From 4 to less than 6 hours	2 hours - less than 4 hours	Less than two hours	
24	9	5	1	9	Male
26	4	7	7	8	Female
50	13	12	8	17	Total

It is clear from the above table that the most hours of using Internet for a period of less than two hours ranged from 17 male and female students, and the majority of them used males than females, while the least number of use was for hours ranging from 4 hours to less than 6 hours, whose number ranged from 12 male and female students, most of whom were females. The number of students who used hours ranging from 6 hours or more was 13 male and female students, and most of them were males.

It agreed with the result of Fayez Al-Majali (2007) that the impact of Internet use on the social relations of university youth from the study sample

increases among males. It agreed with the conclusion of Amjad Abu Jeddi (2004), that most Internet addicts are male.

5. The relationship between university year and opinion about the impact of Internet use.

Table No. (8): The relationship between university year and the opinion about the impact of Internet use

Total	Internet effect		University year
	Negative	Positive	
14	9	5	first year
13	7	6	Second Year
9	2	7	third year
14	5	9	Fourth year or more
50	23	27	Total

The above table offers data about the relationship between the university year and opinion on the effect of using Internet. The highest positive approval ratings were 9 from the fourth year students, followed by 7 from the third year students, then followed by the second year students and their number ranged from 6 students, and the answer was 5 from First year students also agree.

On the other hand, the number of positive responses with a negative effect ranged from 9 from the first year students, followed by the second year students, whose number ranged from 7 students, then followed by 5 from the fourth year students or more, and the least negative response from the third year students, whose number was two students.

Where this result agreed with the result of Fayez Al-Majal (2007), for Internet activities on social relations, social, first rank, happiness, academic level of students, and less age.

Conclusion

The researcher of the present study knows that Internet has characteristics and communication advantages that one can’t find them in other means. That makes young people accepts using Internet. However, the use of Internet affected young people and their families and social environment.

The most important thing that the results discovered is that it is the highest degree of approval, which indicates that Internet is a means of escaping from the problems and pressures that surround them, followed by an answer rate of (17%), and it indicates neglecting family duties in order to use Internet. As for the lowest approval scores, with a strong opposition response rate of (5%). That indicates that Internet is a way to escape from the problems and stress that surround students. It indicates that the non-use of Internet makes active and effective. (3%) of students show another personality while using Internet. Unreal when using Internet, and to feel confident when communicating with others through Internet.

Finally, it can be said that the use of Internet as an advanced means of communication, however, has negative and positive effects on the youth group, which is reflected in behaviors, social and psychological relationships, and the inability to control these negatives, but we cannot dispense with the positives of this use on some students who have Control how they use this method without affecting their relationships inside and outside the family.

Recommendations

Based on the aforementioned results, the researcher of the present study recommends:

1- Conducting more studies about Internet and its impact on youth. Those studies should be conducted by specialized centers. The researcher of the present study recommends conducting more studies about the increase in the prevalence of using Internet

2- Promoting awareness about the effects of Internet in terms of social and behavioral aspects through various media for both parents and children.

3- Providing social workers in schools and universities with training courses to qualify and enable them to deal with the negative effects of using Internet on students.

4- Providing appropriate counseling programs for youth about the negative effects of using Internet on them.

5- Educating students at the university about the importance of Internet, and how to benefit from it from a scientific point of view, through scientific publications.

6- Conducting training courses for students on how to use Internet as a useful tool by teaching them how to choose to browse for useful and diverse information in social life and scientific studies that serve them during their studies.

References:

– Abu Gharaibeh, Sumaya. ***Behavioral Modification***, Amman: Dar Jaffa Scientific for Publishing and Distribution, p69. (2006).

– Al-Bandari, Ibrahim.***Introduction to Computers and Networks***, Cairo: Dar Al Thaqafa Al elmiah. (2003)

– Hamdan, Muhammad, ***The Family and Children with the Internet***, Damascus: Dar Al Tarbiah Al Elmiyah. (2006).

– Sari, Helmy,*Internet Culture:* ***A Study in Social Communication***, Amman: Dar Majdalawifor Publishing and Distribution. (2005).

– AL-Shamayleh, Iman. ***Social Effects Scale of the Internet Use by Jordanian University Students***, Unpublished Master's Study, Mu'tah University, Al-Karak. (2006).

– Abdel-Hadi, Zain. ***The Internet: The World on a Computer Screen***, Cairo: The International Library. (1996).

– Abu Jadi, Amjad. "***The Impact of Social Anxiety, Loneliness, and Self-Disclosure on Internet Addiction.***"PhD thesis, University of Jordan, Amman. (2004)

– Al Farah, Adnan. *Internet Addiction among Internet Café Visitors in Jordan,* **Journal of Social and Human Sciences**, Volume V, Issue 3, University of

Bahrain. (2004).

- Al-Qadi, Ziyad and Al-Qadi, Qusai and Farouk, Ali and Salem, Mahmoud and Al-Lahham, Muhammad and Majdalawi, Youssef, ***Introduction to the Internet***, Amman: Dar Safaafor Publishing and Distribution. (2002).
- Al-Latif, Wajdi and Al-Majid, Muhammad (2003). ***The Social Effects of the Internet on Youth***, Cairo: Dar Al-Mustafa for Publishing and Distribution. P.16.
- Awwad, Nermin. ***The relationship of personality type and emotional intelligence to internet addictio*n.** Unpublished PhD thesis, University of Jordan, Amman.P1 (2006).
- Al-Nimrat, Oroub. "***The relationship between Internet use and depression among a sample of students from Yarmouk University and Jordanian Science and Technology."***Master's Thesis, Yarmouk University, Irbid. (2002)
- Al-Majali, Fayez. entitled: "Internet use and its impact on the social relations of university youth: a field study." ***Al-Manara Journal for Research and Studies***, Al al-Bayt University.(2007).
- Al-Anazi, Saud. a study entitled "The Educational and Social Effects of Internet Uses from the Perspective of High School Students, Their Teachers and Their Parents in the Kingdom of Saudi Arabia. ***"Journal of the Faculty of Education,*** Ain Shams University, Egypt.(2010).
- Dimaggio p., Hargittai, E, Neuman, W., and Robinson J, (2001). ***Social Implications of the internet***, Annual Review of Sociology, Annual, 2001, PP.307-348.

Refereed Journal Articles:

Include the name of the author or authors, article title, and the name of the journal in bold, year of publication, volume and number in parentheses, pages.

Al-Hadidi, Mona; Smadi, Jamil; Khatib, Jamal, "Pressures on families of children with disabilities", Dirasat Journal (Sciences of Humanities)

34-7, (1) 21.1994.

Bleak, L. and Frederick, M. "Superstition behavior in sport levels effectiveness and determinants of use in three collegiate sports", Journal of Sport Behavior, 1998, 21 (1), 1-15.

Conferences proceedings:

Family name of the author, first name: the title of the article. Conference Name in bold, folder, place of publication, publisher, year of publication, followed by page numbers.

Abdul Rahman, Afif: "Jerusalem and its place among Muslims and a reflection of the heritage books." Third International Conference of the history of the Levant. "Volume 3, University of Jordan, Amman, .265-224, 1983.

Theses:

Family name of the author, first names: Address of thesis in bold (Master / PhD), university, country, year.

Sarhan, Sayel, "The impact of NATO expansion on the Arab national security" (Master) Al al-Bayt University, Mafraq - Jordan, 2001.

Research and all correspondence relating to the Al-Manara are sent to:

AL-Manarah Editor-in-Chief

Address: P.O.Box: 130040 Mafraq-Jordan

E-mail:manara@aabu.edu.jo

Tel: (9622) 6297000

13. Documentation: researchers should follow the Chicago Manual of Style (author-date) in documenting their manuscripts. Otherwise, they may adopt the following documentation style:

First: Documentation in the text:

1. References should be parenthetically cited in the text on the basis of the Surname, year of publication (Harazallah, 1992), and (Ghazali, al-Baghdadi, 2003). In the case of three or more authors, it is documented as: (Baghdadi et al, 2008).
2. In the case of two references of two different authors, they are to be arranged alphabetically (Smith, 2005; Roland, 2003).
3. In the case of more than one reference in the same year by the same author they should be differentiated using alphabets (Elbert, 2000a), (Elbert, 2000b).
4. In the case of textual quoting, page numbers/reference should be included (Jones, 2003, P: 65).
5. Footnotes/endnotes should be electronically organized, using font size 10. They should be kept to the minimum.
6. In referring to a verse from the Holy Qur'an, Ottoman fonts should be used, followed by the name of the Sura and number of the verse parenthetically cited (Albaqara: 252). The same is followed with the Prophet's sayings.
7. When referring to Pioneer names in the text, write the full name and the date of death parenthetically; and if the name belongs to one who is alive, the date of birth should be cited.

Second: Documentation at the end of the manuscript:

All references cited to in the text must be included in the list of references at the end of the manuscript before the indexes - if any - and organized alphabetically (a list for Arabic references and another for non-Arabic references, as follows:

Special sources

- Al-Ahadith (sayings): include the author's name, the title of the book, (year of publication), edition, publisher, place of publication, the saying, volume, and page number.

  Example: Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin al-Mughira al-Ja'fai Bukhari ,Aljami' Al-Sahih Manual of the sayings of the Prophet of Allah peace be upon him. For example: (Mohammed Zuhair bin Nasser Nasser), a book (1422 e) i 1, Dar al-hayah, Beirut, No. 6718, vol. 8, p 146.

  If repeated ibid. documentation is as follows:

  Bukhari, a former source, the saying, volume, number, and page number.
- Poetry or verses of poetry are documented by mentioning the name of the poet, prosody, and discharged sources.
- A Manuscript is documented by mentioning the full name of the author, and the full title of the manuscript, the name of the place where it is saved, the quotation referred to as version history, number of pages. The face with a statement or quotation taken from the manuscript should be included at the back paper, as well. The face is referred to as the face of the paper and abbreviated as (a) the back as (b).
- Court rulings: include the name of the court, and the decision in the Year (619/2004) in bold, and the name of the magazine, and number, and year of publication, place of publication.
- Example: discrimination rights, 383/91, the magazine of the Jordanian Lawyers' Association, p 1/3, 1993, Amman.
- Copying from newspapers: in the case of an event: the name of the newspaper, issue number, date, and place of publication should be cited (Addustour, p 9253, 13 June 1993, Oman). In the case of an article, the author's name, title of the article in bold, the name of the newspaper, and the issue number, date, and place of publication should all be incorporated (Mahmoud Darwish, The Eleven Planets, Addustour, Amman, 31 March 1993, p 1965.

Books:

Al-Nahawi, Adnan Ali Rida, Muslims between secular and human rights, second edition, Dar Al-Nahawi for publication and distribution, Riyadh, 1997.178 to 188.

Bransford J., D. and Stein B., The (IDEAL) Problem Solving, A Guide For Improving thinking, Learning, and creativity, Second Edition, New York, 1995, 100-115.

AL-MANARA FOR RESEARCH AND STUDIES

A blind peer-reviewed academic research journal issued by Al al-Bayt University

Scope

Al-Manarah is a blind peer-reviewed academic research journal issued by Al Al-Bayt University, Mafraq, Jordan, and is published by the Deanship for Academic Research at Al Al-Bayt University. The journal publishes genuine research articles and welcomes original research on current topics based on recent theoretical developments and latest international scholarship in the Arts, humanities, social & educational sciences, law, religion and theology, business and finance.

Manuscripts should be submitted in English or Arabic (other modern languages may be considered). Submitted articles will be subject to academic blind peer-review by competent referees selected by the editor-in- chief confidentially. Decisions are made by the Editorial Board based on the referees' reports.

All correspondence should be addressed to

Editor-in-Chief

AL-Manarah

P.O. Box: 130040

Mafraq-Jordan

E-mail: manara@aabu.edu.jo

Tel: (9622) 6297000

1. Publication fees: Al- Manarah charges 200 USD Once an Article is accepted for Publication.
2. By submitting their manuscripts, authors assure that their manuscripts have neither been previously published nor are being considered for publication elsewhere. However, if an author decides to withdraw his/her manuscript, they have to pay to Al Al-Bayt University all expenses incurred in processing their manuscript. Information about the researcher should include his/her name, academic rank, address, and affiliation.
3. Copyright: a statement transferring copyright from the author(s) to Al Al-Bayt University is required prior to the manuscript acceptance for publication. The copyright transfer form is to be submitted along with the paper. Reproduction or republication of any part of the contents of a published work is forbidden without a prior written permission by the Editor-in-Chief.
4. Manuscripts are subject to standard Academic blind peer-review.
5. The manuscript should be printed using Word and should follow all edit and bibliographic instructions (follow the sample provided).
6. The number of pages should not exceed 35 electronic pages and must include the title, the name(s) of the researcher(s), the English and Arabic abstracts, Keywords. Arabic and English abstracts should not exceed (100) words. Keywords in Arabic and English should follow the abstracts.
7. Manuscripts should be double-spaced, typed in a 12 point font (Times New Roman) with 2.5 cm margins. Manuscript pages should be numbered.
8. Tables and figures should be respectively included.
9. Arab and Islamic names and items written in Latin should take into account the system used in the Department of Islamic Information.
10. The International System of units and a standard abbreviation style should be followed.
11. *Al-Manarah* has the right to ask the contributors to omit, reformulate, or reword their manuscripts or any part thereof in the manner that conforms to the publication policy.
12. A final copy of the manuscript in its final shape for publication is e-mailed to the researcher for proofreading. Researchers should send back the proofread version within the deadline stated. No addition or extractions are allowed.

In the Name of Allah,
the Compassionate
the Merciful

Copyright

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or copied in any form or by any means –electronic, mechanical photocopying, recording or storing in a retrieval form- prior to six months of the date of its publication in AL-MANARAH. Thereafter, prior written permission from the Editor –in- Chief must be obtained.□

Editorial

Editor-in-Chief:

Prof. Dr. Akif Al-Fugara — Editor-in-Chief, Al-Manarah
Dean of the Deanship of Scientific Research Al al-Bayt University, Mafraq 25113, Jordan.
Tel: 00 962 2 6297000 Ext. 2150
akifmohd@aabu.edu.jo

Arts & Social Sciences Series Editor-in-Chief:

Prof. Dr. Mohammad Al-Khateeb — Faculty of Arts & Humanities/ Al al-Bayt University

Editorial Board:

Prof. Dr. Ahmad Abu Baker — Faculty of Arts & Humanities / Al al-Bayt University
Prof. Dr. Muntaha Al-Harahsheh — Faculty of Arts & Humanities / Al al-Bayt University
Prof. Dr. Ameen Odeh — Faculty of Arts & Humanities / Al al-Bayt University
Prof. Dr. Olayan Al-Jaludi — Faculty of Arts & Humanities / Al al-Bayt University
Prof. Dr. Anwar Al-Khaldi — Faculty of Arts & Humanities/ Al al-Bayt University

Editorial Office:

Waleed Maabrah — Mr. Waleed Maabrah
Deanship of Scientific Research
Al al-Bayt University, Mafraq 25113, Jordan.
Tel: 00 962 2 6297000 Ext. 2208
manara@aabu.edu.jo

Production:

Hiba Ali Al-Zou'bi

The views expressed in this issue are those of the authors and do not necessarily reflect the views of the Editorial Board or the policies of Al al-Bayt University

AL-MANARAH

For Research and Studies

A REFEREED RESEARCH JOURNAL

Arts & Social Sciences Series

Published By
AL al-Bayt University
ISSN: 2958 – 227X (Print)
ISSN: 2958 – 2288 (Online)

Volume (2), No. (3), Safar 1445 A.H./ September 2023 A.D.

Address: P.O. Box: 130040 Mafraq - Jordan
Tel: (9622)6297000, Fax: (9622)6297031
Email: manara@aabu.edu.jo